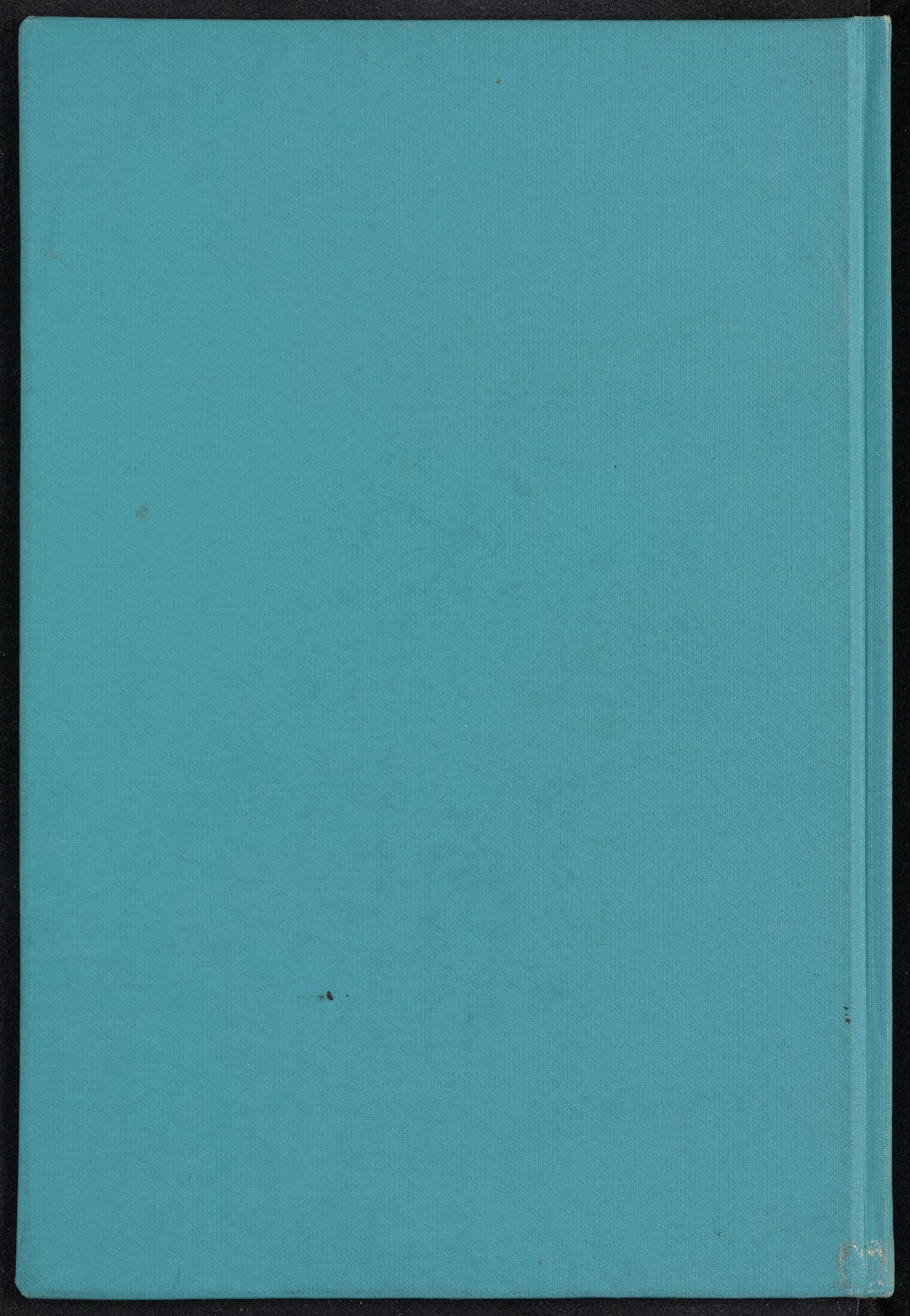
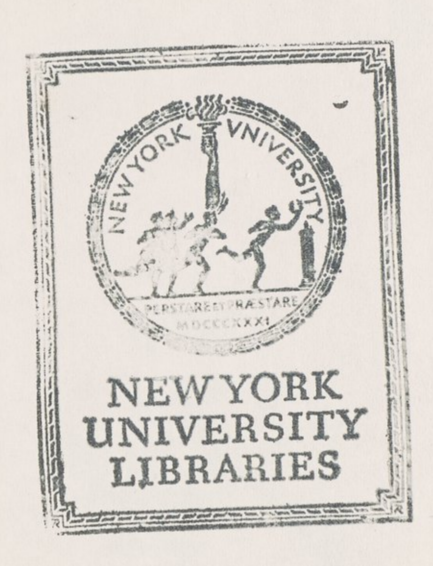
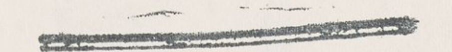
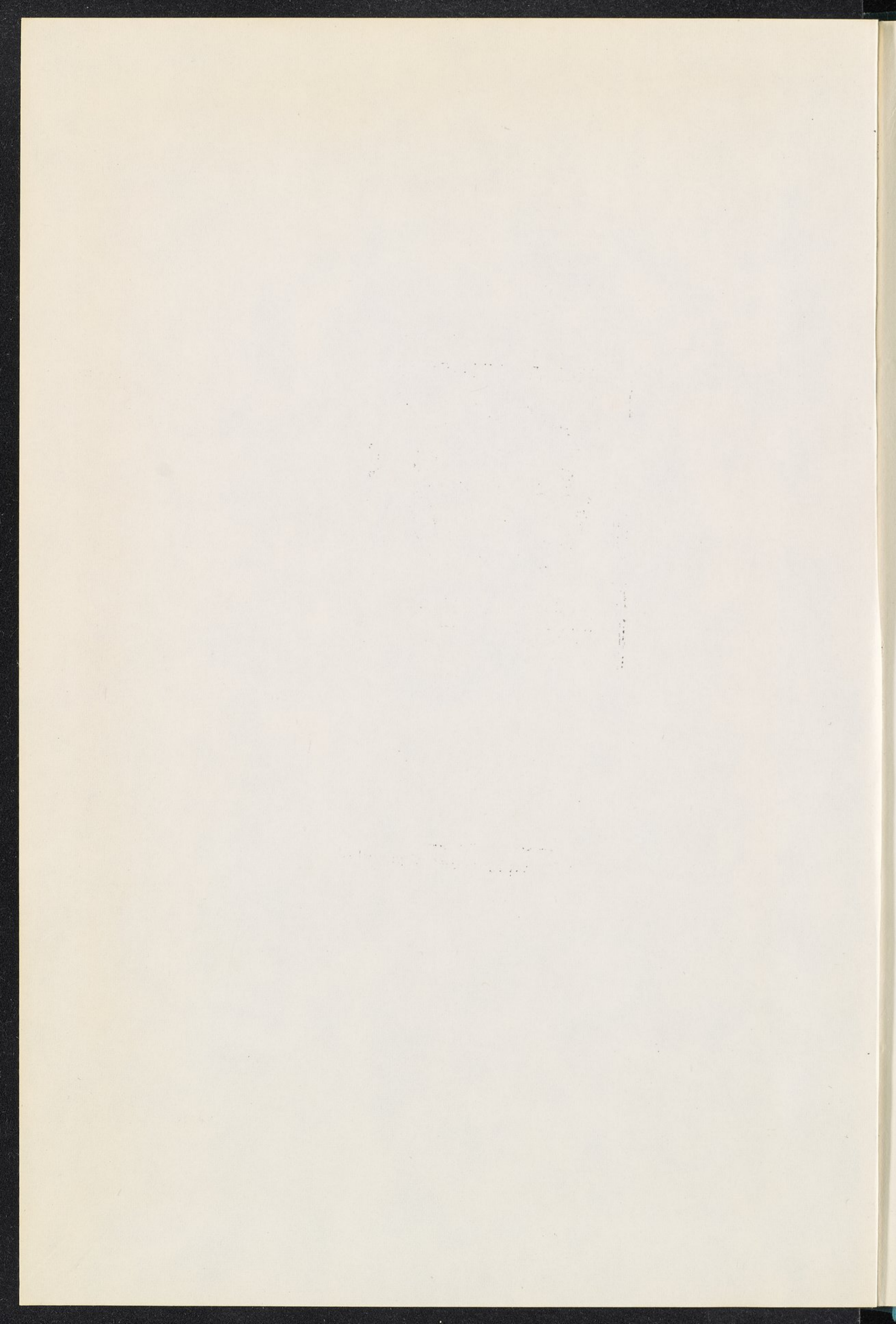
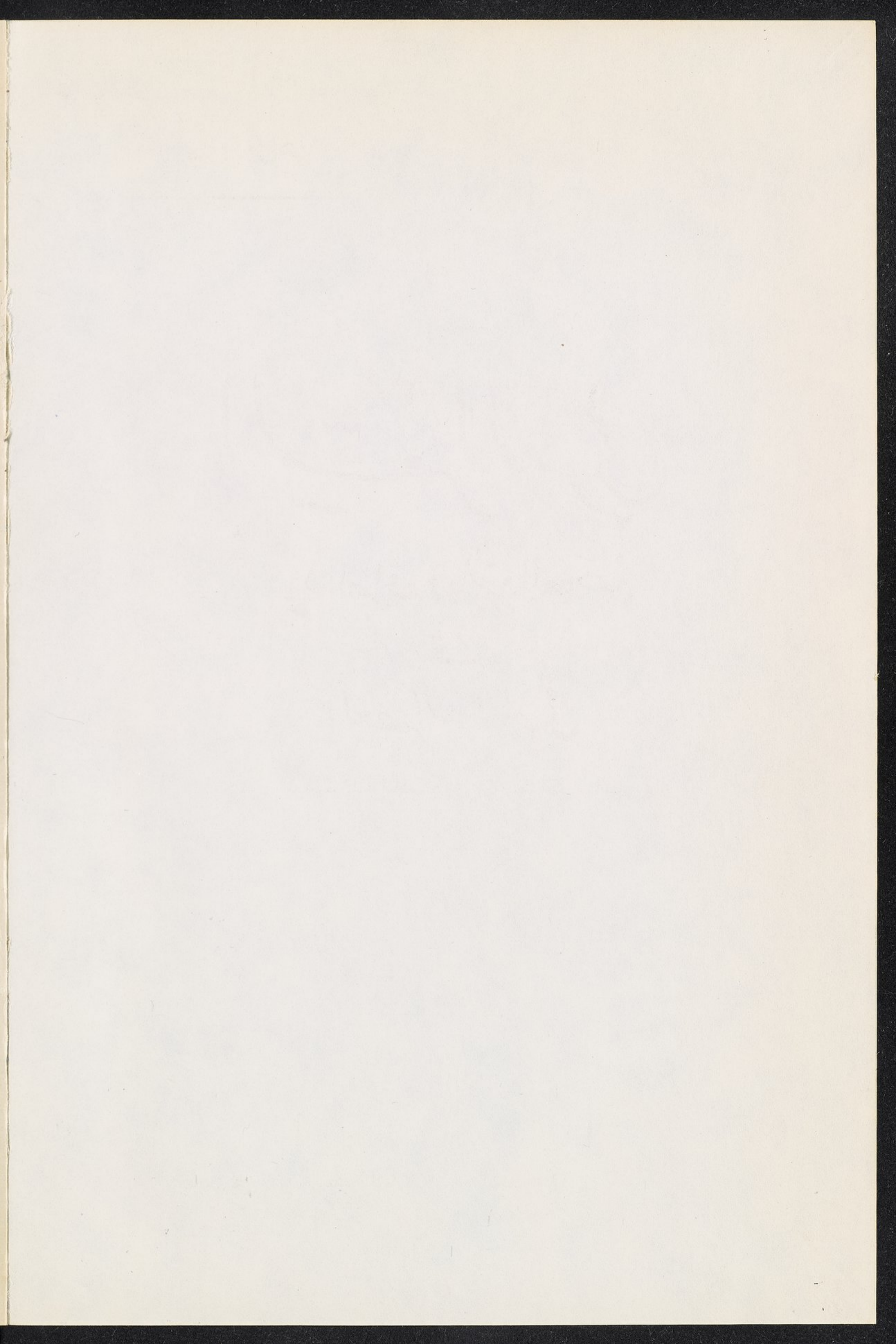



BOBST LIBRARY
3 1142 02885 6758

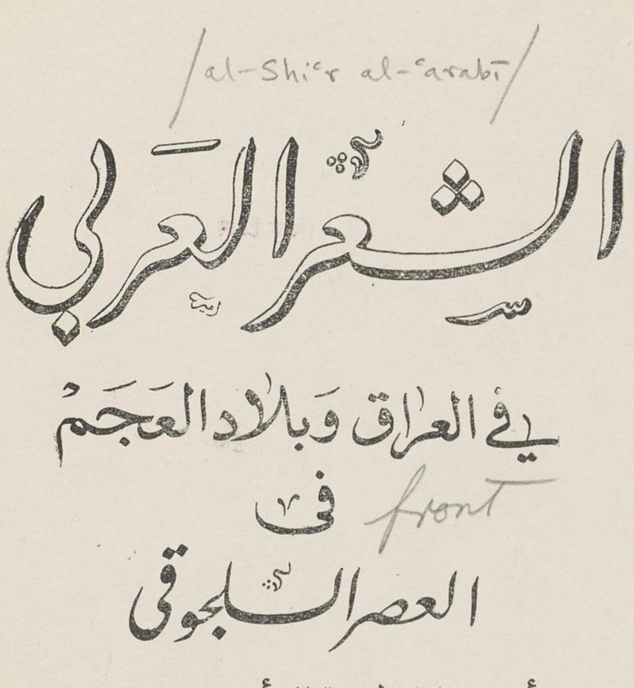

NEW YORK VNIVERSITY
PERSTARE ET PRÆSTARE
MDCCCXXXI
NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES







علي جواد الطاهر



(من أواسط المئة الخامسة إلى أواسط المئة السادسة)

الجزء الاول

[ساعدت وزارة المعارف على نشره]

مطبعة المعارف ـ بغداد ـ ١٩٥٨

المقدمة

يشتمل « العراق » على البصرة (حتى الحسا) والبطائح وواسط والكوفة والحلة والنيل وبغداد وتكريت وهيت والأنبار [1]. وتشتمل « بلاد العجم » على فارس وكرمان والجبل [2] وخراسان (حتى ما وراء النهر) . وقد كان بين هذين القطرين المختلفين ، من العلاقات ما هيأ لهما - ولاسيما في المدة التي ندرسها - تاريخاً يكاد يكون واحداً ، وأدباً عربياً [3] متشابهاً مترابطاً ؛ وقد عاش أكثر الشعراء على ثرى القطرين .

وتكون مئة العام المبتدئة بدخول طغرل بك بغداد (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) والمنتهية بموت السلطان مسعود (٥٤٧ هـ/ ١١٥٢ م) وحدة سياسية يشد أسرها البيت السلجوقي . وإذا نشدنا وحدة أدبية تساير هذه الوحدة السياسية وجدناها فيما كان للشعر من صلات بساسة العصر وأحداثه ، وهي وحدة ضيقة ، أوسع منها وأدخل في طبيعة الاشياء ، تلك التي لا تتقيد بالسياسة والسياسيين ، وتبدأ بموت الشريف الرضي (٤٠٦ هـ) أو بموت مهيار (٤٢٨ هـ) وتستمر حتى موت سبط ابن التعاويذي (٥٨٢ هـ) بل حتى سقوط بغداد ، وهي في مجموعها تسجل بداية الانحطاط في الشعر العربي وتؤلف مقدمة لفترته المظلمة .

تخدم دراسة شعر هذا العصر التاريخ العام بما ترد إليه من أخبار نسيها أو تناساها ، وبما تعيده إليه من صفحات عبثت بها يد الأيام ؛ وتخدم تاريخ الأدب ، لأنها حلقة ظلت - بحق وبغير حق - مجهولة أو شبه مجهولة . ولا يعدم الدّارس المتذوق أن يجد - هنا وهناك - من الأبيات والمقطّعات والقصائد ما يستحث انتباهه أو يستدعي إعجابه .

---

(١) هكذا ترد في تقسيمات العماد الاصبهاني للخريدة . وينظر ابن الأثير ١٠ : ٣٤س ٥١٥ .

(٢) وقد ترد الجبل (وفيها اصفهان) في كتب التاريخ على انها العراق . وتميز حينئذ عن العراق العربي بالقرينة والسياق (ينظر البنداري) وابن الأثير ١٠ : ١٩٢س ٤٩٢ .

(٣) ولا نتكلم هنا على الأدب الفارسي .

وللتأليف فى مثل هذا الموضوع يمكن أن يقتصر الكاتب على كبار الشعراء فقط ، ويمكن أن يعنى بالشعر وحده ... أو أن يجمع بين هذا وذاك . وهو ما سلكه مؤلف هذا الكتاب ، بعد أن أضاف إلى القسمين قسماً درس فيه « الشعر والشعراء في الحياة » وبعد أن حسب حساب الشعراء « الثانويين » والمقلين ... والنظاميين ، وبعد أن أكثر من الشواهد الجيده وغير الجيدة ، مما ناسب الذوق ومما لم يناسبه ، لكي تكون الفكرة أكمل والصورة أوضح . وإذا كان « المدخل » للتعريف بالعصر من بعض شرائط البحث الحديث ، فانه في دراسة العصر السلجوقي ضرورة لا غنى عنها وعن الافاضة فيها . وكان المؤلف - في كل ذلك - مؤرخاً ، همه الأول أن يستشير أكبر عدد ممكن من المصادر ، ليعد كتابا يسجل ظواهر العصر ويجمع بين الاستيعاب وسهولة المراجعة . وكان بعد ذلك ناقداً من غير إسراف ، يقدم بين الحين والحين رأياً قائماً على المقابلات والموازنات ، ملتزماً أن تكون عبارة هذا الرأي بحيث يحس القارئ أنها تمثل صاحبها ، وأنه غير ملزم بقبول أو رفض . وهذا منهج يضعف من شخصية المؤلف ويجور على أسلوب العرض ، ولئن كان هو المنهج المفضل في البحوث العلمية إن مبرراته لتزداد فى دراسة يمكن أن تعد الأولى - زمناً - في بابها ، ويراد منها أن تكون مرجعاً مبوباً جامعاً يقرن ما تناثر من الأخبار إلى مجانساتها ، ليختصر للمُراجع الطريق ويوفر عليه الوقت ، ويهيء ، لمن يريد ، بداية يستطيع أن ينطلق منها بأسلوب يكون فيه أقرب إلى المنشئين منه إلى المؤرخين .

وبعد ، فالكتاب في أصله الفرنسي ، إحدى اطروحتين أجازتها السوربون . ومؤلفه إذ ينقله إلى العربية ، لا يتقيد بالحرفية ، وانه أعاد إلى القسم الثاني ، الباب الثاني (الشعر والمجتمع) الذي كان موزعاً هنا وهناك في أثناء الرسالة ، كما أنه راجع جذاذاته فاختار منها للنص العربي ما لم تتحمله طبيعة النص الفرنسي وقيود إعداده . ثم إنه أضاف إلى ذلك ، القليل الذي جدَّ لديه بعد تاريخ المناقشة والحصول على اللقب العلمي (في شباط من عام ١٩٥٤) .

المصادر والمراجع

الأبشيهي – المستطرف في كل فن مستظرف ، القاهرة ، ١٣٢٧

ابن أبي أصيبعة – طبقات الأطباء . القاهرة ، ١٨٨٠

ابن الانباري – نزهة الألباء في طبقات الأدباء . القاهرة (حجرية) ١٢٩٤

ابن الاثير – الكامل في التاريخ (من غيرنص) . ليدن ، ١٩٠٨ – ١٩٣٤

– « « « القاهرة (مطبعة الاستقامة)

– تاريخ الدولة الأتابكية – ملوك الموصل ، باريس ، ١٨٧٩

ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٣٥ –

ابن التعاويذي – ينظر سبط ابن التعاويذي

ابن جماعة – التعليقة مخ . المكتبة الوطنية بباريس رقم ٣٣٦٤ من فهرس دسلان .

ابن الجوزي – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . حيدر آباد ، ١٣٥٩ (من غيرنص)

– تلبيس إبليس . القاهرة (مط . السعادة) ١٣٤٠

– دفع شبهة التشبيه والرد على المجسمة . دمشق (مط . الطارقي) ١٩٢٦

ابن حجلة – ديوان الصبابة . القاهرة ١٣٢٨ (على هامش تزيين الاسواق)

– بروق الغيث . مخ . ليدن رقم ١٠٣٦

ابن حسول – كتاب تفضيل الاتراك على سائر الأجناد ومناقب الحضرة العالية السلطانية . تصنيف الوزير أبي العلاء ابن حسول ، نشره في استنبول المحامي عباس العزاوي عام ١٩٤٠ ؛ والمخطوطة في مكتبة المتحف العراقي .

ابن خلدون – المقدمة . القاهرة ، ١٩٣٠

– التاريخ (بولاق) ، ١٢٨٤ — ١٨٦٧

ابن خلكان - وفيات الأعيان (من غير نص) مط . الوطن . القاهرة ، ١٨٩٩

« مخ . المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٠٨٥، ٢٠٥٢، ٢٠٥٠

« مخ . مكتبة المعارف بطهران

« ج ١ طبع گوتنگك ١٨٣٩

« طبعة ١٣٤٨ — ١٣٦٧

« ينظر البارزي

« طبعة دار المأمون ، ١٩٣٦

ابن الخياط - الديوان . النجف (العلوية) ، ١٣٤٣ (وستصدر طبعة جديدة عن دمشق) .

ابن دحية - النبراس فى تاريخ خلفاء بني العباس بغداد (مط . المعارف) ١٩٤٦

ابن الدبيثي - المذيل على تاريخ بغداد للسمعاني . مخ . باريس رقم ٢١٣٣ من فهرس دسلان و ٥٩٢١ — ٥٩٢٢ من فهرس بلوشه

ابن رجب - كتاب الذيل على طبقات الحنابلة . دمشق ، ١٩٥١

ابن الزيات - ديوان ابن الزيات ، القاهرة (تح . جميل سعيد) ١٩٤٩

ابن الساعي - الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير (تح . مصطفى جواد) بغداد ١٩٥٣

ابن شاكر - فوات الوفيات (من غير نص) . القاهرة (بولاق) ، ١٢٨٢ — ١٢٨٣

- عيون التواريخ ج ١٢ . مخ . كمبرج رقم ٢٩٢٢

ابن الشجري - الأمالي . حيدر آباد ، ١٣٤٩

- كتاب الحماسة . حيدر آباد ، ١٣٤٥

ابن الصابوني - تكملة إكمال الاكمال ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٧

ابن قاضي شهبة ـ طبقات الشافعية . مخ . باريس رقم ٢١٠٢

ابن كثير ـ البداية والنهاية فى التاريخ . القاهرة . مط . السعادة ، ١٩٣٢

ابن مبارك ـ نشر العلم فى شرح لامية العجم . القاهرة (؟) ، ١٣٢٠

ابن الهبّارية ـ الصادح والباغم (من غير نص) . القاهرة (؟) ، ١٩٣٦
وتنظر ط . بيروت (الأدبيـــة) ١٨٨٨ و ط . القاهرة
(وادي النيل) ١٢٩٢ و ط ٢ . بغداد (دارالسلام) ١٣٤٣

ـ نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة . لبنان ، ١٩٠٠

ـ نظم حي بن يقظان ، ضميمة مجلة دانش ، السنة الثالثة ،
طهران ١٣٣٣ (تحقيق محمد تقي دانش بژوه)

أبو البقاء (هبةالله) ـ المناقب المزيدية . مخ . المتحف البريطاني

أبو شجاع ـ ذيل كتاب تجارب الأمم لمسكويه . ط . امدروز ،
القاهرة ، ١٣٣٤ / ١٩١٦

أبو الفداء ـ تاريخ أبي الفداء ، استانبول ، ١٢٨٦ / ١٨٧٠

الأبيوردي ـ (من غير نص) . ديوان الأبيوردي . بيروت ، ١٣١٧

ـ مخ . باريس رقم ٣١١٧ من فهرس دسلان

ـ مخ . دار الـكتب المصريه . القاهرة ، رقم ٥٢٣ ، ٥١٠١

ـ العراقيات . مخ . المتحف البريطاني ، رقم ٧٥٥٧

ـ النجديات مخ . المتحف البريطاني ، رقم ١٢٠١

ـ النجديات . مخ . مجلس سراي ملي . طهران ، رقم ٣٤٥

ـ العراقيات (والمقطعات) مكتبة الاوقاف . بغداد رقم ٥٧٣٥

الأخسيكتي ـ الأحسن للباخرزي . ينظر الباخرزي

الأرجاني ـ (من غير نص) : ديوان الأرجاني . بيروت ، ١٣٠٧ (؟)

ـ ديوان . مخ . دار الـكتب المصرية . القاهرة رقم ٥٤٠ ،
٥٤١ ، ٤٧٢٣٦

	ـ ديوان . مخ . المتحف البريطاني . رقم ٣١٦٧
	ـ ديوان . مخ . مكتبة ملك . طهران .
أنو شروان	ـ ينظر العماد (النصرة) والبنداري (الزبدة) .
الأنطاكي	ـ تزيين الأسواق . القاهرة ، ١٣٢٨
الباخرزي	ـ دمية القصر (من غير نص) . حلب (المط . العلمية) ١٣٤٩/ ١٩٣٠ . مخ . ايران (سراى ملى) رقم ٣١٤ مخ . مكتبة المتحف العراقي رقم ١٥٢٤
	ـ ديوان الباخرزي . مخ. مكتبة المتحف العراقي رقم ١٣٠٤. بغداد
	ـ الأحسن . مختارات عملها الأخسيكتي . مخ . المتحف البريطاني . ١٣٥٩
	ـ الملتقط من ديوان الباخرزي . طبع ملحقاً بالدمية حلب ١٣٤٩/ ١٩٣٠
البارزي	ـ (مختصر الوفيات) . مخ . المكتبة الوطنية. باريس. رقم ٢٠٦٠
البارودي	ـ مختارات البارودي . القاهرة (مط . الجريدة) ، ١٣٢٧
البستاني (المعلم)	ـ دائرة المعارف . بيروت . ١٨٧٦/ ١٩٠٠
برهان الدين	ـ شذرات الذهب (أشعار فى الكيمياء) . مخ . المتحف البريطاني ، رقم ٢٣
البنداري	ـ زبدة النصرة (من غير نص) . ليدن (تح . هوتسما) ، ١٨٨٩
	ـ « « ط القاهرة ١٩٠٠ باسم (كتاب تاريخ دولة آل سلجوق) ينظر العماد (النصرة)
البيهقي (علي بن زيد)	ـ تاريخ حكماء الاسلام . دمشق ، ١٣٦٥/ ١٩٤٦
بيهقي (محمد)	ـ تاريخ بيهقي . طهران ، ١٣٢٤ وترجمه الى العربية الخشاب ونشأت ، القاهرة ، ١٩٥٧

الجواليقي - المعرب من الكلام العجمي . القاهرة (دار الكتب المصرية) ، ١٣٦١

حاج خليفة - كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون . استانبول ، ١٣٦٠ / ١٩٤١

حتي - تاريخ العرب (مطول) بقلم فليب حتي وادورد جرجي وجبرائيل جبور . بيروت (دار الكشاف) ١٩٤٩

الحريري - مقامات الحريري . (بولاق) ، ١٢٨٨

- ملح الاعراب . باريس (حققه وترجمه الى الفرنسية ليون بنتو) ١٨٨٤

الحسامي - المختصر من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار . مخ . دار الكتب المصرية . القاهرة رقم ٥٩٤٠ (ومنه صورة فى مكتبة المجمع العلمي العراقي)

الحسيني (؟) - زبدة التواريخ (في أخبار الدولة السلجوقية) . لاهور (تح . إقبال) ، ١٩٣٣

الحسيني (احمد موسى) - هل الأدباء بشر . بيروت (دار العلم للملايين ١٩٥٠)

الحضرمي - نشر العلم في شرح لامية العجم . القاهرة ١٣٠٩

حمد الله المستوفي - تاريخ گوزيده . باريس ، ١٩٠٣ (مع الترجمة الفرنسية)

حميدة (عبدالرزاق) - قصص الحيوان في الأدب العربي ، القاهرة ١٩٥١

حقي (ممدوح) - الأبيوري . دمشق (دار اليقظه العربية) ١٩٥٥ / ؟)

الحنبلي (العماد) - شذرات الذهب في أخبار من ذهب . القاهرة ، ١٣٥٠

حيص بيص - ديوان حيص بيص . مخ . مكتبة رامپور ، رقم ٣٤١٤ (ومنه مصور بمكتبة الجامعة العربية بالقاهرة ، رقم ٣٠٤٦ وعنه مصور بمكتبة المجمع العلمي العراقي)

الخطيب (البغدادي) - تاريج بغداد . القاهرة ، ١٣٤٩ / ١٩٣١

الخوانساري - روضات الجنات . فارس ، ١٣٠٤

داعي الدعاة ـ ديوان داعي الدعاة . القاهرة (الكاتب المصري) ١٩٤٩

داود چلبي ـ مخطوطات الموصل . بغداد ، ١٩٢٧

الدبيثي ـ ينظر ابن الدبيثي .

الدماميني ـ نزول الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم . مخ ـ دار الكتب المصرية، ٩٠٤١

الدميري ـ شرح لامية العجم . مخ . كمبرج ، رقم ١٠٦٢

الذهبي ـ دول الاسلام ، حيدر آباد ، ١٣٣٣

الذهبي (؟) ـ العبر في أخبار من عبر . مخ . المكتبة الوطنية . باريس ، رقم ١٥٨٤ ، ١٥٨٥

الراغب (الاصفهاني) ـ محاضرات الادباء ومحاضرات الشعراء . القاهرة (؟)

الراوندي ـ كتاب راحة الصدور وآيات السرور (فى تاريخ السلاجقه) ليدن (اقبال) ١٩٢١

رضائي (علي) ـ عود الشباب (مختصر الخريده ، ينظر العماد) مخ . فينا رقم ٢٤٦ ونور عثمانية ٦٩ (وكلتاهما مصورتان في المجمع العلمي العربي بدمشق)

الرضي ـ ديوان الرضي . ط . ١٣٠٦

الزركلي ـ الأعلام . القاهرة . ١٣٤٧/ ١٩٢٨

الزمخشري ـ ربيع الأبرار . مخ . باريس ، المكتبة الوطنية ، رقم ٣٥٠٠

زيدان ـ تاريخ آداب اللغة العربية . القاهرة ، ط ١٢ ١٩٣٧

الزيات ـ تاريخ الأدب العربي القاهرة. ط ٥ ، ١٣٤٩/ ١٩٣٠

سبط ابن الجوزي ـ مرآة الزمان . مخ . المكتبة الوطنية في باريس، رقم ١٥٠٦

ـ « « ج ٨ (شيكاغو) ١٩٠٧

ـ « « ج ٨ (جزءان) حيدر آباد .

سبط ابن التعاوني ـ ديوان . القاهرة ، ١٩٠٣

السمعاني – الأنساب (نشر مار گوليوث) ليدن ، ١٩١٢
– ذيل تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ مخ . كمبرج ، رقم ٢٩٢٤
– مذيل تاريخ بغداد . مخ . ليدن رقم ٢٦ M

سركيس – معجم المطبوعات العربية (حتى عام ١٩١٩) . القاهرة ، ١٣٤٦/١٩٢٨

السرياني – تنزيه الالباب في حدائق الآداب ، الموصل ١٨٦٣

السبكي – طبقات الشافعية الكبرى . القاهرة(مط .الحسينية) ١٣٢٤

السيوطي – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . القاهرة ، ١٣٢٦
– تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين. القاهرة (المط . الميمنية)١٩٠٥
– الكنز المدفون . القاهرة ، ١٢٨٨.

شفق – تاريخ الأدب الفارسي . ترجمة موسى هنداوي . القاهرة (الفكر العربي) ١٩٤٧

الشهرستاني – الملل والنحل . لندن ، ١٨٤٢ — ١٨٤٦

صرّدر – ديوان صرّدر . القاهرة (مط . دار الكتب المصرية) ١٣٥٣/١٩٣٤
– ديوان صرّدر . مخ . ليدن رقم ١٠٥٧

الصفدي – الوافي بالوفيات ج ٥ مخ . المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٠٦٥
– الوافي ج ٨ مخ . » » » رقم ٢٠٦٤
– الوافي ج ٩ مخ . المتحف البريطاني . لندن رقم ٢٣٣٥٧
– الوافي . استانبول ، ١٩٣١ — ١٩٥٣ ثلاثة أجزاء
– كتاب الغيث المسجم (؟) في شرح لامية العجم . القاهرة ، ١٣٠٥
– نكث الهميان في نكت العميان . القاهرة ، ١٣٢٩/١٩١١

الصنهاجي – إيضاح المبهم من شرح لامية العجم مخ . المتحف البريطاني ، ٧٧٧

الصنهاجي - إيضاح المبهم من شرح لامية العجم مخ. دار الكتب. القاهرة، ١٠١٩

الطغرائي - ديوان الطغرائي (من غير نص) . القسطنطنية (الجوائب)، ١٣٠٠

- ديوان الطغرائي مخ . دار الكتب المصرية . القاهرة رقم ٧٩١٧

- ديوان الطغرائي مخ. دار الكتب المصرية. القاهرة رقم ١٥٢٨

- ديوان الطغرائي مخ. مكتبة الاسكوريال ، رقم ٣٠٤

- ديوان الطغرائي مخ. المتحف البريطاني. لندن ، رقم ٧٥٥٨

- ديوان الطغرائي (صفحات) المتحف البريطاني . لندن ، رقم ٧٥٣٠

- ديوان الطغرائي مخ . مكتبة الجامعة الاميركية . بيروت .

- مقطعات فى الصنعة مخ. مكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٦١٨٩

- مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة مخ. المكتبة الوطنية . باريس ، ٢٦١٤

- مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة مخ. مكتبة سراي ملي

الطنطراني - القصيدة الطنطرانية مخ . المتحف البريطاني ، رقم ٧٤٩

الطوسي - الفهرست . النجف (الحيدرية) ١٣٥٦/١٩٣٧

العباسي - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص . القاهرة ، ١٣٥٢

العاملي (البهائي) - المخلاة . القاهرة (الميمننة) ١٣١٧ / ١٩٠٠

العاملي (محسن الأمين) - أعيان الشيعة . دمشق (مط . ابن زيدون)

عاطف - أدبيات اللغة العربية . القاهرة

العسقلاني — لسان الميزان (تأليف شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر ، المتوفى ٨٥٢) ، الهند (مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن) ١٣٣١ هـ

العماد (الاصفهاني) — نصرة الفترة وعصرة القطرة (؟) مخ . المكتبة الوطنية . باريس . مخ . ٢١٤٦ (وينظر البنداري)

— خريدة القصر ج ١ (من غير نص) مخ . باريس . المكتبة الوطنية ٣٣٢٧

— خريدة القصر ج ١ مخ . باريس . المكتبة الوطنية ٣٣٢٦

— « « ج ١ مخ . ليدن ، ٢١٢

— « « ج ١ مخ . طهران (سپهسالار)

— « « ق ١ ج ١ (مط . المجمع العلمي العراقي) ١٩٥٥

— « « من بداية ج ٢ مخ . اكسفورد رقم ١٢٥٩

— « « ج ٢ . ليدن مخ . رقم ٣٤٨

— « « قسم ١ شام مخ . باريس ٣٣٢٩

— « « ق ١ من ج ١ شام . دمشق (تحقيق الدكتور شكري فيصل)

— « « قسم الاندلس مخ . باريس ٣٣٣٢

— « « مصور في المجمع العلمي العربي بدمشق عن مخطوطة في الهند

عوفي — لباب الألباب . ليدن (تح . برون) ، ١٩٠٣-٦

العيني — عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان . مخ . المكتبة الوطنية بباريس ، رقم ١٥٤٢

الغزالي — احياء علوم الدين . القاهرة (بولاق) ١٢٨٩

الغزي — ديوان الغزي . مخ . المكتبة الوطنية . باريس . رقم ٣١٢٦

- ديوان الغزي . مخ . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٢٢
- وينظر ديوان الأبيوردي المطبوع بالاستعانة بكتاب ممدوح حقي عن الابيوردي)

فهرس دار الكتب المصرية ، القاهرة

فهرس معهد المخطوطات بالجامعة العربية . القاهرة

القشيري - الرسالة القشيرية فى علم التصوف . القاهرة (بولاق)١٢٤٨

القفطي - المحمدون من الشعراء فى المكتبة الوطنية بباريس

- انباء الرواة تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ثلاثة اجزاء . دار الكتب . القاهرة ، ١٩٥٠ - ١٩٥٥

- تاريخ الحكماء . ليبسك ١٩٠٣ ، وتنظر طبعة القاهرة

القيصري - شرح النجديات مخ . ليدن رقم ١٠١٩ (ينظر الأبيوردي)

كحاله (عمر رضا) - معجم المؤلفين ، دمشق ، مطبعة الترقي ١٩٥٧ -

الكفوي - شرح لامية العجم . مخ . المتحف البريطاني ، رقم ٥٩٤،٢٣

المافرّوخي - كتاب محاسن اصفهان ، طهران (مطبعة مجلس)

المامقاني - تنقيح المقال فى أحوال الرجال . النجف (المط . المرتضوية) ١٣٥٠

الماوردي - الأحكام السلطانية . القاهرة .

محمد ابراهيم - تاريخ سلاجقة كرمان . ليدن ، ١٨٨٦

محمود مصطفي - إعجام الأعلام . القاهرة (الرحمانية) ، ١٣٥٤ / ١٩٣٥

- الأدب العربي وتاريخه . القاهرة .

الموسوي (العباس بن علي ابن نور الدين) - نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس . جزءان (من مؤلفات القرن الثاني عشر)

مهيار - ديوان مهيار . القاهرة (دار الكتب) ١٣٤٤ - ١٣٥٠ / ١٩٢٥ - ٣١

الميناوي ـ تحفة الرائي للامية الطغرائي . القاهرة (بولاق) ، ١٣١١

المقريزي ـ الدرر المضية . مخ . كمرج .

المعري ـ سقط الزند (شرح التنوير). القاهرة (المعارف العلمية)، ١٩٤٢

المتنبي ـ ديوان المتنبي (شرح البرقوقي) . القاهرة، ١٣٤٨ / ١٩٣٠

مصطفى جواد ـ سيدات البلاط العباسي . بيروت (مطابع الكشاف) ١٩٥٠

ـ ينظر ابن الصابوني

النابغة ـ ديوان النابغة . باريس ، ١٨٦٩

النظام (عمر) ـ شرح النجديات للابيوردي . مخ . دار الكتب المصرية . القاهرة ، رقم ٥٢٧

نظام الملك ـ سياسة نامه مترجمة للفرنسية بقلم شارل شفر . باريس، ١٨٩٣

نظامي عروضي ـ چهار مقاله . لندن ١٩١٠، ترجمة انكليزية بقلم برون لندن ١٨٠٠

ـ ترجمة عربية لعبدالوهاب عزام ويحى الخشاب (مع خلاصة حواشي محمد بن عبدالوهاب القزويني) القاهرة ١٩٤٩

النقاش ـ كتاب كليلة ودمنة على لسان الحيوانات والطيور . مخ . المتحف البريطانى ، ٣٦٢٦

الهاشمي ـ جواهر الأدب . القاهرة ، ١٣٤٧ / ١٩٢٨

الهمذاني ـ تكملة تاريخ الطبري . مخ . المكتبة الوطنية بباريس ، رقم ١٤٦٩ (وطبع قسم منه في مجلة المشرق ، فى اعداد متقطعة منذ سنتها التاسعة والأربعين ج١ ج٢)

اليافعي ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان . حيد آباد ، ١٣٣٧

ياقوت ـ (من غير نص) ـ إرشاد الأريب . القاهرة (طبعة مارگوليوث) ١٩٠٩ ـ ١٩٣١

ـ معجم الأدباء ط . دار المأمون . القاهرة

ـ معجم البلدان . ليبزك (تح . وستنفلد) ١٨٦٦ـ١٨٧٣

اليزيذي ـ العراضة في الحكاية السلجوقية . ليدن . ١٩٠٩

المجلات

الآداب - بيروت ، السنة الأولى ، ١٩٣٥ العدد ٢ ، ٣ مختارات من ابن شبل

الاستاذ - بغداد ، ١٩٥٨ المجلد السادس مقاله للمؤلف عن حياة الطغرائي

الرسالة - القاهرة ، العدد ٢٠٩ كلمة لاسماعيل مظهر عن لامية العجم

٨١٧ ومقاله لعبدالوهاب عزام عن الغزي

الزهراء - مصر م٣ ص٢٢٨ - ٢٤٢ مقالة لمحمد بهجت الأثري عن الغزي

الغرى - النجف ، السنة السابعة مقالات الدكتور مصطفى جواد عن ادب القرن الخامس - السادس

مجلة المجمع العلمي العراقي ج١ ج٣ من ١٩٥٤ وفيه مقالة لنفيسي عن نظام الملك ترجمها حسين محفوظ

ج١ ج٣ ١٩٥٦ مقالة للمؤلف عن « مصادر دراسة الشعر العربي في العراق وبلاد العجم »

الصبح - بغداد . نيسان ١٩٣٦ العدد الخامس . وفيه مقالة لطه الراوي عن لامية العجم

المعلم الجديد - السنة ٦ (١٩٤٠) العدد ١ مقالة للدكتور مصطفى جواد عن النظامية اول المدارس في العراق

سن ٨ (١٩٤٢) م ٥ المدرسة النظامية ببغداد

المشرق - بيروت ، السنة الخمسون ، الجزآن الرابع والخامس ، تموز - ت ١ ١٩٥٦ وفيه مقالة لعارف تامر عن « مزيد الحلي الأسدي » ، السنة الرابعة ، الجزء (١٩) ١ تشرين الاول ١٩٠١ (نظم كليلة ودمنة للأب لويس شيخو اليسوعي)

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - الجزء الثالث والرابع من المجلد الحادي والعشرين ، آذار ونيسان ١٩٤٦ وفيه (ديوان الغزي) - الجزء الثالث والثلاثين ١ تموز ١٩٥٨ وفيه (ابن الخياط)

مراجع بلغات غربية

Ahlwardt — Ms. de Berlin 1895, V1[2] vol. in. F°

Barthold — Turkestan down to the Mongol invasion. Tran. from the original aud revised by the author with the assistance of H. A. R. Giub, 2e ed. oxford, 1958; 1 vol. in-8°
Histoire des Turcs d'Asie Central. adaptation francaise Par Mme Donskis. Paris, 1948; 1 vol. in 8° "Initiation, à l' Islam."

Blachère — Vue d'ensemble sur la poétique des Arabes. Paris 1938 ; (Extrait de la revuse des Etudes sémitiques, 1933).

Blochet — Catalogue des Manuscrits arabes desNounvelles Acquisitions. Paris, 1925; 1 vol. in 8°

Brockelmann—Geschichte der Arabischen Litteratur, 2e ed. Leyde, 1943; 2 vol. in-8°
——— Supplementband. Layde, 1937-, 3 vol.
Histoire des peuples et des Etats Islamiques depuis l' origine Jusqu' à nos jours. Traduction française de M. Tazerout. Paris, Payot, 1949; 1 vol. in-8°

وقد ترجم الى العربية ببيروت .

Browne (Ed.) — A Litterary History of Persia. Combridge, 1929-; 4 vol in-8°.

وقد ترجم الدكتور ابراهيم الشواربي جزء منه .

Chapellow. — The Traveler .... (Togrei). Campridge, MDCCCLVIII.

Chauvin — Bibliographie des ouvrages. Liége, 1892 - 1922; 12 vol. in 8°

Clouston (w.A.)— Arabian poetry. Clasgow, 1881(?); 1vol. in - 12°

De Slane — Catalogue des Manuscrits arabes. Paris, 1883-1895; 1 vol' in-4° .

Diehl (Ch.) — Le Monde oriental de 395 à 1081 Paris, 1936; 1 vol. petit in-4°

—— Encyclopédie de l' Islom. Leyde, 1913 suiv.; 4 vol. in-4 °

—— La Grande Encyclopédie, par une sociéte de savants et gens de lettres. Paris, le ? 29éme

Grousst (R.) L' Empire des steppes. Paris, (Payot), 1948. 1 vol. in-8°

Hartmann— Litteratur Araber. wien, 1850 - 56; 7 vol in - 4°

Herbelot — Bibliothèque orientale Dictionnaire universel. Paris, 1781 - 83. 6 vol in. 12°

Hitti — History of the arabs, 4e ed.London, 1949. 1 vol. in - 8°

وقد « ترجم » الى العربية ببيروت ، ١٩٤٩ .

Huart — Littérature arabe. Paris (Colin), 1902; 1 vol. petit in-8°

Lane - Poole — The Mohammadan Dynasties. Paris, 1925; 1 vol. in - 12°

Le Srange — The Lande of the Eastern caliphate. cambridye, 1905; 1 vol. in . 12°

وقد ترجمه الى العربية ببغداد بشير فرنسيس وكوركيس عواد .

مط. الرابطة ١٩٥٤ (مطبوعات المجمع العلمي العراقي) .

Baghdad during the Abbasid Caliphate. oxford. 1 vol. in - 12° وقد ترجمه الى العربية بشير فرنسيس ، بغداد

Lewis (B.) The origine of Ismà lisme. Cambridge. 1940; 1 vol. petit in.8²

وقد ترجمه الى العربية خليل أحمد جلو بعنوان «أصول الاسماعيلية » ، القاهرة ١٩٤٠

Msrçais (G.) V. Diehl

Minorsky — Hudud al - 'Alam (the region of the world). a persian geography, trad . en anglais par Minorsky. oxford 1937. 1 vol. in.8°

Nicholson— Litterary history of the Arabs. London, 1923; 1 vol. in-8°

Raux (A.) — La Lamiyyat al - 'Adjam d'et. Togrü (traduction françase). Paris, 1903;

Rikabi — La Poésie profane sous les Ayyoubides Paris, 1949; 1 vol. in - 8°

Sart on(G.)—Introduction to the History of science. Washington, 1927; 3t. en 2 vol. in-4° .

Schefert — Supplément à Siassat Nameh. Paris, 1 vol. in - 8°

Storey (— Persian Litreratur͏e. (bio - bibliogrophy) London, 1927 - 39. in - 12

al - Tahir — Ibn al.Hajjaj (Introduction à la Durrat at Taj) Thèse Complémentaire - Sorbonne

Zambaur — Mannel de généalogie et de Chronobgie pour l' histoie de l' Islam, Hanovre, 1927; 1 vol in - 4°

وترجمه الى العربية الدكتور زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود ، القاهرة ١٩٥١-١٩٢٥.

هذا وبقيت مراجع عربية وغير عربية أقل أهمية ولا تكاد تذكر اكثر من مرة واحدة - سيشار اليها في أماكنها .

دراسة المصادر

١ — دواوين الشعراء : مصدر أساسي فى دراسة العصر وفي دراسة حياة شعرائه . وقد طبع منها ديوان صرّدر والابيوردي والطغرائي والأرجاني ، كما طبعت ملتقطات من شعر الباخرزي ملحقة بدميته ، وطبع - غلطاً - كثير من شعر الغزي مبعثراً في ديوان الأبيوردي ، بينما بقي الديوان الكامل مخطوطاً في مكتبات القاهرة وباريس وغيرها . وتضم مكتبة المتحف العراقي نسخة من مخطوطة ديوان الباخرزي ، بينما يضم المتحف البريطاني مجموعة من شعر الباخرزي باسم « الأحسن » ، وتضم مكتبة رامپور مجموعة كبيرة من شعر حيص بيص (وفي المجمع العلمي العراقي صورة لها منقولة عن صورة معهد إحياء المخطوطات العربية فى الجامعة العربية) . ولم تصل الينا دواوين البارع وابن أفلح وابن القطان والحظيري ، وكذلك ديوان ابن الهبّارية الذي طبعت له « نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة » وكتاب « الصادح والباغم » وأرجوزة منسوبة اليه باسم « حي بن يقظان » التي ألفها ابن سينا نثراً .

٢ — الخطيب البغدادى : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، محدّث عراقي ، ولد عام ٣٩٢ هـ . قال ابن الجوزي : « وكان أبو بكر الخطيب قديماً على مذهب أحمد بن حنبل فمال عليه أصحابنا لما رأوا من ميله إلى المبتدعة وآذوه فانتقل إلى مذهب الشافعي وتعصب فى تصانيفه عليهم . ج ٨ ص ٢٦٧ » .
« ... ولما جاءت نوبة البساسيري استتر الخطيب وخرج من بغداد إلى الشام .. ثم عاد إلى بغداد في سنة اثنتين وستين وأقام بها سنة ثم توفي » .

طبع كتابه « تاريخ بغداد » فى أربع عشرة مجلدة في القاهرة سنة ١٩٣١ ، ولم يشهد الخطيب إلا أوائل الحكم السلجوقي ، ولكن السمعاني وابن النجار اتخذا كتابه أساساً يذيلان عليه ويستدركان .

٣ — الباخرزي : علي بن الحسن ، من شعراء العصر المعدودين ، قتل عام ٤٦٧ هـ . وقد طبع كتابه « دمية القصر وعصرة أهل العصر » فى حلب عام ١٩٣٠ . ومن يقابل هذه النسخة بما في ايران وغيرها من مخطوطات يجد فرقاً ملحوظاً ، ويعلم أن المطبوع لا يغني عن المخطوط .

٤ — الهمذاني : محمد بن عبد الملك المتوفى عام ٥٢١ هـ . تمتلك المكتبة الوطنية في باريس مخطوط الجزء الأول من كتابه « تكملة تاريخ الطبري » . والجزء يخص زمن بني بويه ، ولكن الكتاب كان مصدراً للعماد الأصبهاني وابن النجار وابن خلكان . وقد بدأت مجلة المشرق البيروتية تنشره فى أجزاء متقطعة من أعدادها منذ سنتها التاسعة والأربعين (ج ١ ج ٢) . وللمؤلف كتاب آخر اسمه « المعارف » أشار اليه ابن خلكان ٢ : ٥٧٧ .

٥ — انوشروان : أنو شروان بن خالد، وزر للسلطان محمد السلجوقي والخليفة المسترشد وتوفي عام ٥٣٢ . وكتابه « فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور » ضرب من المذكرات ، سجلها بالفارسية عن فترة تمتد من أواسط وزارة نظام الملك إلى موت طغرل الثاني . وقد فقد هذا الكتاب ، ولكن العماد الأصبهاني الذين اتخــذه أساساً لكتابه « نصرة الفترة وعصرة القطرة » يقول : إن أنوشروان لم يكن منصفاً .

ينظر عن أنوشروان كتب التأريخ ولاسيما عام ٥٣٢ عند ابن الجوزي ، وينظر عن الكتاب مقدمة النصرة أو الزبدة ومقدمة هوتسما « Houtsma » على الزبدة ، وما ذكره Storey في الكراسة الثانية ص ٢٥٤ من كتابه في الأدب الفارسي .

٦ — السمعاني : أبو سعيد (أو أبو سعد) تاج الاسلام بن محمد بن منصور السمعاني (أو ابن السمعاني) ولد عام ٥٠٦ وتوفي عام ٥٦٢ ، وكان محدثاً وفقيهاً شافعياً ، ساح كثيراً من الأقطار ، وشهد كثيراً من أحداث

عصره ورجاله ، وتلمذ لعدد من علمائه وشعرائه . (ينظر عنه ابن خلكان ٢ : ٥٣٩ ، مقدمة مار كوليوث على « الأنساب » ، ابن قاضي شهبة على الورقة ٤٩ ب ، بروكلمان ١ : ٥٦٤ من ط ١ . ويهمنا من مؤلفاته : -

أ - الأنساب : ومع أن التراجم التي يضمها هذا المعجم مختصرة ، فانه يظل مصدراً له قيمته ، ويلاحظ زيدان في كلامه على الطغرائي ٣ : ٦٩ من « تاريخ آداب اللغة العربية » أن الكتاب في الأصل أضخم مما عليه النسخة التي في أيدينا (وقد نشرها مار كوليوث مصورة) . واختصر ابن الأثير الأنساب وسماه « اللباب » وقد طبع وستنفلد من اللباب قسماً سنة ١٨٣٥ ثم طبع كاملا بمصر ، وربما استدرك ابن الأثير على الأنساب (ينظر ابن خلكان ج ١ في ترجمة « صدقة ») .

ب - ذيل تاريخ بغداد : خمس عشرة مجلدة في صميم دراستنا ، ذيّل بها السمعاني على كتاب الخطيب البغدادي ، ويظهر أنه كان يقرئ هذا الكتاب أو فصولاً منه بالجامع القديم (أو العتيق) في خراسان ، وصل الينا منه :

١ً - مختصر في ليدن بهولندة رقم M'S9 بـ ٢١٦ صفحة تبتدئ بحرف الجيم .

٢ً - لاحظ الدكتور مصطفى جواد أن في ترينتي كوليج بكمبرج « الجزء الثاني من مختصر ذيل تاريخ بغداد » للسمعاني ، يبدأ بمحمد السنجي وينتهي بالحسن ابن أحمد البغدادي الأصبهاني وهو اختصار جمال الدين الأنصاري صاحب « لسان العرب » .

٣ً - أسطر وأخبار عند ياقوت والقفطي وابن الدبيثي وسبط ابن الجوزي وابن خلكان والفتح بن علي البنداري في تاريخ بغداد .

جـ - وطبع للسمعاني في ليدن عام ١٩٥٢ « كتاب الاملاء والاستملاء » .

٧ — الحظيرى : أبو المعالي سعد بن علي الحظيري المعروف بدلال الكتب المتوفى عام ٥٦٨ هـ ، من شعراء العصر المعدودين . وقد فقد كتابه

« زينة الدهر وعصرة أهل العصر » الذي جعله ذيلا على « دمية القصر » ولم يبق لنا منه إلا استشهادات عند العماد الأصبهاني وابن خلكان وغيرهما . ولو وصلت الينا « الزينة » لوصلت الينا أخبار كثيرة .

وفي مكتبة أستان قدس بمشهد الرضا نسخة تكاد تكون كاملة من كتابه « الاعجاز في الأحاجي والألغاز » .

٨ — السلفى : أبو طاهر أحمد بن محمد بن ابراهيم بن سلفة ، محدث شافعي ولد باصبهان حوالي ٤٧٢ وتوفي عام ٥٧٦ ولم يصل الينا كتابه « طبقات الشافعية » ولكن السبكي وابن النجار يقتطفان منه (ينظر ابن خلكان ١ : ٥٣ — ٥٥ ، السبكي ٤ : ٤٣ — ٤٨ ، ابن قاضي شهبة ، الورقة ٤٨ ب ، الحنبلي ٤ : ٢٥٥ .

٩ — ابن الانبارى : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ولد عام ٥١٣ وتوفي عام ٥٧٧ ، نذكر من كتبه : « نزهة الألباء فى طبقات الأدباء » الذي كان أحد مصادر ياقوت . وقد طبع ثلاث مرات .

١٠ ابن الجوزى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي . . . فقيه وواعظ حنبلي ، ولد عام ٥٠٨ (أو ٥١٠) في بغداد وتوفي بها عام ٥٩٧ (ينظر مقال بروكلمان فى دائرة المعارف الاسلامية ، خريدة القصر ، ابن خلكان ، الحنبلي) . وتكوّن الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتابه « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » مصدراً لا يستغنى عنه - على شدة لهجة المؤلف وعلى إهماله عدداً من الشعراء . وكثيراً ما حدّثنا ابن الجوزي عما رأى وسمع وما درس . ومن مصادره الهمذاني (ينظر المنتظم ٨ : ٢٨٦) وتاريخ هلال بن الحسن (٨ : ٢٨٦) وتاريخ هبة الله بن المبارك بن يوسف السقطي (٩ : ٧٢ ، ١٨٣) وابن السمعاني (٨ : ١٧٨) . وقد اقتبس من ابن الجوزي سبطه وابن الأثير وابن خلكان وابن كثير وغيرهم كابن الدبيثي وابن النجار .

ولابن الجوزي مؤلفات كثيرة ، نذكر منها « تلبيس إبليس » وقد ألّفه قبل المنتظم (ينظر ٩ : ١٦٩) .

١١ — العماد الاصبهاني : أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد المعروف بعماد الدين الأصبهاني ، ولد بأصبهان عام ٥١٩ هـ في أسرة ثرية معروفة ، وأمضى بها طفولته وشطراً من صباه ، ونقله والده إلى بغداد فسكنها سنة ٥٣٤ وقد بلغت سنه (١٥) عاماً (تنظر الخريدة ج ١ من كلامه على علي بن أفلح ص ١٥٢ — ١٥٨ من نسخة ليدن والورقة ٩١ من نسخة طهران) . وقد درس الفقه والعلوم الأخرى ، وأنابه الوزير ابن هبيرة عنه في واسط حتى إذا مات الوزير فقد منصبه ولجأ الى الايوبيين في الشام ومصر . وبعد موت صلاح الدين عام ٥٨٩ اعتزل الحياة العامة وأرصد وقته للتأليف إلى أن توفي عام ٥٩٧ (تنظر عنه دائرة المعارف الاسلامية ، بروكلمان ١ : ٣١٤ — ٥ ، ابن خلكان ، ابن قاضي شهبة على الورقة ٥٤ ب ، (مقدمة خريدة العراق المطبوعة) .

ويهمنا من مؤلفاته :

أ - نصرة الفترة وعصرة القطرة - وفي اسم الكتاب اختلاف وخلاصته انه تاريخ سلاجقة العراق . واتخذ العماد تعريبه لمذكرات أنو شروان السابقة الذكر أساساً للنصرة ، ثم أضاف اليها أخباراً معاصرة للمذكرات أو تالية لها حتى أصبح الكتاب ولا غنى عنه في دراسة العصر سياسياً واجتماعياً وأدبياً . ومع أن العماد يظهر في كثير من المواقف أهلا للثقة ، وأنه أخذ على نفسه الأمانة العلمية (ينظر البنداري ص ٤) فنحن لا نجد بداً من بعض التأني في قبول أحكامه ، لانه هو وأسرته زاولوا السياسة والادارة ، ولأنه شديد الاعجاب بعمه المستوفي عزيز الدين ، ولأن تدينه منعه أن يقول في الخليفة - أمير المؤمنين - شيئاً غير المدح والتعظيم .

ومن عيوب « النصرة » اضطرابها وسوء نظامها . اما اسلوبها وما أثقله من سجع وصناعة فذلك يؤدي إلى صعوبة الفهم وإلى ضياع كثير من الحقائق

التأريخية وإلى حشو الكتاب بألفاظ لا طائل تحتها وجمل غير مفيدة .

وفي المكتبة الوطنية بباريس مخطوطة من النصرة لعلها الوحيدة في العالم (ولدى مؤلف هذا الكتاب صورة منها) . تراجع مقدمة هوتسما على الزبدة ومقدمة محمد بهجة الأثري على الخريدة

وفي القرن السابع للهجرة أراد البنداري (الفتح بن علي بن محمد ، مترجم الشاهنامة ومختصر كتاب البرق الشامي) أن يخدم سلطانه الملك المعظم ، فشرع عام ٦٢٣ في اختصار النصرة وهدفه أن يخلص الكتاب من اغلال الصناعة اللفظية ، وقد أتم الاختصار وسماه « زبدة النصرة » ولكنه لم يستطع تحقيق غرضه كاملا ، وعجيب أن يقول هوتسما ، ناشر الكتاب ص ١١١ × × × : إن البنداري قد أدى مهمته أداءً يفوق كل مديح .

واختصر البنداري - فيما اختصر - كثيراً من الاستشهادات الشعرية التي ذكرها العماد وهو يتكلم على أحداث العصر وأعلامه ؛ وخسارة مؤرخ الأدب بذلك غير قليله - وإن كان هوتسما ص ١١١١ × × × قد امتدح هذه الفعلة وعدّها من المحاسن .

وإعجاب هوتسما بهذا المختصر هو الذي دفعه - كما يفهم من كلامه - إلى طبعة بليدن عام ١٨٨٩ م في سلسلة تاريخ السلاجقة ، معتمداً مخطوطة اكسفورد ؛ راجعاً - ما دعت الحاجة - إلى مخطوطة الزبدة ومخطوطة النصرة اللتين تضمها مكتبة باريس ، فجاءت طبعة على كثير من الاتقان . وقد حسب جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ٣ / ٦٢ الكتابين اللذين طبعها هوتسما في هذه السلسلة ترجمتين لكتاب البنداري ، وذلك غير صحيح ، لأن الكتابين - وأحدها بالفارسية والآخر بالتركية - يختلفان عن الزبدة كل الاختلاف[1] .

---

(١) تضم المكتبة الوطنية بباريس ، رقم (٦١٥٢) مخطوطة هي : « الجزء الأول من تاريخ بغداد للعلامة الفتح بن علي بن محمد البنداري - الأصبهاني - » وهو بخط مؤلفه. فرغ منه بالورقة ١١٦ أ سنة ٦٣٩ بدمشق . والكتاب كما نص مؤلفه ، أخبار نقلها عن الخطيب البغدادي وكتاب أبي سعد السمعاني

ومن آثار القرن السابع ، كتاب اسمه « أخبار الدولة السلجوقية نجهل اسم مؤلفه الحقيقي - وهناك من ينسبه لأبي الحسن على القفطي أو لأبي الحسن علي بن منصور بن ظافر بن الحسين الخزرجي المتوفي عام ٦٢٣ (تراجع مقدمة ناشره : محمد إقبال) وقد طبع بلاهور سنة ١٩٣٣ منسوبا لصدر الدين علي بن ناصر الحسيني . وتقترب نصوص هذا الكتاب من « الزبدة » حتى ليكاد يكون مختصراً آخر « للنصرة » - ولكنه لم يشر الى « العماد » و « النصرة » إلا في مكان واحد (ص ٦٩)

ب - خريدة القصر وجريدة العصر - تأثر العماد حين ألف خريدته بدمية الباخرزي ويتيمة الثعالبي وغيرهما . وقد تكلم فيها - عن علم ودراية - على شعراء المئة السادسة خاصة ، موزعين بحسب اقطارهم : العراق ، بلاد العجم ، الشام الجزيرة ... مصر ... المغرب ، الأندلس(ينظر وفيات الأعيان ٢/٤٩٧) . ولا يعتمد العماد - في تبويب الادباء - الاقطار أو النسب أو مدة الاقامة ، انما يعتمد - أول ما يعتمد - المولد ، ولهذا تراه يدرس الأرجاني - مثلا - في قسم بلاد العجم مع ثبوت عروبته ؛ ويدرس ابن الهبارية فى قسم العراق مع طول ما أقام في بلاد العجم ، وفعل مثل ذلك اذ درس الغزي في قسم الشام .

يروي العماد في خريدته كثيراً مما رأى وسمع من حوادث وأخبار ، وينقل عن كتب لم نكن نسمع بأسمائها لولاه ، أو عن كتب عرفناها ولم تصل إلينا ، مثل « زينة الدهر » و « ذيل تاريخ بغداد » ، وإنه ليختار أختيارات كثيرة من دواوين الشعراء ، ومن بين هذه الدواوين ما لم يصل إلينا مثل ديوان ابن الهبارية . وكانت هذه الخريدة مصدراً لعدد من المؤلفين ، ولاسيما ابن خلكان . وليس لأحد أن يدّعي معرفة العصر أو الكتابة عنه دون أن يقف على هذا الكتاب الضخم القيم .

يمكن القول اننا نمتلك مخطوطات أجزاء هذا الكتاب كاملة . وقد نشر

« أماري » الأوراق التي تخص شعراء صقلية ، ونشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة القسم الخاص بمصر سنة ١٩٥١ ـ ٥٢[١] ونشر المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٥٦ الجزء الأول من شعراء الشام بتحقيق الدكتور شكري فيصل[٢]. وربما كان مخطوط قسم العراق أكثر المجلدات وجوداً ، فنسخة ـ تامة أو غير تامة ـ في لندن وباريس وليدن ومونيخ والفاتيكان والقرويين وطهران (سپهسلار) وغيرها . وقد نشر المجمع العلمي العراقي الجزء الأول منه مصدراً بمقدمة مستفيضة بقلم محمد بهجة الأثري . (منها التعريف بالخريدة ص ٨٢ — ١١٩) .

اما مجلد بلاد العجم ، فتحتوي ليدن من مخطوطاته على نسختين (رقم ٢١، ٣٨٤) بخط مغربي ـ تتشابهان كثيراً . وتعوزهما صفحات من البداية وفصول ـ كالفصل المعقود على اصبهان ـ من الوسط . وفي المجمع العلمي العراقي « ميكر وفلم » لاحدى هاتين النسختين ، وعلمت أن المكتبة الوطنية بطهران قد صورت كلتا المخطوطتين. وتضم مكتبة اكسفورد قسما مما يعوز بداية ليدن ، وفي المجمع العراقي صورة له . وفي مكتبة القرويين نسخ لا يسهل الوصول إليها أو الحصول عليها . وسمعت ان المحامي عباس العزاوي يمتلك نسخة منه ، فلما سألته قال : إنها ناقصة ، وإنه ارسلها مع ولده إلى إيران .

وفي الهند مجلدة مخطوطة باسم الخريدة (منها صورة في المجمع العلمي العربي بدمشق) يرجح الدكتور شكري فيصل ان تكون المسودة للمخطط الأول لمجلدات الخريدة .

واختصر علي رضائي الخريدة في مجلد واحد سماه « عود الشباب » ، لا يخلو من فوائد ومن فقر وصفحات ضاع أصلها .

---

(١) ربما ضمت مكتبة جامع القرويين بفاس المجلد المصري أو شيئاً منه

(٢) ربما ضمت مكتبة جامع القرويين المجلد الشامي أو شيئاً منه . وللفصل الذي تقدمه الأصبهاني علي الغزي (ص ٣ ـ ٥٧ من ط . دمشق) أهمية خاصة فيما يتصل بموضوعنا هـ ويعد الدكتور شكري فيصل الجزء الثاني الى الطبع .

وللعماد و - فيما يذكر - كتاب آخر استدرك به على الخريدة ما فاته وذكر ما جد عليه ، قال ابن خلكان في ترجمة العماد : « وصنف كتاب « السيل على الذيل » جعله ذيلاً على الذيل لابن السمعاني . . هكذا قد سمعت ، ثم اني وقفت عليه فوجدته ذيلاً على خريدة القصر » . وقد نقل ابن خلكان عن هذا الكتاب وسماه مرة « الذيل » (ج ٢ ص٣٨١ ترجمة محمد ... الشهرستاني) ومرة « السيل » (٢/ ٢٦٥ ترجمة الشهرزوري) . وفي كوبنهاگن بالدانمارك نسخة باسم « الذيل ... » تضم - أكثر ما تضم - تراجم مصرية ومغربية . وفي المجمع العلمي العراقي صورة لها لم يطمئن الأثري إلى أنها الذيل نفسه - ولعلها مختصر للذيل ولتراجم من القسم المصري أو المغربي . . . ونحن نعلم أن الذيل الأصلي في ثلاث مجلدات .

١٢ — ومع أن المصادر الفارسية قليلة جداً ، بشهادة سوفاجه في مقدمته (١٤٦) ، ولا تفيد إلا في دراسة العصر أو في دراسة شعراء فرس يكتبون بالفارسية ، فان الراوندي المتوفي عام ٥٩٩ هـ يتكلم فى كتابه « راحة الصدور » علي الطغرائي ، والعوفي في « لباب الألباب » علي الباخرزي . كما ان مراجعة تاريخ « گزيدة » تأليف المستوفى لا تخلو من فائدة . و « گزيدة » مترجم إلى الفرنسية والانكليزية . وچهار مقاله الى الانكليزية والعربية .

١٣ — ياقوت : ولد أبو عبدالله ياقوت ببلاد الروم حوالي عام ٥٧٤ هـ وتوفى قرب حلب عام ٦٢٦ هـ بعد أن دخل كثيراً من البلاد الاسلامية ، وفي مرو - حيث مكث زهاء عامين - بدأ يجمع في مكتباتها الأخبار اللازمة لكتبه المهمة (ينظر Huart في دائرة المعارف الاسلامية . وابن خلكان) . ويهمنا من كتبه :

أ— إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب : طبع مرتين ، الأولى بعناية

المستشرق الانكليزي مارگوليوث ، والثانية باشراف الدكتور أحمد فريد رفاعي بمصر ، ويحفظ المؤلف لنا في هذا الكتاب الضخم بعض ما انتهى إليه من مسموعات (إرشاد ، ط ، مارگوليوث ٦/١٧٢) ، وكان ابن الدبيثي احد من روى عنهم ، فقد كان شيخه (الوافي ج ٣ ص ١٠٣) . كما أنه ينقل عن مصادر لم تصل إلينا مثل الوشاح (ينظر فهرس معهد إحياء المخطوطات بالجامعة العربية) و « مشارب التجارب » (الارشاد ٤/٢٠٨ . وينص ياقوت فى مقدمة كتابه على « نزهة الألباء » كما أنه يقتبس من السمعانى . وهكذا يظل ياقوت مهما على تأخر عصره — نسبياً . وقد استقى منه مؤلفون كثيرون ، كالسيوطي في « بغية الوعاة » . ومن المحتمل جداً أن يكون أبن خلكان - وقد ترجم لياقوت - قد استقى من الارشاد عدداً من أخباره .

حين يتكلم ابن خلكان (٣/١٦٢) على مؤلفات ياقوت ، يذكر - فيما يذكر - « إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء » وكتاب « معجم الشعراء » و « كتاب الأدباء » . ويفهم من كلامه هذا وكلام ابن النجار في « المستفاد » أن هذه الأسماء تنتظم ثلاثة كتب مختلفة ، ولكن الشائع اليوم هو أن « إرشاد الأديب » و « معجم الأدباء » كأنهما عنوانان لكتاب واحد (عن معجم الشعراء ينظر ياقوت : إرشاد ٥ — ٦) . ويرى الدكتور مصطفى جواد أن هذا الارشاد المطبوع غير كامل ، لأن الجزء السابع (من طبعة مارگوليوث الذي يتناول حرف الميم) قد اختصره مؤلف غير ياقوت ؛ ومما يلفت النظر فيه أن أكثر أعلامه شعراء ، فلعله جزء من معجم الشعراء المفقود .

ب - معجم البلدان : ويحوي هذا الكتاب (الذي طبع مرة في ليبزك وأخرى في القاهرة وثالثة في بيروت) زيادة على معلوماته الجغرافية ، معلومات قيمة في التاريخ والتراجم والأدب والشعر .

١٤ — ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد الشيبانى الجزري ، ولد فى الجزيرة عام ٥٥٥ هـ ودرس كثيراً ، وساح كثيراً ، وعاش في عدة مدن

كالموصول وبغداد ودمشق وحلب . . . ثم عاد إلى الموصل حيث توفي عام ٦٣٠ هـ . ومن آثاره :

أ ـ الكامل في التأريخ (وينتهي بعام ٦٢٨ هـ) : مصدر مهم في دراسة العصر ، وكلامه على بداية السلاجقة مثلاً ، لا تكاد تجده في مصدر آخر ، حتى في الكتب التي عقدت على السلاجقة . ولا تخلو أخباره الموجزة عن الشعراء من فائدة لتأريخ الأدب . وتتشابه كثير من أخبار ابن الأثير مع أخبار ابن الجوزي ، حتى لكأنه يعتمده ـ ولعلهما اغترفا من بحر واحد ، كعبد الملك بن محمد الهمذاني ، مثلاً . وعندما بلغ ابن الأثير عام ٥٩٧ من كامله وذكر وفاة ابن الجوزي قال : « وتصانيفه مشهورة ، وكان كثير الوقيعة في الناس ولاسيما في العلماء المخالفين لمذهبه ... » .

أخذ من ابن الأثير كثير من المؤلفين المتأخرين ، مثل ابن خلكان وأبي الفدا وابن الوردي وابن خلدون . وقد طبع الكامل في ليدن عام ١٩٥١ ـ ١٨٣١ طبعة محققة مفهرسة ، لم تخل ـ على ما بذل ناشرها من جهد ـ من أغلاط استشراقية ، منها ما كان في التصحيف ومنها ما كان في وزن الأبيات . كما طبع في القاهرة ، في بولاق وغيرها ، عدة مرات ، آخرها طبعة مطبعة الاستقامة .

ب ـ تاريخ الدولة الأتابكية ـ ملوك الموصل . وقد طبع مع الترجمة الفرنسية في باريس عام ١٨٧٩ م ، وظهر فيه ابن الأثير متحمساً للأسرة التي يؤرخ لها . وقد حسب سركيس في « معجم مطبوعاته » هذا الكتاب قسماً من « الكامل » ـ وهذا غير صحيح .

١٥ ــ ابن دحية : المؤرخ الأندلسي أبو الخطاب عمر المعروف بذي النسبين (دحية والحسين) . توفي في القاهرة عام ٦٣٣ بعد أن طاف المشرق ، وألف عدة كتب منها « النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس » ــ الذي نشره عباس العزاوي المحامي ببغداد سنة ١٩٤٦ م . والكتاب يمثل وجهة نظر مؤلف

مؤمن ، شديد الاخلاص للخلفاء مهما يبلغ ضعفهم ، وينقل من حين لآخر من الأخبار والآراء مالانكاد نجده عند من سواه .

١٦ — ابن الدبيثي : (في الوافي ج ٣ ص ١٢ — ١٠٤ : بفتح الدال نسبة الى دبيثا وقد ذكره ابن خلكان بضم الدال المهملة وفتح الباء) : أبو عبدالله محمد بن سعيد : محدث فقيه شافعي . ولد عام ٥٥٨ هـ في مدينة واسط ، وعرف بالدبيثي نسبة الى دبيثا من قرى واسط — وفيها كان أصل أسرته ، وقد توفي ببغداد عام ٦٣٧ هـ (ينظر ابن خلكان ٢ /٣٥٢ ، ابن قاضي شهبة ، و ٦٢ ب ، وعن جده : المخطوط ٢١٣٣ من تاريخه بباريس ، وعن أبية الجزء الثاني من تاريخه) .

من آثاره كتاب ضخم هو « ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد للسمعاني » ونملك منه :

أ - الجزء الأول ، ورقمه ٥٩٢١ من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس . جاء في مقدمته « ... وبعد ، فهذا كتاب يذكر من كان بمدينة السلام من الأئمة المهديين والخلفاء وولاة عهودهم والوزراء وأرباب الولايات والنقباء والقضاة والعدول والخطباء والفقهاء ورواة الحديث والقول وأهل الفضل والأدب والشعراء ومن قدمها من أهل العلم والرواية ... جعلناه تالياً لكتاب التاريخ الذي ألفه تاج الاسلام أبو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني المروزي ومذيلا عليه ... »

بدأ بذكر من اسمه محمد واسم أبيه أحمد ، حتى إذا بلغ الورقة ٢٩٨ بلغ ترجمة جبريل بن صارم ... بن خليف ، ثم قرأنا : « الجزء الثاني والعشرين من أصل ... وهو آخر المجلدة الأولى من هذه النسخة يتلوه ... حرف الحاء ، ذكر من أسمه الحسن ، الحسن بن أحمد بن محمد » .

ب - الجزء الثانى ، ورقمه في باريس ٥٩٢٢ وهو يتمم الأول مادة ونسخاً

وورقا ، حتى اذا انتهى من ترجمة علي بن الحسن ابن هبة الله بن ... عساكر وبلغ الورقة ٢٢٢ ب ، قرأنا : « آخر الجزء الثالث والأربعين من الأصل ، وهو آخر السفر الثاني من هذه النسخة ، يتلوه انشاء الله في أول الثالث علي بن الحسن بن عبدالله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسن ابن المسلمة . كتبه عبدالرحمن ابن عبدالخالق ... الأموي الشافعي من نسخة وقف السلطان الملك الأشرف ... وافق الفراغ منه يوم الثلاثاء ، ثاني عشر جمادي الآخرة من سنة ست وثلاثين وستمائة ... » أي زهاء سنة قبل وفاة المؤلف .

المخطوطتان على احسن ما يمكن من الورق والوضوح . وقد فقدت المجلدة التي تتممها ويكمل بها الكتاب .

ج ـ مخطوطة رقمها ٢١٣٣ في باريس أيضاً ، تبتديء بذكر من اسمه أحمد وأسم أبيه إسماعيل ، حتى إذا بلغنا الورقة ٢١٠ رأينا ترجمة جد المؤلف وهو حجاج بن علي بن الحجاج ابن محمد أبو القاسم ، وعلى الورقة ٢١١ أ : « يتلوه في الثالث حرف الخاء ذكر من اسمه خالد »

د ـ في المجمع العلمي العراقي صورة باسم « مخطوطة ذيل تاريخ بغداد لأبن الدبيثي » ، أصلها في كمبرج ، وتبدأ بعبدالله بن عبدالله ، وتنتهي بعون... وجاء على الورقة ١٨٤ : « آخر حرف العين ، يتلوه في المجلد الرابع حرف الغين المعجمة ، أوله من أسمه غالب . »

نسبت مكتبة كمبرج المخطوطة الى السمعاني ، ورقمها فيها ٢٩٢٤ ؛ ويجزم الدكتور مصطفى جواد ـ بعد المقابلة والمقارنة ـ بأنها من تاريخ ابن الدبيثي

ليس كتاب ابن الدبيثي ذيلاً فقط ، فربما تكلم على من أهمله السمعاني أو من عاصره . ومع أن همّ ابن الدبيثي الأول هو الفقهاء والمحدثون ، فانه لا ينسى الشعر والشعراء .

اختصر الذهبي محمد بن أحمد (٦٧٣ - ٦٤٨) هذا الكتاب لنفسه وسماه ، « المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي » . وقد نشر المجمع العلمي العراقي الجزء الأول منه بتحقيق الدكتور مصطفى جواد عام ١٩٥١ ، وليس لهذا المختصر أن يسد مسد الأصل ، ولعل المجمع العراقي يفكر في نشر المتيسر من كتاب ابن الدبيثي - وهو غير قليل .

١٧ — القفطي : ولد أبو الحسن علي بن يوسف عام ٥٦٨ هـ في قفط من مصر العليا ، وتوفي عام ٦٤٦ هـ . وكان قاضياً للملك الظاهر في حلب ، وكان « جم الفضل . . . إذا تكلم فى فن من الفنون . . . قام به أحسن قيام » وقد « جمع من الكتب على اختلاف أنواعها ما لا يوصف ، وكان ذا غرام مفرط بها » . « ولا يحب فى الدنيا سواها » . « ولما احتضر أوصى بها للناصر صاحب حلب . وكانت تساوي نحواً من أربعين الف دينار » . (ينظر المحمدون ، الارشاد ، فوات الوفيات ، شذرات الذهب ، بروكلمان ، ومقدمة كتاب إنباه الرواة . . .) .

نذكر من آثاره :

أ - « المحمدون من الشعراء وأشعارهم » : و « رتب ذلك على حروف المعجم فى أول أسماء آبائهم » وفي المكتبة الوطنية بباريس نسخة منه رقم ٣٣٣٥ ، والمخطوطة بادية النفاسة ، وربما كانت الوحيدة في العالم . وقد جاء فيها - بعد ترجمة محمد بن سعيد بن محمد بن عمر بن الحسين الرزّاز البغدادي على الورقة ١٣٠ ب — ١٣١ أ : « هذا آخر ما وجدته بخط مصنفه لكنه أحال في أوله على حروف بعد هذا الحرف ، فما أدري هل انخرم الكتاب أو أدركته المنية قبل تمامه . . . وافق الفراغ من نسخه يوم الأربعاء المبارك تاسع عشري رجب الفرد أحد شهور سنة ١١٥٦ » وجاء فى مقدمة النسخة عن الذهبي في العبر : « ... لم يستوعب المؤلف حروف المعجم بتمامها ، بل إلى حرف السين المهملة » .

ب - إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، وهو مطبوع ، وقد كتب على

مخطوطته فى باريس وعلى طبعة ليبسك : « تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى المنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء » .

١٨ — ابن النجار : محب الدين أبو عبدالله محمد بن محمود بن هبة الله ابن محاسن البغدادي ، ولد عام ٥٧٨ هـ ، ودرس الفقه على ابن الجوزي وغيره ، وطوّف كثيراً بين مصر وخراسان إلى أن توفي ببغداد عام ٦٤٣ هـ (ينظر ابن قاضي شهبة و ٦٩ ب ، فوات الوفيات ، شذرات الذهب ، الحوادث الجامعة ص ٢٠٥ ، بروكلمان ١ : ٣٦٠ ، زيدان ٣ : ٧٠) .

ألف ابن النجار - فيما ألف - كتاباً ضخماً هو « ذيل تاريخ بغداد للخطيب » ، روي مرة أنه يقع في (١٦) مجلدة ومرة في (٣٠) مجلدة ، وربما كان صاحب الرواية الثانية يجمع بين أجزاء الذيل وأجزاء كتاب « المستدرك » على تاريخ الخطيب (ينظر المستفاد وشذرات الذهب) .

ومما يذكر من آثاره :

أ - اننا نجد في المجمع العلمي العراقي صورة « المجلد العاشر من ذيل التاريخ المجدد لمدينة السلام تأليف ابن النجار » وقد صورت بوساطة المفوضية العراقية بدمشق ، وربما كانت هذه النسخة هي التي أشار اليها بروكلمان في تكملة تأريخه ص ٥٦٣ . وتبدأ هذه المجلدة بعبد الملك بن ابراهيم وتنتهي بعلي بن الحسين ، ونقرأ بعد ذلك : « آخر المجلد العاشر من هذه النسخة ، وهو آخر المجلد العاشر من هذه النسخة ، وهو آخر المجلد العشرين من الأصل . يتلوه في الذي يليه ... علي بن الحسين بن أبي الحمراء » . هـذا الوصف هو وصف مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق . ويلاحظ الدكتور مصطفى جواد أن تصويرها المحفوظ في مكتبة المجمع العلمي العراقي ناقص من آخره .

ب - وفي المكتبة الوطنيـة بباريس مخطوطة رقمها ٢١٣١ ، تبدأ بترجمة علي بن محمد الدامغاني ، كتب على الورقة الأخيرة منها (و ١٤٥ أ) : « آخر

المجلد الثالث والعشرين من الأصل من التاريخ المجدد لمدينة السلام . وهو آخر المجلد الحادي عشر من هذه النسخة . ويتلوه في أول المجلد الرابع والعشرين من الأصل أول الجزء : الفضل بن محمد ... وافق الفراغ منه فى سلخ جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة . . . على يد علي بن عبدالله بن مسعود السعودي المؤدب » . وأخطأ دسلان مؤلف دليل المكتبة المذكورة ، إذ عد هذا المجلد جزءاً من « تاريخ بغداد » للخطيب . ويفهم من إشارة لبروكلمان (تكملة ١ / ٥٦٣) أنه ينسبه لابن النجار ، ويجزم الدكتور مصطفى جواد فى ذلك ، معتمداً على مطابقة النسخة لأوصاف تاريخ ابن النجار ومطابقة خطها لخط نسخة دمشق ولما ذكر فيها من شيوخ ابن النجار وأسانيده فضلاً عن ذكر أخيه « علي بن محمود بن النجار » .

جـ - اختصر كتاب ابن النجار ، أحمد بن أيبك الدمياطي الحسامي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، ينظر بروكلمان ، التكملة ١ / ٣٦٥) بـ (١٧٨) صفحة سماها « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » . وتملك دار الكتب بالقاهرة نسخة منه بخط المؤلف - منها صورة في المجمع العلمي العراقي ، ولا تخلو مراجعتها من فوائد . ومن قراءة هذا المختصر نعرف عدداً من مصادر ابن النجار نفسه كالهمذاني والسمعاني والعماد ، وربما كان منهم ياقوت وابن الأثير ، ولنذكر أن ياقوتاً الذي التقى بابن النجار قد روى عنه بعض ما سمعه منه من أشعار (ابن خلكان ٣ / ١٦٩) .

١٩ - سبط ابن الجوزى : شمس الدين يوسف بن قزأوغلي سبط الجوزي . ولد عام ٥٨٢هـ فى بغداد وتوفي عام ٦٥٤ هـ فى دمشق . وقد راجعنا من كتابه « مرآة الزمان » : -

أ - المجلد الذي يؤرخ الأعوام ٤٤٠ - ٥١٧ هـ ومخطوطته فى باريس وليدن

ب ـ المجلد الثامن الذي يؤرخ الأعوام ٤٩٥ ـ ٦٥٤ هـ ، وقد نشر مصوراً في شيكاغو سنة ١٩٠٧ م ، ثم طبع على قسمين في حيدر آباد سنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ م . ويقول الدكتور مصطفى جواد : من يقرأ المجلد من أوله إلى آخره يدرك أنه مختصر ، والأصل مخطوط في القاهرة .

وكثيراً ما أعاد السبط كلام الجد ، ولكنه كثيراً ما زاد عليه واستدرك ونقل عن مصادر أخرى . وقدر ابن خلكان « مرآة الزمان » « بأربعين مجلداً » ونقل عنها في « الوفيات » (٣ : ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٦)

٢٠ — ابن خلكان : القاضي الشافعي شمس الدين أحمد بن ابراهيم بن أبي بكر ابن خلكان . ولد في إربل عام ٦٠٨ هـ وانتهى من كتابه « وفيات الأعيان » عام ٦٧٢ هـ وتوفى عام ٦٨١ (تنظر دائرة المعارف الاسلامية ، والصفحات الأخيرة من الوفيات)

نقل ابن خلكان من كتب لم تصل إلينا مثل « زينة الدهر » و « ذيل السمعاني » و « ذيل ابن الدبيثي » ، وكان من مصادره الأخرى : « دمية القصر » وابن الجوزي (تنظر الوفيات ، : ٢٣٥ ، ٢٣٦) ، وليس غريباً ان تغدو « الوفيات » مع تأخر عصرها ـ من المصادر الرئيسة . وقد أفاد منه قبلنا كثيرون ، وتكاد تكون الأخبار التي يرويها « شذرات الذهب » للحنبلي المتوفى عام ١٠٨٩هـ تلخيصاً ، أو نقلاً عن ابن خلكان وذلك فيما يتعلق بالترجمات التي وردت في الوفيات .

وعلى تعدد طبعات الوفيات ، فانها لم تلق العناية اللازمة لمثلها ، وقداعتمدنا نسخة مطبعة الوطن سنة ١٢٩٩ مع مراجعات طبعات اخرى ومخطوطات هنا وهناك ـ منها مخطوطة مختصرة للبارزي ـ ما دعت الحاجة .

٢١ — ابن الطقطقى : محمد بن علي بن طباطبا ، ولد حوالي عام ٦٦٠ هـ وانتهى من تأليف كتابه « الفخري في الآداب السلطانية » عام ٧٠١ هـ ـ

ويهمنا كتابه على اختصاره ، لما فيه من فوائد شعرية ومن منقولات عن مصادر مفقودة (تنظر مقالة Huart فى دائرة المعارف الاسلامية وتناقش ، وقد طبع مرارا فى گوتا وباريس والقاهرة ، وفي طبعة باريس مقدمة قيمة عن الكتاب والمؤلف .) وكان ابن هندوشاه قد ترجمه الى الفارسية وزاد عليه اخباراً أخرى في كتابه « تجارب السلف » المطبوع في طهران ، ويعتزم أحمد ناجي القيسي اعادة « التجارب » إلى العربية بعد مقابلته بالفخري .

٢٢ — ابن شاكر : محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ، وكتابه « فوات الوفيات » وهو مطبوع - يحوي مجموعة من تراجم لم يعن بها ابن خلكان أو سها عنها أو لم تتيسر له معرفة تاريخ وفيات اصحابها . ومن بين التراجم ما هو إعادة بالنص لما جاء في « الوفيات » !

وللمؤلف كتاب آخر ضخم هو « عيون التواريخ » يحتفظ عدد من المكتبات مثل اكسفورد بنسخ من مخطوطات أجزائه .

٢٣ — ابن جماعة : القاضي عزالدين عبدالعزيز بن محمد ... ابن جماعة. ولد بدمشق عام ٦٩٤ هـ ، وتفقه على والده وغيره ، وولي قضاء الديار المصرية مدة طويلة ، وتوفى بمكة سنة ٧٧٦ هـ . وفي المكتبة الوطنية بباريس مسودة تضم الجزء الثالث من معجم شعراء القرن الخامس والسادس والسابع ، وتشمل منهم أعلام حرف الحاء والسين . وهذه « التعليقة » مهمة على نقصها وعلى صعوبة قراءة خطها - وهي بخط مؤلفها ، أنهاها سنة ٧٥٦ هـ (ينظر دسلان فى دليل المكتبة الوطنية رقم ٣٣٤٦ ، وابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية . ١١٧ ب ويذكر أن ابن جماعة يكتب الخط الحسن السريع (!) كما تنظر دائرة المعارف الاسلامية وبروكلمان)

٢٤ — وهناك مراجع أخرى مثل البداية والنهاية لابن كثير وشذرات الذهب للعماد الحنبلي ، لا تكاد تضيف شيئاً ولا تكاد تخرج - فيما

يتصل بالفترة التي نؤرخ لها - عن كونها نقلا أو تلخيصاً لمنتظم ابن الجوزي وكامل ابن الأثير ووفيات ابن خلكان .

وليس بين الدراسات الحديثة ما نشير اليه سوى دائرة المعارف الاسلامية وتاريخ بروكلمان ومقالات الدكتور مصطفى جواد في مجلة « الغري »

هذا استعراض موجز ، هو اشبه بفهرست تاريخي لأهم المصادر العامة للبحث في شعر القرن الخامس - السادس وشعرائه ، وللتأريخ مكان ملحوظ منها . أما الكلام على هذه المصادر فيما يتعلق بكل شاعر منفرداً ، فمكانه - هو وكتب أخرى أقل عموما أو أقل أهميـة - الدراسة التي تعقد على ذلك الشاعر[1] .

---

(١) للمؤلف في الجزء الأول من المجلد الرابع (١٩٥٦) من مجلة المجمع العلمي العراقي مقالة عن المصادر العامة لهذا العصر . ومما يلاحظ أن « المجلة » قد أضافت اليها الحاشية الأولى والثانية والثالثة .

المدخل

(١) سير الأحداث السياسية والحربية[١]

في أواخر القرن الرابع للهجرة[٢] (= العاشر للميلاد)، ترك سلجوق[٣] بن دقاق (او تقان) - رأس الأسرة السلجوقية - بلاد الترك في آسيا الوسطى[٤]، وأقام مع قبيلته الغز[٥] في ضواحي « جند » على ضفة نهر سيحون، وهناك اعتنق الاسلام[٦] اعتناقاً ما.

مات سلجوق تخلف عدة ابناء، أشهرهم ميكائيل وأرسلان. وعند موت ميكائيل أقام أبناؤه الثلاثة. طغرل وداود وبيغو لدى عمهم أرسلان - وكان يحكم إذ ذاك بخاري بالاشتراك مع علي تگين. وفي عام (٤٠٨) عبر السلطان محمود الغزنوي جيحون، فهرب علي تگين من بخاري، ودخل أرسلان وجماعته المفازة. ولما رأى محمود قوة السلجقية وكثرة العدد كاتب زعيمهم واستماله ورغبه، حتى اذا ورد إليه قبض عليه فى الحال ثم أمر بأهله وعشيرته فعبروا نهر جيحون ففرقهم في نواحي خراسان[٧]. ولكن «غزّ» أرسلان هؤلاء

---

(١) لجغرافية البلاد ينظر غير الكتب العربية المعروفة، لسترنج، بارتولد، مينورسكي والأطالس التأريخية.

(٢) مستوفي (عام ٣٧٥ هـ / ٩٨٥م) ص ١٠٥، كروسه ص ٢٠٣

(٣) وذكره ابن حسول على: «سرجق» وقال: «ومنه ابتدأت الدولة ونشأت الدعوة»

(٤) ينظر بارتولد، تركستان، ومقالته في دائرة المعارف الاسلامية

(٥) ينظر في دائرة المعارف الاسلامية: غز، تركمان

(٦) ابن الاثير ٩، ٣٢٢: ٣٢٢، وجاء في د. م. ع، ٤: ٢١٦ « ان اسلام الغز هذا أو اسلام رئيسهم - في الأقل - من المشكوك فيه كثيراً.

(٧) ابن الاثير ٩، ٢٠٩: ٢٠٩ - ٣٢٣، ٢٦٦، البنداري، وعن محمود تنظر دائرة المعارف الاسلامية

- الذين عرفوا بالغز العراقية أو العراقيين - لم يمكثوا طويلا فقد بدأوا سلسلة غزوات دامت حتى عام (٤٢٦) حيث لقوا الخسارة الكبرى عند الموصل [١]

ولما رجع محمود من بخارى ، عاد إليها على تكين ، وعاد معه طغرل وداود وبيغو وأبناء عمهم من الغز ، وعلى أثر سلسلة من المنازعات ، وقعت بينهم وبين صاحب بخارى انهزموا عام ٤٢١ وعبروا جيحون إلى خراسان ، وهناك شنّوا عدة غزوات ، دخل - على اثرها - داود مدينة مرو ، وخطب له في أول جمعة من رجب ٤٢٨ ولقب في الخطبة ملك الملوك [٢] ، بينما دخل طغرلبك نيسابور وخطب له فيها في شعبان من السنة نفسها بالسلطان المعظم [٣] وفي عام ٤٤٣ اتخذ طغرلبك أصبهان عاصمة له [٤] .

بينما كانت هذه الأحداث في بلاد العجم إذ كان العراق في « فوضى » واضطراب ، ولم يكن للخليفة (القائم) ولا للملك البويهي (جلال الدولة) أي سلطان ، وكان الجنود الترك في ثورات متصلة ، وكان البدو والعيارون يهاجمون المدن ، وكانت الفرق المذهبية تضرب بعضها بعضاً . وفي هذه الفترة ، أفلح القائد التركي أبو الحارث أرسلان المعروف بالبساسيري في التمكن من السلطة الحقيقية [٥] .

اقترب طغرلبك من بغداد ، وأرسل الخليفة من ينوب عنه في استقباله ، ثم دخلها في ٢٥ رمضان عام ٤٤٧ مع جيشه يصحبه وزيره عميد الملك الكندري . وقبض على الملك الرحيم — آخر الملوك البويهيين . ولم يطل المكث في بغداد ، لأنه اضطر إلى السير نحو الموصل لاخماد ثورة دبرها

---

(١) ابن الاثير ، ٩ : ٢٦٥ - ٢٧٧ وينظر ابن خلكان ٢ : ٤٣٩ (محمد ... طغرلبك)

(٢) العماد في النصرة (او البنداري في الزبدة) ، ابن الاثير ٩ : ٣٢٧ ، وينظر بيهقي ، حكماء الاسلام ص ٧٠

(١) ابن الاثير ٩ : ٣٢٨

(٤) ابن الاثير ٩ : ٣٨٥ ، ابن الجوزي ٨ : ٢٣٢ . وتنظر عن سير هذه الاحداث الصفحات الأولى من نصرة العماد او من زبدة البنداري .

(٥) ابن الأثير سن ٤٥٠ ص ٤٣٩ - ٤٨٨

البساسيري وقريش العقيلي ونور الدولة دبيس المزيدي . ولما عاد إلى بغداد حظي بالمثول بين يدي القائم ، فخلع هذا عليه وخاطبه بملك الشرق والغرب[١] . ولكن طغرلبك اضطر ثانية الى أن يقصد الموصل ثم همذان لقمع ما فيها من ثورات ؛ وفي أثناء غيبته هـذه أي خلال عام ٤٥٠ أفلح البساسيري في الاستيلاء على بغداد ودعا إلى المستنصر الفاطمي بمصر[٢] ، فخطب له في بغداد والكوفة والنيل وواسط والموصل ، واعتقل الخليفة العباسي بالحديثة . ولم يدم ذلك إلا عاماً واحداً ، فقد عاد طغرلبك في السنة التالية وأعاد الخليفه وهزم البساسيري وسيّر وراءه عسكراً فقتله واحتز رأسه .

توفي طغرلبك عام ٤٥٥ في الري وهو في السبعين[٣] ، وقبض على السلطة بعده ألب أرسلان ابن أخيه داود[٤] . وقد استطاع أن يغلب منافسيه مثل قُتُلمش وقاورد من أعضاء أسرته ثم أوغل في بلاد الخزر ووطد سلطانه في ديار بكر وآمد وحلب ، وأسر أرمانوس ملك الروم . وفي أوائل عام ٤٦٥ توجه لقصد بلاد الترك ، وعبر جيحون فانتصر ثم قتل وهو في الأربعين من عمره .

خلفه ابنه ملكشاه (عضد الدولة أبو شجاع محمد) . وبعد سنتين من سلطته توفي القائم فوليه حفيده المقتدي بأمر الله (شعبان ٤٦٧) . وفي عهد ملكشاه اتسعت رقعة المملكة حتى ضمت ما بين القسطنطينية وكاشغر . وكان وزيره نظام الملك عاملاً مهماً في هذه الانتصارات . وكان هذا الوزير من النفوذ بحيث أثار الحاسدين ونبه مخاوف السلطان نفسه وذلك مما أدى إلى

---

(١) البنداري ١٠ - ١١ ، ابن الجوزي ٨ : ١٨١ - ١٨٣ ، ابن الاثير ٩ : ٤٣٥

(٢) الخليفة الفاطمي الثامن ، ولد عام ٤٢٠ وأخلف أباه الظاهر في ١٥ شعبان ٤٢٧ وتوفى ١٨ ذي الحجة ٤٨٧

(٣) يقرأ عن اخلاق طغرلبك ابن حسول ، العماد في النصرة) ، ابن الاثير .

(٤) وكان طغرلبك قد عهد بولاية عهده لسليمان ابن أخيه دواد ، ولكن الب ارسلان هو الذي غلب .

قتله غيلة عام ٤٨٥ بيد باطني . وفي هذه السنة نفسها توفي السلطان ثم الخليفة فولى المستظهر خليفة وبركيارق سلطاناً .

في عهد بركيارق بدأت الحروب الصليبية ، وازداد خطر الباطنية ، واتسع نفوذ صدقة المزيدي ، واشتدت المنافسة بين رجال الادارة (ومن ذلك ما حدث بين مؤيد الملك ابن نظام الملك ومجد الملك) . كما نازع السلطان عدد من أفراد أسرته ومن بينهم أخوه محمد ، ولم يتوصل الأخوان إلى الاتفاق إلا عام ٤٨٧ . ثم مات بركيارق في ربيع الثاني من عام ٤٩٨ ناصباً على سلطنته ابنه ملكشاه (الثاني) ، ولكن محمداً تمكن من الحكم وسمل عيني ابن أخيه .

اقترن حكم محمد بالاستيلاء على قلاع الباطنية ، وبقتل صدقة المزيدي . وكان الشقاق بين أعضاء الحاشية شديداً حتى وقع السلطان نفسه في أحابيل الخطيبي والسميرمي والدركزيني[1] ؛ وحتى « شارفت الدولة السلطانية انقضاءها وقاربت انتهاءها »[2] . وفي ٢٤ ذي الحجة من عام ٥١١ توفي محمد بعد مرض طويل . ثم لحق به الخليفة المستظهر في ١٦ ربيع الآخر من عام ٥١٢ .

كان محمود بن محمد بن ملكشاه السلطان الجديد ، وكان المسترشد الخليفة الجديد . وفي أيام محمود وقعت عدة ثورات أهمها حرب عمه سنجر[3] ، فقد ثار هذا بخراسان عام ٥١٣ وأصبح السلطان الأعظم ، وأصبح اسمه يذكر بعد الخليفة ، ويليه اسم محمود .

في هذه المرحلة من الحكم السلجوقي استرجع الخليفة شيئاً من النفوذ ، فبعد أن حارب المسترشد دبيس بن صدقة المزيدي وغلبه ، أجبر الشحنة

---

(١) ينظر فهرس الزبدة وابن الاثير .

(٢) الزبدة . (٣) وكان سنجر يحكم خراسان منذ عهد أبيه ملكشاه (الأول) ولاية . ينظر الحسيني (؟) ص ٨٨ -

- وكيل السلطان - على مغادرة بغداد ، وحاول طرد العمال الآخرين إلى واسط ، ولكن السلطان زحف بعسكره إلى دار الخلافة واضطر الخليفة إلى الصلح .

وقعت هذه الحوادث عام ٥٢١ ، وفي عام ٥٢٥ توفي محمود في همذان في السابعة والعشرين من عمره ، وكادت تستقر سلطنة العراق في طغرل بن محمد بن ملكشاه ، ولكن أخاه مسعود بن محمد هو الذي انتصر فذُكر اسمه في الخطبة بعد اسم سنجر .

كان الخليفة أول الأمر إلى جانب مسعود ، ولكنه غيّر موقفه عام ٥٢٩ وقاد جيشاً لحربه فوقع بين يديه ، فدس عليه الباطنية ، وقتل في ذي القعدة من السنة نفسها . وحذا ابنه الراشد حذوه في الحرب ، فحاربه السلطان وخلعه ، وولى المقتفي ابن المستظهر عام ٥٣٠ .

كانت سلطة مسعود في تدهور لكثرة ما لقيت من ثورات ومكائد كان يدبرها المتنفذون أمثال خاصبك والدركزيني وابن طغايرك وبوزابة [١] . أما الخليفة المقتفي فقد لزم الصمت مدة طويلة . حتى اذا مات مسعود عام ٥٤٧ قال : « لا صبر على الضيم بعد اليوم » وطرد الشحنة واستولى على أملاكه وأملاك أشياعه ، وقاد الجيوش وانتصر على كثير من أعدائه ، وملك العراق من أقصى الكوفة الى حلوان ، ومن حدود تكريت إلى عبادان ، واقطع واسطاً والبصرة والحلة ... » وآزره وزيره ابن هبيرة في كل ذلك مؤازرة من الطراز الأول [٢] .

لم يمنع « استقلال » العراق هذا ورود ذكر بعض السلاجقة مثل سليمان

---

(١) ينظر فهرس الاعلام من البنداري وابن الأثير .

(٢) ينظر البنداري ص ٢٣٤ وابن الاثير وابن الجوزي

وفي عام ٥٤٧ نفسه قضى الغوريون على الغزنويين ، وفي عام ٥٤٨ قبض الغز على سنجر .

وفي المقتفي عام ٥٥٥ فخلفه المستنجد ثم المستضيء ثم الناصر ثم الظاهر ثم المستنصر ثم المستعصم - وهو آخر خلفاء بني العباس وقد قهره التتر وقتلوه في ٤ صفر سنة ٦٥٦ هـ .

ابن محمد بن ملكشاه . أما في غير العراق فقد استمر حكم السلاجقة على شكل أتابكة وما أشبه حتى القرن التاسع للهجرة .

(٢) النظم

في العهد السلجوقي - كما في العهد البويهي قبله - سلطتان في آن واحد : سلطة الخليفة وسلطة السلطان[١] ، ويتردد بين هاتين السلطتين ، هنا وهناك ، عدد من الامارات العربية : وربما حاز بعضها الاستقلال أو شيئاً منه .

وخلفاء هذه الفترة عباسيون قادريون[٢] ، وكان لهذا البيت نفوذ خاص ، ويعتقد ابناؤه أن الخلافة من حقهم الثابت . واذا كانت محاولة لنقل الخلافة الى البيت الفاطمي بمصر فانها محاولة ليس غير[٣]

والقاعدة العامة أن الخليفة الجديد هو ولي العهد الذي عينه الخليفة السابق ، ولكن لابد من البيعة ومراسيم البيعة . هذه هي القاعدة ، والذي حدث للمقتفي شيء غير ذلك ، لأنه جاء بارادة السلطان وهو يبحث عن خليفة ضعيف .

وتقوم سلطة الخليفة على الجانب الديني ، وما كان بامكان السلطان أن يصبح شرعياً ما لم يأمر الخليفة بذكر اسمه في الخطبة . ومن هنا كانت حاجة الأمراء من سلجوقيين وغير سلجوقيين الى الخليفة ، ومن هنا كانت الاطاعات تأتي من مكة ، ومن حلب . . . وكان ملك غزنة وملوك الخاقانيـة بما وراء النهر « عبيد الخليفة وخدمه »[٤] ، ويبعث المقتدي تقليده الى يوسف

---

(١) كان الحاكم البويهي يسمى ملكا ، ولكن الحكام السلاجقة كانوا يسمون سلاطين ، وعن حتى ٢ : ٥٧ عن الراوندي في راحة الصدور ص ١٠٥ « ان طغرلبك » كان ... اول حاكم مسلم حملت مسكوكاته هذا اللقب .

(٢) نسبة الى القادر ابن المعتضد . ينظر - مثلا - ابن الجوزي ٨ : ٢٩٤

(٣) تلك هي محاولة البساسيري . ومما يذكر عن المخالفات العائلية ، ما جاء في التاريخ من أن المستظهر « الزم بنت القائم - زوجة طغرلبك - بيتها لانه أبلغ عنها أنها تسعى في ازالة دولته » ينظر ابن الاثير سن ٤٩٧ (٨ : ٤١٩ من ط . الاستقامة) ، وما جاء عن خلاف أخي المسترشد .

(٤) ابن الاثير سن ٤٧٤ (٨ : ١٢٩ من ط . الاستقامة)

بن تاشفين ويلقبه بناصر الدولة فيزيده مكانة . وكان السلاطين السلاجقة - مع ما كانوا عليه من قوة - يتذللون للخليفة ، ولم يحظ طغرلبك برؤية القائم بيسر [١] ، اما ملكشاه فانه حين دخل بغداد « ارسل إلى الخليفة هدايا كثيرة . وطلب أن يقبل يد الخليفة فلم يجب ، فسأل أن يقبل خاتمه فأعطاه إياه فقبله ووضعه على عينيه ، وأمره الخليفة بالعودة فعاد ... » [٢]

يتألف ديوان الخليفة من وزير (ولم يكن له ذلك في العهد البويهي) ، وكاتب إنشاء ، وصاحب مخزن وكاتب زمام ، وقضاة وقاضي قضاة ، ونقباء وحجاب ، واستاذ الدار وصاحب الخبر والمحتسب وصاحب المظالم وآمر الحج ، والمشرف على خزانة الغلات وعمال دار ضرب وشهود ... [٣]

يقيم الخليفة - كسابقيه أيام بني بويه - في الجانب الشرقي من بغداد ، وداره تشرف على دجلة . ويظهر ان بغداد اكتسبت نفوذاً خاصاً ، فكان الخليفة إذا اراد أن يهدد ، هدد بالخروج عن بغداد ؛ ولما ضايق ملكشاه المقتدى ، اقترح عليه انتقاله عن بغداد إلى حيث يختار [٤] . وحين قصد السلطان محمود لحرب المسترشد وبلغ الخليفة الخبر « عبر هو وأهله .. إلى الجانب الغربي .. مظهراً الغضب والانتزاح عن بغداد إن قصدها السلطان ، فلما خرج من داره بكى الناس . . فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه ... فأرسل يستعطف الخليفة ويسأله العودة الى داره ... » [٥]

وتتألف « مالية » الخليفة مما يرث في قصره وإقطاعه في بغداد وواسط وغيرها . وقد ضمنت سنة ٤٥٣ - مثلا - أعمال الوكلاء التي لخاص الخليفة بستة

---

(١) تنظر « النصرة » و١٠ - وعنها في البنداري ص ١٣ - ١٤ - ، وابن الاثير
(٢) ابن الاثير ط . الاستقامة ٨ : ١٤٣
(٣) ينظر الجامع المختصر ص ذ -
(٤) ابن الجوزي ٨ : ٢٩٢
(٥) ينظر ابن الاثير ط . الاستقامة ٨ : ٩٣ وابن الجوزي ٨ : ٢٢١

آلاف كر غله ومائة الف دينار ...[١] وضمن في هذه السنة ابراهيم بن علان اليهودي جميع ضياع الخليفة من واسط الى صرصر مدة سنة واحدة بستة وثلاثين الف دينار وسبعة عشر الف كر وسبع مائة كر[٢]. وكان بنو سلجوق يقدمون الى الخليفة الهدايا الكثيرة والعطايا الجزيلة في مناسبات شتى كالخطبة والزواج كما ان الخليفة قد يتقاضى مالاً من حاشيته[٣]، وكان الوزراء حين يطلبون الوزارة « يبذلون فيها بذولا كثيرة »[٤] .

وتتألف مصروفاته من المرتبات والهدايا والخلع والولائم والسماطات والمهور وما يقطعه للوزراء وغيرهم[٥]. ولا يمكن القول بأن الخلفاء كانوا مبذرين لاهين ، فقد غلب عليهم التقى والزهد ، وما قيل عن الراشد من انه شرب الخمر ليس بذي بال ، لأنه مما أملاه السلطان العدو .

وكانت سلطة الخليفة الدنيوية « صفراً » ، فلا يقدم أمراً ولا يؤخر ، وكانت بغداد جزءً من املاك السلطان[٦] ولم يكن للخليفة « من الأمر إلا الاسم ، لا يتعدى حكمه بابه ولا يتجاوز جنابه »[٧]. واذا قرأنا أن المقتدى كان من الخلفاء المصلحين وان أيامه « كثيرة الخير » فلا يعني ذلك اكثر من انه قد « عمر في عهده الجانب الشرقي من بغداد . وتقدم وزيره الى المحتسب بنفي المفسدات وبيع دورهن فشهر جماعة منهن على الحمير مناديات على انفسهن ، وأبعدهن الى الجانب الغربي ، ومنع الناس من دخول الحمامات بدون مآزر وقلع الهوادي والأبراج ومنع اللعب بالطيور لأجل الاطلاع على سطوح

---

(١) ابن الاثير ط . الاستقامة ٨ : ٣٢١ سن ٥٢٠
(٢) ابن الجوزي ٨ : ٢٢٣
(٣) البنداري ص ٢٣
(٤) ابن الاثير ط . الاستقامة ٨ : ٩٣ سن ٤٥٤
(٥) ابن الجوزي ٩ : ١٠ سن ٤٧٧
(٦) ابن دحية
(٧) ابن دحية ص ٤٤

الناس ... ومنع الملاحين أن يحملوا الرجال والنساء مجتمعين »[١] .

تململت الخلافة قليلاً في عهد المستظهر ، وثار المسترشد والراشد على السلطان ، وكانت الخيبة نصيب كل محاولة من هذا النوع لأن السلاطين كانوا على قوتهم ، وكان لابد من انتظار عام ٥٤٧ حتى يقطع الخليفة نير السلطان .

لقد كان للسلطان السلجوقي كل النفوذ الدنيوي ، وكلما كان هذا السلطان قوياً امتد نفوذه وزاد . وظلت رقعة المملكة تتسع وتتسع خلال حكم السلاطين الثلاثة الأول : طغرلبك وألب أرسلان وملكشاه . ثم حدث النزاع العائلي خلال حكم بركيارق ومن تلاه من التوسع وحال - فيما حال - دون الفتوح الجديدة . ولم يكن لخلفاء مسعود نفوذ يذكر .

وصحيح أن بالسلاطين حاجة شديدة إلى تأييد الخليفة ، ولكنهم - مع ذلك - ومع أنهم سنة ، لم يكونوا أحسن حالاً مع الخلفاء من البويهيين . ومنهم من آذى الخليفة ومنهم من حاربه ، ومن يدري ، لعل طغرلبك كان يطمع بأشياء كثيرة حين « عمل المستحيل » في سبيل خطبة ابنة القائم ، وكذلك كان السلاطين الآخرون يأملون حين يزوجون بناتهم للخليفة أو ابن الخليفة حتى ان ملكشاه حين دخل بغداد في أوائل شوال سنة ٤٨٥ ألزم الخليفة أن يخلع ابنه الأكبر من ولاية العهد ويجعل جعفر ابن بنت السلطان مكانه ويسلم بغداد إليه ويخرج الخليفة إلى البصرة[٢] .

وكانت القاعدة أن يعين السلطان ولي عهده ويفقد هذا التعيين أثره إذا كان ولي العهد ضعيفاً ووجد المنافس القوي ، فمع أن طغرلبك - مثلا - نص على سليمان بن داود ، ان ألب ارسلان هو الذي ولي الحكم[٣] .

ولم يكن للسلطان في حقيقة الأمر مقر دائم ، فهو في حروب متصلة

---

(١) ابن الجوزى ٨ : ٢٩٣ وتنظر ص ٣٠٧
(٢) ابن خلكان ٢ : ٥٩٠
(٣) ينظر مثلا ابن الجوزي ٨ : ٢٣١ سن ٤٥٥

واسفار غير منقطعة وربما كانت أصفهان اول ما يذكر في هذا الباب ، ومن السلاطين من أقام مدة قصيرة في الري أو في همذان . اما بغداد فقد كان للسلاطين فيها « دار المملكة » في الجانب الشرقي ، وكانوا يفضلون شتاءها ومتعها وملاذها – ولم يحدث لألب أرسلان أن دخلها . ولهم فيها من ينوب عنهم وهو « الشحنة »(١) ، واشتهر من الشحن بهروز وكان لبهروز وزير(٢) . وكان في بغداد لوزراء السلاطين وأمرائهم الكبار دور يسكنونها إذا قدموا بغداد(٣) .

والقاعدة « ان السلطنة العظيمة تكون لملك العراق »(٤) وهكذا جرت حتى « سنة اثنتي عشرة وخمس مائة » اذ انتصر سنجر على السلطان محمود « فانتقلت الى ملك خراسان »(٥) وأصبح محمود وخلفاؤه تابعين لسنجر .

وتتألف حاشية السلطان من الوزير (ونائب الوزير) والمستوفي والمنشىء والطغرائي وعارض الجند وصاحب الزمام والحاجب وأمير البار ووكيل السلطان ... والنواب والوكلاء والقاضي . والوزارة أهم مناصب المملكة(٦) ، وقد اتسعت سلطة نظام الملك حتى امتدت إلى وزير الخليفة يعينه ويعزله كما يشاء ، وامتدت إلى السلطان نفسه . ويأتي بعد الوزارة ديوان الاستيفاء – وله الأمور المالية – واذا كان المستوفي مثل عزيز الدين أو مجد الملك فانه يطغى على الوزير نفسه – والطغرائي ، هو صاحب ديوان الطغراء – وهي الطرة التي تكتب في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الغليظ الجلي ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه(٧) وديوان الطغراء

---

(١) كما يرد اسم العميد – عميد العراق ، والوالي

(٢) العماد ، خريدة بلاد العجم

(٣) ابن الأثير ط . الاستقامة سن ٤٨٤ ، ٨ : ١٠٩

(٤) الحسيني (؟) اخبار الدولة السلجوقية ص ٨٨

(٥) الحسيني ص ٩٨

(٦) لتدرج اهمية المناصب والدواوين ينظر البنداري ص ١٠٠–١٠١

(٧) والطغراء لفظة أعجمية . ينظر ابن خلكان ٢ : ٢٨٤ « الحسين ... الطغرائي » وياقوت في معجم الأدباء « الحسين ... » ، ودائرة المعارف الاسلامية مادة طغراء .

يضم ديوان الرسائل والانشاء ، ويتولى صاحبه شؤون الوزارة في الصيد[١] .

والحرب أبرز مظاهر الحضارة السلجوقية ، والسلطان هو القائد الأعلى ، يباشرها بنفسه ، ومن عجائب العمليات الحربية قطع المسافات البعيدة ، فبينما تسمع أن الجيوش في الشام إذا بها تبلغ خراسان ، وقد « غزا الب ارسلان جيحون اول سنة ٤٦٥ على جسر مده وكان معه زيادة على مائتي الف فارس وعبر عسكره النهر في صفر »[٢] وتعددت أسباب الحروب، ولم يتردد السلاجقة عن شنها - ولو لغير سبب - لأن « الحربية » خلق أصيل فيهم[٣]. ولم تتورع الجيوش الغالبة عن ارتكاب ما لا يرتضيه الدين وما لا يقره الخلق .

تكوّن الغنائم مصدراً مهماً لمالية السلطان ، تتبعه مصادر كثيرة أخرى، أهمها الضمانات والاقطاعات والضرائب والمكوس والمصادرة والاستصفاء والأموال الجزيلة التي كان يتقاضاها ثمناً للمناصب ، ثم الهدايا[٤]. ولم تكن خزانة المملكة لتتميز عن « جيب » السلطان ، وكان « خرج » ملكشاه في السنة نحو عشرين الف دينار[٥]. وأتلف السلطان محمود - فيما أتلف - أكثر الثراء الطائل الذي ورثه عن محمد (١٨ ٠٠٠ ٠٠٠ دينار سوى الحلي والاحجار الكريمة)[٦] ولم يكن للمال عند السلاطين قيمة ، فقد كان « النثار » في

---

(١) زبدة النصرة . ويتولى المشرف ديوان الاشراف ، وعلى كثرة تردد هذا الاسم، انه مما يصعب تحديد مهمته ، وربما كانت تتعلق بالمالية « تنظر حاشية هوتسما على مقدمته للزبدة ص VIII » . وعن حاشية السلطان تنظر الزبدة ص ٩٤ ، ١٠٠ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ابن الجوزي ٨ : ٢٠٠ ، ابن خلكان ١ : ٥٨٨ .

(٢) ابن الجوزي ٨ : ٢٨٦

(٣) قال ابن حسول وهو يتكلم على طباع الترك ويبدأ بشجاعتهم « ... مطاعمهم اللحم الذي لا يريدون به بديلا ... ولا يستطيبونه الا ما كان اغتصابا ... ثم عدم رغد العيش في غارة تشن واقتدار يسن »

(٤) ينظر مثلا : ابن الأثير وابن الجوزي وزبدة النصرة

(٥) ابن الجوزي ٩ : ٧

(٦) البنداري ص ١٤١ ومثله في أخبار الدولة السلجوقية عن العماد ص ٩٨

خطبة المقتدى ـ وهو ولي عهد ـ من ابنة ألب أرسلان . « جواهر »[١] وكان اسنجر في خراسان سلطة وسطوة ، وانه حين غلب على غزنة عام ٥٠٨ « حصل لأصحاب سنجر من الأموال ما لا يحد ولا يحصى ... وكان في دور ملوكها عدة دور على حيطانها ألواح الفضة وسواقي المياه الى البساتين من الفضة أيضاً فقلع من ذلك أكثره ونهب ... وفي جملة ما حصل للملك سنجر خمسة تيجان قيمة أحدها يزيد على ألفي ألف دينار وألف دينار ، والف وثلثمائة قطعة ... مصاغ مرصعة وسبعة عشر سريراً من الذهب والفضة »[٢]

وفي عام ٥١٥ « احترقت دار السلطان ... واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجر ما لا حد له من الجواهر والحلى والفرش والثياب ، وأقيم الغسالون يخلصون الذهب وما أمكن تخليصه . وكان الجوهر جميعه قد هلك إلا الياقوت الأحمر »[٣]

ويحب السلاطين السلاجقة الملاهي ومزاولة الصيد ومعاقرة الحسان والغلمان والخمور ... وربما اسهمت بعض خواتينهم في ذلك[٤]

وللسلطان ولآل السلطان ـ غير خزائن المملكة ـ حزائنهم الخاصة مما تدره عليهم اقطاعهم ، ولهم في ذلك المتصرفون من وزراء ومشرفين ، ولأم السلطان وزير خاص .

ولم نقف « للسلاجقة » ما يحسن النص عليه فى تنظيمات القضاء والشرطة وميادين الصناعة والري ، ولكنهم عمّروا عدداً من القصور والأسوار والمساجد ، وفي أصفهان ـ اليوم ـ من آثارهم جامع ضخم ذو أعمدة وأطواق[٥] .

اما إدارة الولايات فكانت تناط بالملوك والأتابكة . والملك ـ كما يظهر ـ هو

---

(١) ابن الأثير سن ٥١٤ « = ط . الاستقامة ٨ : ١١١ »
(٢) ابن الأثير ١٠ : ٣٠٣ سن ٥٠٨ « = ط . الاستقامة ٨ : ٢٦٩ ـ ٢٧٠ »
(٣) ابن الأثير ج ١٠ سن ٥١٥
(٤) البنداري في زبدة النصرة
(٥) وعن بغداد في العهد السلجوقي وغيره ينظر الكتاب الذي سيصدر للدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد نسيم سوسه عن « خطط بغداد » .

ابن السلطان أو أحد أقاربه[١]، وله في ولايته وزيره وظغرائيه ... ولا يمنع شباب الملك أو صباه من إسناد الولايات إليه، لأن الأتابك - الأمير القيّم - يرعاه (ويسيره). وكثيراً ما سعى الأتابكة وراء مطامعهم الخاصة، ومنهم من حرّض ملكه على السلطان، ومنهم من بلغت بهم القوة بحيث أعلنوا استقلالهم وكونوا ما يسمى بالأتابكيات.

(٣) الامارات العربية

الامارات العربية قوى ذات بال و «منظمات» لها آثارها البارزة في الحياة السياسية والادارية والاجتماعية والأدبية. وأهم هذه الامارات: إمارة بني مزيد في النيل والحلة، وإمارة بني أبي الجبر في البطائح[٢]

بنو مزيد:

وبنو مزيد من بني أسد، نزحوا عن خوزستان على أثر خلاف عائلي، بقيادة علي بن مزيد، وحلوا عام ٤٠٥ في النيل - عند بابل. وعندما ما توفي

---

(١) لم يحاول المؤرخون والكتاب أن يحددوا مدلول «ملك»، فقد يطلق على بعض أمراء العرب، وقد يطلق على السلطان نفسه أو وزير السلطان - والخليفة أحياناً. والكلمة تستعمل — في هذه الحالة ويقصد بها مطلق المعنى وليس حرفية الاصطلاح. ولا بأس بمراجعة أبي البقاء، المناقب المزيدية ج ١ و ٤ ب.

(٢) ومن القبائل المشهورة: خفاجة، ولكنها لم تبلغ في الامارة ما يؤهلها هنا لدراسة خاصة. وترد أخبارها في ابن الجوزي وابن الأثير وغيرها. وأكثر ما تذكر، عند النهب والغزو والتخريب.

ومن الامارات ذات الأهمية الخاصة، امارة بني منقذ في شيزر قرب حماه في الشام. تنظر عنها دائرة المعارف الاسلامية، والعماد في الخريدة ج ٣ الورقة ٩٨ أ — ١١٧ أ، ابن الأثير سن ٥٥٢ خاصة، أبو الفداء - ٣ ص ٣٢ — ٣٤، ابن خلكان ٢: ٥٧٧ — ٥٨٠ (المقلد) ١٦ : ١٠٠ (اسامة)، ابن خلدون ج ٤، زامبور ص ١٣٥.

وامارة بني عقيل في الموصل: ينظر عنها العماد في الخريدة ج ٣، ابن الأثير، ابن الجوزي، ابن خلكان، ابن خلدون ج ٤، زامبور ص ١٠٦.

علي سنة ٤٠٨ خلفه في الرياسة ولده دبيس حتى توفي سنة ٤٧٤ ، وحينئذ خلفه ابنه منصور الذي توفى عام ٤٧٩ تاركا الامارة لابنه صدقة .

وصدقة أخطر شخصية مزيدية ومن أخطر شخصيات زمانه ، حاز لقب ملك العرب وسيف الدولة ودانت له بلاد واسعة تضم البصرة والبطائح وواسطا والكوفة وعانة والحديثة والأنبار . وهو الذي شيّد الحلة عام ٤٩٥ واتخذها مقره فأصبحت مركزاً حضارياً له أهميته في حياة العصر .

قتل صدقة عام ٥٠١ على أثر مصاف وقع بينه وبين السلطان محمد لأسباب أهمها اتساع نفوذه وقوة سخصيته . وعندما غلبه السلطان وزع ملكه اقطاعاً اقطاعا ومكن للأكراد فيها . وعمل ابنه دبيس (الثاني) على استعادة الامارة وشغل مكاناً مهما في تاريخ عصره ، وعرف بكثرة حروبه حتى انه ثار أكثر من مرة على الخليفة المسترشد ، إلى ان دبر عليه السلطان مسعود مؤامرة ادت الى قتله عام ٥٢٩ . إن كثيراً من أفعال دبيس الحزبية لا تدل على اتزان أو رصانة .

حكم بعده ابنه صدقة (الثاني) إلى أن قتل عام ٥٣٢ فخلفه أخوه محمد الذي دفعه أخوه علي عن الامارة وهيأ لنفسه نفوذاً كبيراً وأعلن استقلاله وامتنع عن ذكر اسم السلطان فى الخطبة . وظل هو والسلطان بين أخذ ورد حتى توفي عام ٥٤٥ بأسد آباد « واتهم طبيبه بالمواطأة عليه » . ولم يعد لأسرته بعده كيان يذكر ، وظلت الحلة يتنازعها السلاطين والأمراء والخلفاء حتى اذا « بويع المستنجد ، وكان في نفسه شيء من بني مزيد لاجلابهم على بغداد ... أمر بقتالهم وإجلائهم ... وجهد ابن معروف - مقدم المنتفق في أرض البصرة - في قتالهم وسد مسالكهم في الماء ، فاستسلموا ، فقتل منهم أربعة آلاف ، ونودي عليهم بالجلاء من الحلة فافترقوا فى البلاد ، ولم يبق منهم في العراق من يعرف ، وسلّمت بطائحهم وبلادهم إلى ابن معروف والمنتفق وانقرضت دولة بني مزيد »[1] .

---

(١) أهم مصادر بني مزيد : العماد في الخريدة ، قسم العراق (وتنظر النصرة أو زبدة =

بنو أبي الجبر :

ليثيون [١] ، سكنوا البطائح - بين البصرة وواسط - وكانت لهم ولاية البطيحة فيما قبل القرن الخامس وبعده . وكان أبو علي بن أبي الجبر متقدماً في بعض نواحي البطائح ، وقد عصى أيام طغرلبك وهزم الجيش الذي أرسله السلطان لحربه .

ويذكر ابن الأثير أن « المصطنع إسماعيل ... والمختص محمداً ... أخوان ، وهما ابنا أبي الجبر ، وكانت إليهما رياسة أهلها وجماعتها ، فهلك المصطنع وقام ابنه أبو السيد المظفر .. . مقامه ، وهلك المختص محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه ، وصارا ينازعان ابن الهيثم صاحب البطيحة ويقاتلانه إلى أن أخذه مهذب الدولة أيام كوهرائين . . . فعظم أمر مهذب الدولة وصيّره كوهرائين أمير البطيحة فصار ابن عمه وجماعته تحت حكمه » .

وفي شوال سنة ٤٩٧ ضمن صدقة مهذب الدولة مدينة واسط لمدة آخرها آخر السنة بخمسين ألف دينار ، وأقام مهذب الدولة بواسط إلى سادس ذي القعدة ، وانحدر إلى البطيحة ، واستناب في الأعمال أولاده وأصحابه ،

= النصرة) ، ابن الجوزي في المنتظم ٩ — ١٠ ، ابن الأثير في الكامل ج ٩ — ١٠ (وعنه ابن خلدون ج ٤) ، ابن خلكان (ترجمة صدقة ودبيس) ، ياقوت في معجم البلدان (الجامعين ، النيل ، حلة ...) ، السمعاني في الأنساب ، وينظر تجارب السلف لابن هندوشاه (ط . طهران) كما ينظر ديوان مهيار الديلمي ودائرة المعارف الاسلامية ، ولسترنج في بلدان الخلافة الشرقية والملحق الذي عمله شفر لترجمة سياست نامه ، ومختصر المستفاد في تاريخ بغداد لجبرائيل صفر (مخ . في مكتبة المتحف العراقي) ، ومختصر تاريخ الحلة للشيخ يوسف كركوش ، أبو البقاء ، المناقب المزيدية .

(١) أكثر أخبارهم في الخريدة (قسم العراق) ، اشارات في ابن الجوزي ج ١٠ ص ١٦٨ مثلا ، وابن الأثير ج ٩ — ١٠ (= ط . الاستقامة ٨ : ٢٠٩ — ٢١٠ سن ٤٩٥ ، ٨ : ٢٢٢ ، سن ٢٩٧ ، ٨ : ٣٠٧ سن ٥١٦) وعن الكامل ابن خلدون ج ٤ ص ٥١١ ، زامبور ٢ : ٢٠٩ . أخبارنا عن بني أبي الجبر قليلة جداً ، وهذا الذي نذكره أهم ما نعرفه عنهم .

فمدّوا أيديهم في الأموال وفرّطوا فيها وفرّقوها ، فلما انقضت السنة طالبه صدقة بالمـــال وحبسه ثم سعى في خلاصه بدر بن صدقة - وهو صهر مهذب الدولة - فأخرجه من السجن وأعاده إلى بلده البطيحة . وضمن حماد بن أبي الجبر واسطا فانحل على مهذب الدولة كثير من أمره .

كان حماد شاباً فأكرمه مهذب الدولة وزوجه بنتاً له ، وزاد في اقطاعه فكثر ماله وصار يحسد مهذب الدولة ويضمر بغضه ، وقد جرّه ذلك إلى عدة منازعات وحروب كان يقود جيش المهذب فيها ابنه النفيس - انتصر في بعضها حماد بمعونة صدقة . وفي ذي الحجة سنة خمسمائة وقع الاتفاق ، ولكن العداوة ظلت قائمة ، وانتقلت إلى الأبناء . وبهذه العداوة قتل المظفر بن حماد بن أبي الجبر نصر بن النفيس بن مهذب الدولة أحمد بن أبي الجبر وتغلب على البطيحة وتمكن من الامارة وزاد من هيبتها إلى أن قتله عام ٥٥١ [١] أحد أحفاد مهذب الدولة - دون أن يحول بين ابن المظفر والامارة [٢] .

(٤) المجتمع

يحتل القادريون من بني العباس ، وعلى رأسهم الخليفة ، المنزلة الأولى في المجتمع [٣] ، ولابد للخليفة من الوقار [١] ، ومنذ العصور الأولى للخلافة العباسية كان أهلها « طبقة مقفلة » لا يتحدث الآخرون بالزواج من بناتهـا ، ولكن طغرلبك حاول كسر هذه القاعدة بزواجه « الاسمي » من ابنة القائم [٥] « وهذا ما لم يجر لاحد قبله ، فان بني بويه مع تحكمهم ومخالفتهم

---

(١) ابن الجوزي ١٠ : ١٦٨

(٢) ثم صار أمر البطيحة لبني معروف في أواخر المئة السادسة (ابن خلدون ٤ : ٥١٢)

(٣) ابن الأثير سن ٤٥٤ ص ١٢ — ١٤ ، سن ٤٥٠ ص ١٥ — ١٦ من الجزء العاشر

(٤) ابن الجوزي ٨ : ٢٩٢ « ... سواهم من الأسرة مخالط للعوام وجار مجرى السوقة » .

(٥) تنظر زبدة النصرة ، ابن الأثير ، ابن الجوزي ، سيدات البلاط العباسي ص ١٠٨-١٣١

لعقائد الخلفاء لم يطمعوا في مثل هذا ولا ساموهم فعله »[١]. اما الخلفاء انفسهم وكانوا يتزوجون من يشاؤون . وقد تزوج القائم أرسلان خاتون بنت داود السلجوقي[٢] ، وتزوج المقتدي - وهو ولي عهد - بنت ملكشاه[٣] ، بينما تزوج المستظهر بنت ملكشاه الثانية : وكان المقتدى نفسه ابن جارية أرمنية اسمها أرجوان[٤] .

ولا يعني « الشرف » الثراء ، فلم يكن الخليفة وآله من كبار الأثرياء ، ولا سيما اذا قوبلوا بالسلاطين والملوك والأمراء وغيرهم ، فلقد كان الرجل الأغنى هو الأكثر نفوذاً وسلطة ، فكأن القاعدة العامة انه متى ما تمكن إنسان من السلطة لم يعد يفكر في غير جمع المال بكل وسيلة ، ولا أسهل من المصادرات - مثلا .

ثم إن الحدود الطبقية ، مهما تبلغ ، لم تكن لتعوق الطمح من أهل الطبقات الدنيا ، من أمثال الكندري ونظام الملك وابن هبيرة ، من أن يبنوا مجداً جديداً يضاهي الأمجاد التليدة أو يبزها .

ولم تكن تلك الحدود بالمتميزة ، ومع هذا ، من الممكن ان ننسب الى الطبقة المتوسطة العمال وقادة الجيوش والتجار والأطباء ورجال الدين والتعليم والأدب . ومن التجار من تخوله أمواله مكانة غريبة في المجتمع ، ومن اولئك اليهودي الذي سارت البصرة كلها خلف نعش زوجته[٥] . ومن الأثرياء من كان يبذل في طرق الاحسان ، وعرف من هؤلاء عبدالملك بن محمد بن يوسف أبو منصور الملقب بالشيخ الأجل : « كان أوحد زمانه في فعل المعروف

---

(١) ابن الأثير ١٠ : ١٢ سن ٥٤٤

(٢) ابن الأثير وغيره ، سيدات البلاط العباسي ص ١٠٠ — ١٠٧

(٣) ابن الأثير سن ٤٦٤ ، سيدات البلاط العباسي ص ١٣٩ — ١٤٥ ، وعن زوجة المستظهر ينظر ابن الأثير وابن الجوزي وسيدات البلاط العباسي ص ١٤٦ — ١٥٠

(٤) ابن الجوزي ٨ : ٢٩٢ ، سيدات البلاط العباسي ص ١٣٢ — ١٣٨

(٥) سوى القاضي ، ابن الجوزي ٨ : ٣٢٣ سن ٤٧٢

والقيام بأمور العلم ... وافتقاد المستورين بالبر ودوام الصدقة... تولى المارستان العضدي وهو لا يوجد فيه دواء ولا طبيب والمرضى ينامون على بواري ... فطبقه... ورتب فيه ثمانية وعشرين طبيباً وثلاثة خزان وابتاع له أملاكا نفيسة»[١].

واما العامة ـ وهم السواد الأعظم ـ فكانوا مادة الجيش ومنهم الفعلة والصناع والفلاحون، وكانت كلمة «عامي» و «سوقي» سبة[٢]. ولعل مرد ذلك ماكان عليه هؤلاء من جهل وفقر ـ وسوء سلوك أحياناً. هذا إلى ما في نفوس «السادة» من شعور بالتفوق والعظمة. وكان هؤلاء العامة اشد من سواهم تعرضاً للأوباء والفيضانات، والغلاء الذي كثيراً ما اشتد فحمل الناس على أكل الحشيش[٣] والنخالة[٤] وغيرها. وليس غريباً أن تتشوق العامة الى العدالة وأن تكبر العادلين: ومن ذلك ما ذكر عن أبي شجاع وكان وزيراً عادلا «لم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين والشريعة مثله»، فلما عزله المقتدى عام ٤٥٤ وخرج من داره إلى الجامع ماشيا يوم الجمعة «انثالت العامة عليه تصافحه وتدعو له»[٥]. والعاطفة الدينية من أهم ما يحرك العوام، ولهذا نراهم سنة ٤٦١ حين عول الخليفة في الوزارة على أبي الحسن بن عبدالرحيم ثاروا «وقالوا لا طاقة لنا من ظلمه بورود الجحيم»[٦] فكانوا من الأسباب التي حملت الخليفة على أن يعدل عنه. وكان اللجوء إلى الاكثار من الدعاء ليلاً ونهاراً من وسائلهم فى الاستغاثة إذا اشتد الظلم ـ ولو كان الظالم شحنة مثل منكبرس[٧]. وتدينهم هذا هو الذي جعل عواطفهم إلى جانب الخليفة إذا

---

(١) ابن الجوزي ٨ : ٢٥٠ ـ ٢٥٠ سن ٤٦٠، ابن الأثير (ط. الاستقامة ٨ : ١٠٦، ويقرأ مثل هذا في نصرة العماد و ٢٥ ب وتتمتها في و ٢٨ أ، وينظر ديوان صردر ص ١٣٥

(٢) ينظر ابن الجوزي ٨ : ٢٩٢ وتنظر زبدة النصرة.

(٣) مثلا : ابن الأثير سن ٥٠٢

(٤) مثلا : ابن الأثير سن ٥١٢ (ط. الاستقامة ٨ : ٢٨٤).

(٥) العماد في الخريدة. قسم العراق. مط. ٧٨ وتنظر زبدة النصرة.

(٦) العماد، النصرة و ٢٨ ب

(٧) ابن الأثير ١٠ : ٣٧٨ سن ٥١٢

حاجبه السلطان . وهم حاضرون للبكاء اذا اشتدت تهديدات السلطان [١] .

هذه أخلاق عامة المدن ولاسيما بغداد . أما الأعاريب وكأن « اللفظة » لم تكن تشملهم ، فلم يبرهنوا على إيمان رسيس ، وهم مستعدون لأول فرص النهب والاغارة [٢] .

والعيارون - وفيهم المدني وغير المدني - طراز آخر ، تمتد جذوره لعصور سبقت العهد السلجوقي ، ومن درس العصر البويهي عرف خطرهم . وهم على أي حال ، مظهر اجتماعي ذو أساس اقتصادي ، يلبس أحياناً لبوساً دينياً ، وطوراً سياسياً ، ولا يمكن لباحث الاسهاب في دراستهم ، لندرة أخبارهم ، ولأن هذا القليل الذي وصل إلينا لا يبين وجهة نظرهم هم ، وإنما يبين وجهة نظر المؤرخين الذين رأوا فيهم سراقاً وقتلة وفساقاً [٣] ، ويفهم من روح هذه هذه الأخبار أن كلمة « عيار » كانت سبة في العصر ، وكان العيارون حاضرين للنهب ، فما تكاد تسنح فرصة يختل فيها الأمن حتى « يزداد أمرهم وتتكاثر كبساتهم »[٤] ، « وراحوا يقصدون أرباب الأموال ظاهراً ويأخذون منهم ما يريدون ويحملون الأمتعة على رؤوس الحمالين »[٥] . وأكثر ما كان يفضل العيارون من بغداد ، الجانب الغربي ، وربما حملوا الشرطة على تركه ، وربما عجّزوا الشحن [٦] . ولكنهم لم يقتصروا على بغداد . فكانوا - مثلاً - في نيسابور [٧] وفي همذان حيث قتلوا مرة « العميد وسبعمائة رجل من أصحاب

---

(١) ابن الجوزي سن ٥٢٠ وينظر الكامل ١٠ : ٤٥٥
(٢) ينظر مثلا : ابن الجوزي ٩ : ١٦١
(٣) ابن الجوزي ٨ : ٧٣ ، ٤٤ ، ٦٦ ، ٧٥ . وينظر ابن الأثير .
(٤) ابن الجوزي ١٠ : ٨٦ سن ٥٣٤ وغيرها .
(٥) ابن الأثير سن ٥٣٠ ج ١١ : ٢٩
(٦) ابن الجوزي ٩ : ١٣٧ سن ٤٩٧
(٧) ابن الأثير ١١ : ١١١ سن ٥٤٨

الشحنة »[١] . ويظهر أنهم كانوا يجتذبون إلى جانبهم عدداً من آل العناصر الحاكمة مثل والد الوزير وأخي امرأة السلطان أو ابن عمه [٢] . وما كان ذلك ليجديهم كثيراً ، لأن الشدة فى معاملتهم أساس فى الحكم ، ولو أدى ذلك إلى صلب هؤلاء « الآل » [٣] ، يصلبون كما يصلب العشرات ، وكما يقتل المئات ممن « يتعاطى » العيارة ويشتد أمره ويسقط في يده [٤] .

والمعلومات القليلة التي بين أيدينا تدل على أن العيارين كانوا يطمعون بما هو أكثر من السلب والنهب ، فقد كانت لهم منظمات ، وكان لهم رؤساء ، نعرف منهم « البرجمي » وقد ثاروا « عام ٤٢٤ فى جامع الرصافة ببغداد ورجموا الخطيب والقاضي قائلين : إما أن تذكر اسم البرجمي في الخطبة أو انك لا تذكر اسم الخليفة والملك » . وفي عام ٥٣٢ « عظم أمر ابن بكران العيّار ببغداد والعراق وكثر أتباعه . وصار يركب ظاهراً في جمع من المفسدين . . . وخافه الشريف أبو الكرم الوالى ببغداد . وكان ابن بكران يكثر المقام بالسوادة ومعه رفيق له يعرف بابن البزار فانتهى أمرهما إلى أنهما أرادا أن يضربا باسمهما سكة في الأنبار ولكنهما قتلا » [٥] . ومع هذا فقد تجد العيارين منقسمين إلى سنة وشيعة ، وقد تجدهم يحاربون إلى جانب الخليفة كما حدث عام ٥٢١ يوم ناصروا المسترشد [٦] .

ويبدو التنظيم أوضح عند « الفتوة » . ويكاد يكون كل ما نعلمه من أمر هذه الجماعة السرية : أنهم « يدّعون » العمل على نشر الفضيلة ، وأنهم كانوا

---

(١) ابن الجوزي ٨ : ٢٣١ سن ٤٥٥

(٢) ابن الاثير ١١ : ٥٩ سن ٤٣٦ (= ط . الاستقامة ٩ : ٥) ، ابن الجوزي ١٠ : ٩٥

(٣) ابن الأثير ١١ : ٦٣ سن ٥٣٨ ، ابن الجوزي ١٠ : ٩٥

(٤) ابن الجوزي ١٢ : ٧٢ سن ٥٣٢

(٥) ابن الأثير ١١ : ٤٢ سن ٥٣٣ وتنظر ٤٩٥

(٦) ابن الجوزي ٨ : ٦٢ ، ٧٩ وتنظر ص ٧٥ ، ٧٢

على صلة وثيقة بمنظات الفتوة في الأقطار الأخرى كفاطمية مصر - مثلاً .
ويظهر أن هذه الحركة كانت ذات نظام محكم ، وقد ألف أحد رؤسائها ، ابن الرسولي الخباز ، كتاباً فى « قواعد الفتوة وفضائلها » - ولم يصل إلينا الكتاب . ثم إن عميد الدولة قد قبض على عدد من الفتيان . وكانت الفتوة تتخذ ذريعة إلى المصادرة [١] .

ومن الباحثين من يجعل الفتوة والعيارين شيئاً واحداً [٢] .

وأشد خطراً من الفتوة والعيارين حركة الباطنية ، وهي شديدة الصلة بالعامل الاقتصادي . ويقول الباطنيون إنهم إسماعيليون ، وانهم يتميزون بهذا الاسم وبشخصية إسماعيل بن جعفر الصادق [٣] . ويسمون - كذلك - بالقرامطة . وكان عددهم ضخماً ، ولاسيما فى الري وأصفهان وخراسان . وكانوا يمتلكون القلاع الحصينة - اشتهرت منها الموت . وقد أثبتوا في ثوراتهم المتعددة على كثير من القوة والاقدام والشدة والتمسك بالمذهب [٤] .

كانت صلاتهم المتينة بالفاطميين مما لا يشك فيه ، وقد قصد عدد من رؤسائهم مثل ابن عطّاش والحسن بن الصبّاح مصر وأقاموا فيها مدة . ولمذهبهم جوانب متعددة منها الديني ، ومنها الفلسفي ومنها الاجتماعي ومنها الاقتصادي . وقد ذكر نظام الملك وهو يقص تاريخهم أنه : « كان مزدك أول شخص بث في العالم الأديان الفاسدة ... فقد وضع الاملاك مشاعا وقال إن الأموال يجب أن توزع بين الناس .. حسب الحاجات بحيث لا لا يبقى معدما ... » [٥]

---

(١) ابن الجوزي ٨ : ٣٢٦-٣٢٧ (٢) كما فعل الدكتور مصطفى جواد في محاضرته التي القاها في المجمع العلمي العراقي وسيتضمنها المجلد الخامس من مجلة المجمع . وينظر القشيري في باب الفتوة . (٣) الشهرستاني ١ : ١٤٧ (٤) براجع لويس وكتاب الدوري « دراسات في العصور العباسية المتأخرة » ودائرة المعارف الاسلامية .

(٥) نظام الملك سياست نامه ص ٢٤٣ ، وهذا مما دفع المحدثين لدراسة التفسير الاجتماعي والاقتصادي للاسماعيلية والانتهاء بها الى نوع من الشيوعية . ينظر لويس في الفصل الرابع ، والدوري ص ١٧٩ - ١٨١

ولم تصل الينا آثار الباطنية بشكل يسمح باستيفاء بحثهم . ولم تصل المؤلفات والرسائل التي الفها ابن عطاش[1] ولا تلك « المدارج من كتب الباطنية التي وجدت عند قاضي عكبرا »[2] ولـكنهم يظهرون في كتب التاريخ المعروفة - وهي معادية - سفا كين ، نهابين ، « فوضويين » ، مجانا وملاحدة . على أن الباطنية تظهر للناس اول ما تظهر بثوب ديني ، وعن طريق الدين تستهوي الناس.

والمجتمع إسلامي قبل كل شيء و« السنّية » مذهبه « الرسمي » والحنفية مذهب الخلفاء والسلاطين والوزير الـكندري ، ولـكن الشافعية لم تلبث أن « استبدت » وكان نظام الملك من أعاظم معتنقيها والمدافعين عنها والعاملين على تأسيس مدارسها . وللحنابلة أثرهم البين[3]. اما المالـكية فلا يكاد يحس لهم وجود . وكان النزاع عنيفاً بين هذه المذاهب ، كالذي حدث بين الشافعية والحنابلة فى بغداد ، وفي غيرها[4] ، كالذي حدث في نيسابور عام ٤٨٩ « إذ وقعت الفتنة ... فقتـل بينهم قتلى كثيرة ... وكان الظفر للشافعية والحنفية على الـكرامية فخربت مواردهم[5] . وكان المعتزلة يلقون عنتاً ، وينسبهم الناس الى الـكفر ، وكانوا يلعنونهم فى الجوامع . وكادوا يقتلون أحد مدرسيهم[6] وهو أبو علي محمد بن عبدالله بن احمد بن الوليد ، وكان يدرس علم الاعتزال وعلم الفلسفة ، والمنطق فاضطره أهل السنة إلى أن لزم بيته خمسين سنة[7] .

---

(١) الجوزي ٩ : ١٥١

(٢) ابن الجوزي ٩ : ٢٥٠

(٣) يقول ابن الجوزي - وهو حنبلي - ٨ : ٣١٢ : « كان مذهب ابن حنبل الغالب في بغداد » .

(٤) كان الوزير الـكندري شديداً على الشافعية وأكابر فقائها .

(٥) ابن الجوزي ٨ : ١٧٨ سن ١٨٩

(٦) ابن الجوزي ٨ : ٢٣٥ سن ٤٥٦ . وينظر ٨ : ٢٤٨ — ٢٤٩ سن ٤٦٠ ، ص ٢٥٤ سن ٤٥١

(٧) ابن الجوزي ٩ : ٢٠ ، وقد توفي ابن الوليد سنة ٤٧٨ ، وابن الجوزي شديد في كلامه على المعتزلة كأن يقول وهو يتـكلم على ابن الوليد « ولم يكن عنده في الحديث =

والصوفية منتشرة ، وكثيراً ما اتصلت بالشافعية ، وكانت لهم شعائرهم ومدارسهم ومشايخهم وربطهم ، ومن يتصفح التواريخ التي عنيت بالعصر فسيقرأ كثيراً : أن فلاناً تصوف وأن فلاناً شيد رباطاً ، وثالثاً وقف ... ورابعاً اعتزل الناس ، وقد أعلن نظام الملك بأنه صوفي [١] . وإلى جوار المتصوفة، كان الزهاد الذين تجنبوا مغريات الحياة ، وقنعوا بالكفاف - دون أن ينخرطوا في صفوف المتصوفة .

وكانت الشيعة منتشرة كذلك ، وكان منهم في خراسان وفي استراباذ والري وطوس ... ويكثرون في كرخ بغداد ، تحوطهم فيه - إذا قبلنا رواية ياقوت - محلات سنّية مثل باب البصرة ونهر القلائين وباب المحول [٢] . وكانت المنازعات بين السنة والشيعة تكاد تكون متصلة ، وفي الكرخ خاصة ،وكانت الشعائر من الأسباب المباشرة في ذلك [٣] .

ومن الشيعة الزيدية ، وكان لهم في الري - مثلا - مفتيهم ومقدمهم [٤] .

وصحيح أن البويهيين كانوا شيعة ، وأن السلاجقة سنة ، إلا أن الملاحظ هو أن الأسرة الحاكمة وذويها من السلاجقة لم يزجوا انفسهم في النزاع وقد يقفون إلى جوار الشيعة ، ومنهم من كان يزور - إذا قصد العراق - مشهد موسى بن جعفر كما يزور مشهد أبي حنيفة [٥] .

= سوى حديث واحد سمعه من شيخه ... هو ... اذا لم تستحي فاصنع ما شئت ، فكأنهما لم يستحييا من بدعتهما التي خالفا بها السنة » ٩ : ٢٠ وينظر ٩ : ٨٩ سن ٤٨٨

(١) ابن خلكان ١ : ٢٧ (الحسن) .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ٤ : ٢٥٥ (كرخ)

(٣) كانت الشيعة تقصد موسى الكاظم ، وكان من عاداتهم النوح يوم عاشوراء ، وكانت السنة تقصد الزبير ، ينظر مثلا : ابن الجوزي ٨ : ٤٣٩ سن ٤٧٨ ، ابن الأثير (ط . الاستقامة) ٨ : ٥٣ سن ٤٤١

(٤) ابن الجوزي ، سن ٤٤٩ (الكيا يحيى)

(٥) مثلا ، ابن الجوزي ٩ ، ٢٩ سن ٤٧٩

وكتب نظام الملك حين بلغته أخبار الفتنة بين الحنابلة والشافعية في بغداد : « وليس توجب سياسة السلطان وقضية المعدلة أن يميل في المذاهب » . ابن الجوزي ٨ : ٣١٢

وعاش الى جوار المسلمين عدد من النصارى واليهود ، ولم يتسع المجال أمامهم لمزاولة السياسة أو الحرب . ومن المسيحيين من اشتغل بالطب والصيدلة ومنهم من شغل الكتابة ، بينما يفضل اليهود التجارة والضمان . ولا يمكن القول بأن غير المسلمين كانوا يتمتعون بحريتهم كاملة فى إقامة شعائرهم وشغلهم المناصب .

اما من الناحية « العنصرية » فقد كان المجتمع مؤلفاً من عرب وفرس وأتراك وديلم وأكراد وأنباط ، وليس من الغريب أن يغار العربي على العربي وأن يميل الجنس إلى الجنس ، ولكن من العبث أن نبحث وراء هذه العاطفات عن منظمات تقوم على أساس عنصري بشكل شعوبية أو ما يشبه الشعوبية .

وكما تعددت الأجناس ، تعددت الألسن . وقد بلغت الفارسية في هذا العهد حظها من الازهار ، وكان لها شعراؤها الكبار امثال اسدي وناصر خسرو وقطران ومسعود وخيام ونظامي وسنائي وعطار . ولكن العربية ظلت اللغة السائدة وإن جهلها جمهور الأتراك وعدد من السلاطين .

(٥) خطوط الحياة الثقافية

كان الخلفاء ومن إليهم من الأقارب والحاشية على حظ غير قليل من الثقافة ، وقد وجد بينهم المتفقه والمحدث والأديب وقائل الشعر ، وكذلك الشأن فى حاشية السلطان ، اما السلاطين أنفسهم ، ومن مت اليهم من السلاجقة بسبب ، فلم يكونوا على مكان يلحظ ، اللهم إلا ما قيل عن محمود من حفظه الأشعار ، وما نسب إلى بعضهم من أبيات فارسية(٢) ، وما روي عن قتلمش من تعلمه علم النجوم .

وحملة المعرفة الحقيقيون هم الفقهاء والمحدثون وعلماء اللغة والنحو والأدباء

---

(١) ينظر مثلا عوفي ، برون (ترجمة الشواربي) ، شفق (ترجمة محمد موسى هنداوى) .

(٢) ينظر كتاب كوزيده ــ مثلا

والشعراء وكان للاطباء والفلكيين صلة واضحة بالأدب ، وفيهم من زاول النظم .

والعامة جاهلة ، ولا بد من أنهم كانوا يفيدون شيئاً من مجالس الوعظ ، ومن الممكن جداً أن يكون بينهم من شدا مبادىء القراءة والكتابة والحساب ... والتاريخ ، ومن حفظ الشعر ورواه(١) .

وأول وسائل التعليم هو المكتب ، وكثيراً ما نلتقي في المصادر كلمة « معلم » أو « مؤدب » أو « معلم الأدب » ، وكانت المساجد دوراً لدراسة الفقه والحديث والأدب واللغة ، حيث يجتمع التلاميذ على نصف دائرة حول استاذهم ويحتل الألمع فيهم المكان الأقرب من استاذه(٢) . ومن الناس من يقف جزءاً من املاكه على طلبة العلم . ومنهم من يخصص مدرسة لليتامى(٣) أو أن يختص هو نفسه بتعليم الأيتام(٤) .

وكان الحادث الأكبر في العصر تأسيس المدارس النظامية - لخدمة المذهب الشافعي - في كل زوايا البلاد(٥) . ونظامية بغداد التي افتتحت في ١٠ ذي القعدة من سنة ٤٥٩ أهم هذه المدارس(٦) . وهي تهيء للطالب حاجاته من سكن وما الى السكن ، وتقدم له أربعة أرطال من الخبز في اليوم(٧) . وقد بدىء بعمل المدرسة النظامية في ذي الحجة من عام ٤٥٧ ونقض لأجل بنائها بقية الدور الشاطئية بمشرعة الزوايا والفرضة وباب الشعير ودرب الزعفراني(٨) .

---

(١) ابن الدبيثي ٢ : ٩٣ س ٥٥٧
(٢) ابن الجوزي ٨ : ٨٩ وتنظر ص ٩٣
(٣) زبدة النصرة ص ١٣٧
(٤) الخريدة ، مج ١
(٥) ابن الأثير ، الاتابكة ص ١٩ ، أسسها الوزير نظام الملك . ومن لقبه جاءت القسمية
(٦) ينظر عنها ابن الجوزي ، ابن الاثير ، زبدة النصرة .. ومن الكتابات الحديثة : دائرة المعارف الاسلامية ، أسعد طلس ، مصطفى جواد في المعلم الجديد وتفيسي في مجلة المجمع العلمي العراقي .
(٧) ابن الجوزي ٨ : ٢٤٦
(٨) ابن الجوزي ٨ : ٢٣٨

وفي السنة التي بوشر فيها بتشييد النظامية وصل بغداد شرف الملك أبو شجاع محمد ابن منصور مستوفي السلطان ، وكان حنفيا شديداً في حنفيته ، فشيد مدرسة عند قبر أبي حنيفة (١) . بينما بنى منافس نظام الملك وغريمه تاج الملك أبو الغنائم المرزبان بن خسرو مدرسة في بغداد بباب أبرز عرفت بالتاجية (٢) .

وطبيعي أن تلحق بالمدارس مكتبات ، وقد كان للنظامية مكتبة كبيرة (٣) ، وكانت المدن تضم عدداً من دور الكتب العامة التي تحتوي على احسن المجلدات (٤) ، وذلك زيادة على ما فيها من مكتبات خاصة . وقد ورث العهد السلجوقي دور كتب سابقة عليه مثل دار سابور (٥) ودار في البصرة أحرقت عام ٤٨٣ - وهي أول دار كتب عملت في الاسلام (٦) . ومن المحسنين من كان يقف المكتبات لطلاب العلم « وفي رجب - من عام ٤٥٢ وقف أبو الحسن محمد بن هلال الصابي دار كتب بشارع ابن أبي عوف من غربي مدينة

---

(١) ابن الجوزي ٨ : ٢٤٦ ، وعلى ٨ : ٢٤٤ - ٢٤٥ سن ٤٥٩ نقرأ أنه ... في هذه الأيام بنى أبو سعد المستوفي الملقب شرف الملك مشهد أبي حنيفة ، وعمل لقبره ملبناً وعقد القبة وعمل المدرسة بازائه وأنزلها الفقهاء ورتب لهم مدرساً ، فدخل أبو جعفر البياضي للزيارة فقال ارتجالا :

ألم تر أن العلم كان مشتتا	فجمعه هذا المغيب في اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة	فأنشرها فضل العميد أبي سعد

وينظر ابن الأثير (ط . الاستقامة) ٨ : ١٠٥ سن ٤٥٩ ، وابن خلكان ٣ : ٧٩ (نعمان) ويرى الدكتور مصطفى جواد أن الدراسة في هذه المدرسة سبقت الدراسة في النظامية (المعلم الجديد ج ٢ عام ١٩٤٠)

(٢) ابن الجوزي ٩ : ٣٦ سن ٤٨٢ ، وتنظر زبدة النصرة ص ٢١٥ وفهرس أعلامها. وقد درس الشاشي في التاجية عام ٤٨٢ .

(٣) البيهقي ، حكماء الاسلام ص ١٠٢ — ١٠٦ وينظر طلس ، وياقوت ، في ترجمة الأبيوردي .

(٤) ابن الجوزي ٨ : ٦٤ ، ٢١٦

(٥) زبدة النصرة.

(٦) ابن الجوزي ٩ : ٥٣

السلام ، ونقل إليها نحو ألف كتاب[١] . ووقف ابن جزلة الطبيب كتبه قبل وفاته وجعلها في مشهد أبي حنيفة[٢] .

وكان العصر « يعج » بالفقهاء والمحدثين ، وللمرء أن يتصفح مصادر العصر ، ليرى ذلك بارزاً . ومن فقهاء الشافعية :

الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري مؤلف كتاب الأحكام السلطانية وأدب الدنيا والدين[٣] . توفي عام ٤٥٠ عن ٨٦ عاماً .

والقشيري : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن ، مؤلف التيسير والرسالة القشيرية ، ولد عام ٣٧٦ وتوفي عام ٤٦٥ في نيسابور . وكان ابنه عبد الرحمن المتوفى عام ٥١٤ فقيهاً معدوداً .

والشيرازي : أبو إسحاق ابراهيم بن علي الفيروز اباذي ، صاحب المهذب والتنبيه واللمع . . . « ومن أجله شيد نظام الملك مدرسة بغداد ، ولد عام ٣٩٣ بفيروزاباذ وتوفي ببغداد عام ٤٧٦ .

والجويني : إمام الحرمين ضياء الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، ولد عام ٤١٩ قرب نيسابور ، ومن مؤلفاته : الشامل والبرهان ؛ وأسس نظام الملك من أجله مدرسة نيسابور . توفي عام ٤٧٨ .

وابن الصباغ : أبو نصر عبدالسيد بن محمد بن عبدالواحد ، ولد في الري عام ٤٠٠ ، ومن مؤلفاته : الشامل والكامل ؛ ودرس في نظامية بغداد . توفي سنة ٤٧٧ .

---

(١) ابن الجوزي ٨ : ٢١٦ سن ٤٥٢ ، وفي رواية ٩ : ٤٢ سن ٤٥٢ انها نحو « من اربعمائة مجلد في فنون العلوم ، ورتب بها خازناً يقال له ابن الاقساسي العلوي ، تكرر العلماء اليها سنين كثيرة ما لم تزل له أجرة ، فصرف الخازن وحك ذكر الوقف من الكتب وباعها فأنكرت ذلك عليه فقال قد استغنى عنها بدار الكتب النظامية . قال المصنف فقلت ببيع الكتب بعد وقفها محظور ، فقال : قد صرف ثمنها في الصدقات » .

(٢) ابن خلكان ٣ : ٢٥٦ عن مرآة الزمان سن ٤٩٣ . وينظر كتاب « خزائن الكتب القديمة في العراق » تأليف كوركيس عواد ، بغداد ، ١٩٤٨ .

(٣) ويرد على « أدب الدين والدنيا » كما في ابن خلكان .

والشاشي : فخر الاسلام أبو بكر محمد بين أحمد ، ولد في ميّافارقين عام ٤٢٩ ، ودرس فى نظامية بغداد ، وأصبح فيها معيدا للشيرازي ثم استاذاً منذ عام ٥٠٢ حتى وفاته سنة ٥٠٧ .

والغزالي : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد المولود في طوس عام ٤٥٠ والمتوفي عام ٥٠٥ شافعي يتميز بمكان خاص لما له من آثار في التصوف والأخلاق والرد على الفلاسفة .

والشهرستاني : محمد بن عبد الكريم المولود في شهرستان عام ٤٦٩ والمتوفى عام ٥٤٨ والمعروف اليوم بكتابه « الملل والنحل » .

وفي كتاب طبقات الشافعية للسبكي الكثير عن هؤلاء الأعلام وغيرهم ، كما ان ابن خلكان وابن الجوزي يعنيان بالأعلام منهم .

ومن الحنبلية اشتهر أبو الوفاء علي بن محمد بن عقيل البغدادي ، ولد عام ٤٣١ وكان استاذ المذهب ، توفي عام ٥١٣ ؛ وابن الانماطي عبد الوهاب ابن المبارك المولود عام ٤٦٢ والمتوفى عام ٥٣٨ .

وفي ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ، والمنتظم لابن الجوزي ، وشذرات الذهب للحنبلي عشرات ومئات الأسماء والأعلام .

ومن الحنفية : الدامغاني أبو عبد الله محمد بن علي المولود في دامغان عام ٣٩٨ وكان استاذاً في المذهب ، عين قاضي القضاة سنة ٤٤٧ وشغل نيابة وزارة الخليفة مرتين . توفي سنة ٤٧٨ . وكان ابنه أبو الحسن علي المتوفى ٥١٣ قاضياً للقضاة كذلك . ومنهم الزينبي طراد بن محمد المولود سنة ٣٩٨ ، وكان نقيب النقباء فى بغداد ، توفي فيها سنة ٤٩١ . وخلفه ابنه علي المولود سنة ٤٦٢ فى نقابة النقباء ، ثم وزر للمسترشد والمقتفي مدة من الزمن .

وفي كتب التراجم والتاريخ مثل طبقات الحنفية وابن الجوزي وابن خلكان وغيرها كثير من الأخبار والأعلام .

ومن الشيعة : الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي المولود فى طوس

سنة ٣٨٥ . درس في بغداد على الشيخ المفيد ثم على الشريف المرتضى وعمل على نشر المذهب ، وأحرقت داره عام ٤٤٨ فترك بغداد وأقام في النجف حيث توفي عام ٤٦٠ تاركاً مؤلفات مهمة مثل التبيان والاستبصار وتهذيب الاحكام والمبسوط والنهاية والفهرست . ومنهم الطبرسي رضي الدين أبو علي الفضل بن الحسن مؤلف مجمع البيان في تفسير القرآن ، توفي عام ٥٤٨ .

وللتوسع في أعلام الشيعة ينظر الخوانساري والعاملي وآغا بزرك (في الذريعة إلى تصانيف الشيعة) ...

وكان للنساء مشاركة في العلوم الشرعية ولاسيما الحديث والوعظ ، ومن اولئك : خديجة بنت موسى بن عبد الله الواعظة المعروفة ببنت البقال وتكنى أم سلمة . توفيت سنة ٤٣٧ ؛ وستيتة بنت القاضي عبد الواحد البجلي ، وكانت فاضلة توفيت سنة ٤٤٧ ؛ وخديجة الشاهجانية المتوفاة سنة ٤٦٠ ؛ كريمة بنت أحمد بن محمد بن أبي حاتم المروزي من أهل كشميهن من مرو ، قرأ عليها الأئمة كالخطيب وابن المطلب والسمعاني وأبي طالب الزيدي ، توفيت بمكة سنة ٤٦٣ ؛ والماوردية البصرية المتوفاة عام ٤٦٦ ؛ وفاطمة بنت الأقرع الكاتبة ، قال ابن الجوزي : « حدثنا عنها أشياخنا... » « أنها أهلت لحسن خطها لكتابة كتاب الهدنة إلى ملك الروم في الديوان العزيز ، وسافرت إلى بلاد الجبل إلى عميد الملك أبي نصر الكندري ، وسمعت شيخنا أبا بكر محمد بن عبد الباقي البزار يقول : الكاتبة فاطمة بنت الأقرع تقول : كتبت ورقة لعميد الملك الكندري فأعطاني الف دينار » . توفيت عام ٤٨٠ ودفنت بباب أبرز ؛ ورابعة بنت حكيم المتوفاة عام ٥١٢ ؛ وفاطمة بنت الحسين بن الحسن ابن فضلون الرازي ، وكانت واعظة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات ، سمعت من أبي بكر الخطيب وغيره . توفيت سنة ٥٢١ ، وشهدة فخر النساء بنت أحمد بن الفرج بن عمر الابري الكاتبة الدينورية الأصل البغدادية المولد والوفاة « كانت من العلماء ، وكتبت الخط الجيّد وسمع عليها خلق كثير ، وكان لها السماع العالي ،

ألحقت فيه الأصاغر بالاكابر ... واشتهر ذكرها وبعد صيتها » . « تزوجت بيعض وكلاء الخليفة [المقتفي] وعاشت مخالطة للدار ولأهل العلم » توفيت عام ٤٧٤ وقد نيفت على تسعين سنة وقاربت المائة ، ودفنت في باب أبرز [١] .

وتميز الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر المولود في زمخشر من خوارزم عام ٤٦٧ والمتوفي عام ٥٣٨) زيادة على آثاره في التفسير والحديث اذ ألف الكشاف والفائق ، بآثاره في اللغة والنحو إذ ألف أساس البلاغة والمفصل .

وعرف العصر (غير الزمخشري) كثيراً من اللغويين والبلاغيين منهم الجرجاني (أبو بكر عبدالقاهر مؤلف دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة - المتوفى عام ٤١٧) والزوزني (الحسين بن أحمد بن الحسين أبو عبدالله ... شارح المعلقات السبع - المتوفي سنة ٤٩٦ « ؟ ») والتبريزي (أبوزكريا يحى بن علي .. الشيباني ، وكان إماما في اللغة والنحو وشيخ الأدب في نظامية بغداد ومؤلف شرح القصائد العشر وشرح حماسة أبي تمام وشرح ديوان المتنبي وشرح سقط الزند ... - توفي عام ٥٠٢) والراغب الأصفهاني (أبو القاسم حسين بن محمد مؤلف المحاضرات - توفي سنة ٥٠٢) والحريري (أبو محمد القاسم ... ابن الحريري المولود عام ٤٤٦ في المشان بالبصرة ، ومؤلف درة الغواص وملحة الاعراب ، والمقامات - توفي سنة ٥١٥) والميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد مؤلف مجمع الأمثال - توفي عام ٥١٨) والجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد ، تلميذ التبريزي وخليفته في تدريس الأدب في نظامية بغداد ، ومؤلف المعرّب وشرح أدب الكاتب ، وتتمة درة الغواص - ولد ببغداد عام ٤٦٦ وتوفي بها سنة ٥٣٩) وابن الشجري (الشريف أبو السعادات هبة الله بن محمد بن حمزة

---

(١) ينظر ابن الجوزي (وغيره) تحت أعوام وفياتهن . وعن شهدة ينظر ، غير ابن الجوزي ، ابن خلكان ١ : ٤٠٤ — ٤٠٥ ، وهامش ص ٤٨ من تكملة اكمال الاكمال .

العلوي - ولد عام ٤٥٠ ، وحل محل أبية الطاهر في نقابة العلويين في الكرخ وكان استاذ ومؤلفاً لعدة كتب في الأمالي والحماسة والمختارات - توفي عام ٥٤٢) ؛ وابن الخشاب (أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن أحمد المولود في بغداد سنة ٤٢٢ والمتوفي سنة ٥٦٧ أو ٥٦٨) وابن الانباري (كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد ، ولد عام ٥١٣ وكان من تلامذة الجواليقي وابن الشجري ، ثم مدرساً للنحو في النظامية . وله الانصاف ، وأسرار العربية ، ونزهة الألباء - توفي سنة ٥٧٧[١] .

اما المؤرخون فمنهم الخطيب البغدادي المتوفي عام ٤٦٣ وغرس النعمة (أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي ، ذيّل على تاريخ والده الذي ذيل على تاريخ ثابت بن سنان - توفي عام ٤٨٠ ولم يصل الينا كتابه ، ينظر ابن الجوزي ٩ : ٤٢ ، ابن الأثير ١٠ : ١٠٨) والوزير أبو شجاع (محمد بن حسين الروذراوري الذي ذيّل تجارب الأمم لمسكويه - توفي سنة ٤٨٨) والهمذاني (محمد بن عبدالملك) وانو شروان اللذان مر ذكرهما ص ٢١) . كما أن ابن الجوزي والعماد اللذين توفيا عام ٥٩٧ عاشا ردحاً من الفترة التي نؤرخ لها .

اما في العلوم المنقولة فمن الأطباء : ابن جزلة (أبو علي يحى بن عيسى المتوفي سنة ٤٩٣)[٢] ومعتمد الملك (أبو الفرج يحى بن صاعد بن يحى ابن

---

(١) ينظر عنهم وعن غيرهم من اللغويين والنحاة ابن الانباري ، وابن الجوزي ، والقفطي ، وابن خلكان ، وياقوت (في معجم الأدباء) ، والسيوطي (في بغية الوعاة) ... ودائرة المعارف الاسلامية ... الخ

ويفهم من كلام بروكلمان في دائرة المعارف ج ١ (مادة الأنباري) ص ٣٠٣ ان ابن الأنباري درس على ابن الشجري في النظامية ، وهذا غير ممكن لأن النظامية وقف على الشافعية .

(٢) ابن خلكان ٣ : ٢٥٥ — ٢٥٦ ، مرآة الزمان سن ٤٩٣ ... ابن أبي اصيبعة ، القفطي ، دائرة المعارف الاسلامية .

التلميذ المتوفي حوالي عام ٥١٢)[١] وأمين الدولة (سلطان الحكماء أبو الحسن هبة الله بن صاعد بن هبة الله ، سبط أبي الفرج المتوفي عام ٥٦٠)[٢] وأوحد الزمان (أبو البركات هبة الله بن ملكا المتوفي حوالي سنة ٥٧٠)[٣] . وكان الطغرائي الشاعر معدوداً من أهل الكيمياء ، وكان عمر الخيام والاسطرلابي (أبو القاسم بديع الزمان هبة الله بن يحى المتوفي ٥٣٤) ممن زاول الفلك وعرف به . والخيام هو الذي عمل التقويم الجلالي (نسبة الى جلال الدين ملكشاه)[٤]

اما في الأدب الانشائي فكان النثر مثقلا بالصناعة اللفظية وما تقتضيه هذه الصناعة من تكلف الجناس والطباق والسجع مما كان يطرب له المعاصرون ومن جاء بعدهم . والأمثلة التي وصلت الينا من النثر قليلة جداً ، وقوامها عدد محدود من الرسائل ، وخطب الكتب ، ويمكن عد كلام الباخرزي في « الدمية » والعماد في « النصرة » وغيرها من هذا النثر ، وتتضمن مقامات الحريري أشهر نصوص الانشاء الأدبي في العصر .

---

(١) العماد في الخريدة ج ١ ، القفطي ، حكماء ، ص ٢٢٨ — ٩ ، ابن أبي اصيبعة ١ : ٢٧٦ — ٨ ، ابن خلكان ٣ : ١٢٦ .

(٢) العماد ، الخريدة ، ج ١ ، القفطي ج ١ ، ابن أبي اصيبعة ١ : ٢٥٩ ، البيهقي (علي) ، حكماء الاسلام ص ١٤٤ — ١٤٦ ، الحنبلي ، شذرات ٤ : ١٩٠ ، بروكلمان ١ : ٤٨٧ ، سارتون ٢ : ٢٤٣

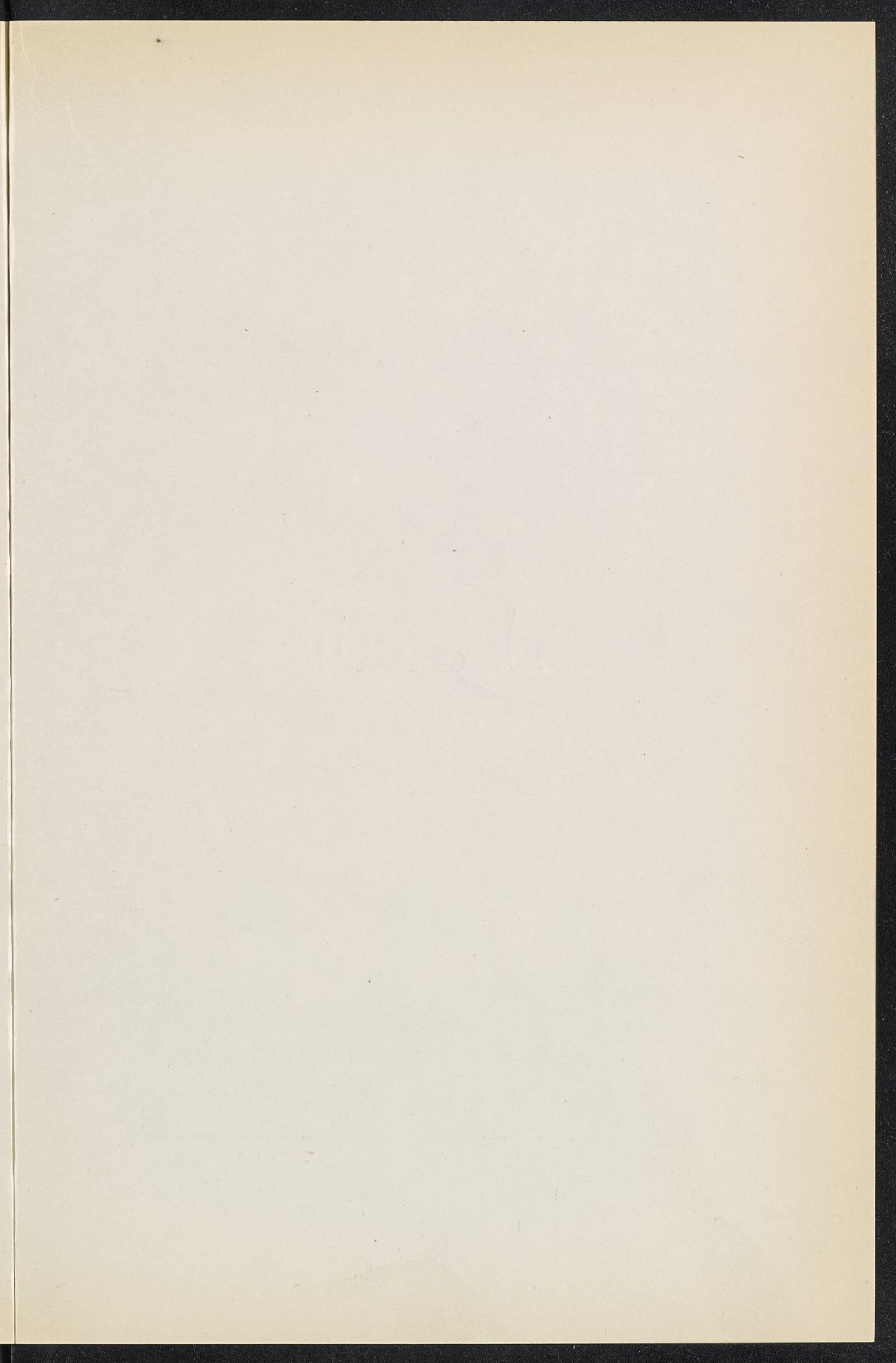
(٣) العماد في المجلد الأول من الخريدة ، القفطي ٢٢٤ — ٧ ، ابن أبي اصيبعة ١ : ٢٧٨ — ٢٨٥ ، البيهقي ص ١٥٢ — ١٥٤ (ويذكر انه توفي عام ٥٤٧) ، ابن خلكان ٣ : ١٢٩ ، بروكلمان ١ — ٢٦٠

(٤) وجاء في حتي ٢ : ٤٦١ أن « هذا التقويم أكثر ضبطاً ودقة من التقويم الغريغوري الذي يؤدي الى خطأ مقداره يوم في كل ٣٣٣٠ سنة بينما الخطأ الذي ينجم عن تقويم الخيام هو نحو يوم في كل ٥٠٠٠ سنة » .

الباب الأول

الشعراء

(مصادر دراستهم — حياتهم — آثارهم)



كان العصر البويهي قد شهد اتجاهين مختلفين كل الاختلاف ، يمثل الأول منهما شعراء كالمتنبي والشريف الرضي ، وهو استمرار لخط تقليدي في الأغراض - بما فيها من فخر ومدح وغزل ... وفي التراكيب - بما تقتضي من متانة وشدة وفخامة ، ويمثل الثاني ابن الحجّاج وابن سكّره ، وقد سماه ابن الحجاج والنقاد والمعاصرون والقدامى ، شعر السخف ، وأخص مزايا هذا السخف، ذكر ما لا تستسيغه الأخلاق العامة مما يتعلق بالأمور الجنسية و « المرحاضية » ثم العبث بالمقدسات والأديان . والضحك والاضحاك من مقاصده . ويتبع هذا السخف في الموضوعات المطروقة سخف في الأساليب ، إذ يتعمد الركاكة التي تقربه من اللغة اليومية السُّوقية ، ويتعمد استعمال كل المفردات ، بما فيها غير الشعرية والعامية والدخيلة وحتى الأجنبية أحياناً . ولهذا السخف مقدمات في العصور السابقة على العصر البويهي ، ولكن الذي يكاد يعقد الاجماع عليه ، هو أن أبا عبدالله الحسين بن الحجاج المتوفي عام ٣٩١ هـ زعيم هذه المدرسة ، إن لم يكن مؤسسها ، وقديماً سئل الشريف المرتضى عن ابن الحجاج وامرئ القيس فقال : « ما بينهما مثلها . »[١]

إستمر هذان الاتجاهان في العصر السلجوقي ، وكان خير من يمثل الخط التقليدي فيه : الطغرائي والأبيوردي ، ويتحلق حولهما خلق كثير منهم : صردرو الباخرزي ، وابن الشبل ، وشبل الدولة ، والسنبسي ، والغزي ، وابن أفلح ، والأرجاني وابن أبي الفتوح والحظيري وحيص بيص ... أما السخف ، فقد وجد عوضاً عن عميده ، خليفة يضاهيه ، هو ابن الهبّارية . وبرز فيه عدد من الشعراء منهم : البارع ومرجّا وابن القطان (وشيطان العراق) .

---

(١) للمؤلف دراسة مفصلة عن ابن الحجاج ، وتحقيق لمجلد ضخم من منتخبات شعره .

الفصل الأول

الطغرائي

مصادر دراسته

(١) ـ ديوان الطغرائي المطبوع ومما فيه: عائلته ص٥٩ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ـ ١١٧ ؛ زوجته ٨٠ ـ ٨٥ ؛ صلاته بساسة عصره ص ٣ ـ ٥٨ ، ٨٩ ، ١٨٢ ، ١٤١ ؛ صلاته بالعلماء والأدباء ٨٦ ، ١٣٣ ـ ١٣٦ ، ١٤١ ؛ عزلته ٦٢ ، ٧٩ ، خلفه ٧١ ، ٧٨ .

ولا يغني المطبوع عن مراجعة المخطوطات . وفي مؤلفات الطغرائي الأخرى ما لا يخلو من فائدة

(٢) ـ ديوان الغزي ، مخ . باريس ٥٥ـ٥٧ (= ديوان الأبيوردي المطبوع ص٤٨ـ٥٠) ، ١٠٢ ـ ١٠٤ (= ٧٢ ـ ٧٤) : يمدحه ويتكلم قليلاً على عائلته وأخلاقه وعلمه .

(٣) ـ السمعاني :

(أ) ـ الأنساب ، مادة المنشيء ، و٥٤٣ أ : نسبه ، إطراء (ويظهر أن كلامه كان في الأصل أطول ، يراجع زيدان ٣ : ٦٤ وابن خلكان ١ : ٢٨٤ .

(ب) ـ مذيل تاريخ بغداد ، في مخطوطة مختصره بليدن ، و٤٣ ـ ٤٤ : اصبهان ، معارفه ، تفوقه فى الشعر والنثر ، جلاله ، استشهاده عام ٥١٨ ، مختارات من شعره ، من مصادره كتاب سر السرور .

(٤) ـ الحظيري ، زينة الدهر بنص ابن خلكان ١ : ٢٨٧ (يقارن عاطف) .

× ـ ولم يتكلم عليه ابن الجوزي

٥ - العماد

(أ) - النصرة ، الورقة ١٣٩ أ ، ١١٣ ، ١١٩ أ ، ١٢٠ ب ، ١٣٩ أ ، ١٤٠ ب : طغرائي ، عزلته ، استشهاده ، وقد احتفظ بها البنداري في الزبدة ص ١١٠ ، ١١٦ ، ١٣٢ ، ١٧٤ ، أما أخبار الدولة السلجوقية فلم يذكر إلا ما تعلق بالاستشهاد ص ٩٧ .

(ب) - الخريدة ، مجلدة بلاد العجم ، لم تكن نسختا ليدن كاملتين ، وكانت ترجمة الطغرائي بين ما فقد من أوراقها . وضمت مخطوطة مجلدة الأندلس (باريس رقم ٣٣٣٢) صفحات من هذه الترجمة - حشرت في المجلد غلطا ، وفيها : موته عام ٥١٥ ، مختارات من شعره ، وحفظ الصفدي فى شرح اللامية ص ٧ - فقراً نقلها عن الخريدة مما يتعلق بخدمته السلاطين ، وبراعته في الترسل والنظم وفنون العلم والكيمياء ، مما يتعلق بقتله (وقد نقل ناشر وفيات الأعيان في طبعة دار المأمون هذا الذي حفظه الصفدي فى هامش ترجمة ابن خلكان للطغرائي ، ولم يذكر الناشر مصدره ، انما ظهر وكأنه ينقل عن الخريدة مباشرة)

وفي مختصر الخريدة الذي عمله الشيخ علي رضائي ووسمه بـ « عود الشباب » صفحات ذات بال ، فى باب « فضلاء أصفهان وجرباذقان » ومنها : نسبة الدئلي ، خدمة السلاطين ، براعته ، الكيمياء ، استشهاده ، اللامية وغيرها . وقد حفظ الصفدي وهو ينقل عن الخريدة أكثر ما حفظه رضائي في مختصره . ومن مقابلة « عود الشباب » نعلم أن ياقوتاً روى عن « الخريدة » دون أن ينص عليها.

وترد للطغرائي ، في الخريدة ، اخبار تأتي عرضاً في تراجم ادباء آخرين ، كهذا الذي ذكره العماد (مخ . اكسفورد) مما يتصل بالخمرة ، والذي ذكره في مجلدة الشام وهو يتحدث عن الغزي وما كان بينهما من مكاتبات ص ٢٧ .

(٦) - الراوندي : راحة الصدور ٢٢٩ - ٢٤١ : ثناء ، ٢٢٥ وزارة

مسعود ، الراوندي يقرأ في حضرة سلطانه قصيدة من شعر الطغرائي (= الديوان ٥ - ٨) دون أن يذكر اسمه . وقد يسوق الراوندي في معرض كلامه على الأعلام والأحداث شعراً لا يتصل بزمنها كفعله وهو يثني على كيخسرو وقليج ص ٢٢ إذ ذكر ستة أبيات هي مطلع قصيدة للطغرائي مدح بها مجد الملك (= الديوان ٤١ — ٤٢) ، وحين تكلم على سنجر ص ١٧٠ — ١٧١ ذكر عشرة أبيات (= الديوان ٧٥ — ٧٦) . وقد نبه الناشر على هذه التضمينات .

(٧) - ياقوت ، إرشاد ، ٥ : ٥٢ — ٦٠ الوحيد الذي يذكر ميلاده . ينقل عن الخريدة دون أن ينص عليها - وقد رأينا ذلك - مؤلفاته في الكيمياء ، قتله مشدوداً إلى جذع شجرة ، مختارات ، يذكر اللامية منسوبة إلى العجم ؛ ٦ : ٣٥٨ يرثي الأبيوردي (يقارن ديوان الطغرائي ص ٨٤) ؛ ٦ : ١٨٣ — ١٨٦ جوابه على تهنئة الحريري عام ٥٠٩ ؛ : ٦ ٢٠٨ ، ابن أخت الشاعر : مخلص الدين كاتب سنجر .

(٨) - ابن الأثير

(أ) - الكامل ، ١٠ : ٣٩٥ — ٣٩٦ سن ٥١٤ مهم لتاريخ المصاف بين مسعود ومحمود ، قتله ، عمره ، مدة وزارته .

(ب) - الأتابكة ص ٤٢ — ٤٣ في الموصل .

(٩) - ابن النجار ، ذيل تاريخ بغداد . مما وصل الينا في « مستفاد » الحسامي : ديلمي (؟) (= دئلي) ، ويمكن أن نلمح خلال السطور العماد وابن الأثير .

(١٠) - سبط ابن الجوزي ، المرآة سن ٥١٤ : الدئلي ، أسباب قتله ، خادمه وقتل السميرمي عام ٥١٦ ، حفيده . وهكذا يستدرك السبط ما فات الجد .

(١١) ابن خلكان ١ : ٢٨٤ - ٢٨٧ (الحسين) ، ترجمة مهمة ، رأينا مصادر عناصرها عند العماد . ورأينا أمثالها عند ياقوت وسبط ابن الجوزي ، وينص

ابن خلكان على « أنساب » السمعاني وزينة الحظيري ونصرة العماد ، ويروي عن أبي البركات أحمد بن المستوفي مؤلف تاريخ أربل : أن الطغرائي كان وزيراً في هذه المدينة (!) ونقل الخبر عنه الصفدي والبارودي من دون تحقيق ؛ ١ : ٤٦٠ مقارنة مع ابن الدهان ؛ ٢ : ٥٣١ مسعود ؛ ٣ : ١١٣ ابن الشجري يروي أربعة من أبياته (قارن الديوان ص ٦٧) .

وفي مختصر الوفيات الذي عمله البارزي و ٣٩ ب أخبار لم نجدها فيما بين أيدينا من نسخ ابن خلكان : دئلي ، أبيات رويت عن أسامة بن منقذ والعزيز المستوفي .

(١٢) ـ الصفدي

(أ) ـ الغيث ١ : ٦ — ٩ ينقل عن العماد ، ويمكن لمح ابن الأثير ـ وربما ابن خلكان ـ خلال السطور . ولو كان الصفدي ممن راجع « الارشاد » وتنبه الى دقائقه لما أتعب نفسه في محاولة ايجاد تاريخ ميلاد الشاعر أو تقريبه . ويذكر الصفدي مؤلفات الطغرائي ومنها المقاطيع . إن ضخامة كتاب الصفدي لم تنفعنا بشيء يستحق الذكر ، ولكن هذه الأخبار التي نقلها عن غيره ، ستكون مصدراً لأكثر شرّاح اللامية .

(ب) ـ الوافي ج ١١ مخ . المجمع العلمي بدمشق ص ٨٨ ينقل أخباره عن ابن الأثير وياقوت وابن خلكان دون أن ينص عليهم . إطراء لامية العجم ، شرحه لها .

(١٣) ـ إبن جماعة ، التعليقة ، و ٧٣ أ — ٧٥ ب ... الديلمي (؟) ، طغرائي محمود ثم مشرف ، عزله . أبيات رويت عن السمعاني أو عمن سمع الشاعر شفاهاً مثل الشهرزوري وابن الشجري وابن الاخوة . اللامية من غير غزل .

بقيت مصادر قديمة ، ولكنها لا تكاد تعدو في مجموعها أن تكون تكراراً أو تلخيصاً لمصادر أقدم ، كابن الأثير وابن خلكان والصفدي ، وهذه هي : ـ

إبن أبي أصيبعة : ٢٦٧ (وينظر ديوان الطغرائي ص ١٤١) - ابو الفداء ٢ : ٢٤٧ سن ٥١٥ - الذهبي في العبر (؟) ٢ : و٤٥ سن ٥١٤ ، دول الاسلام ٢ : ٢٨ - ٢٩ - ابن الوردي ٢ : ٣١ سن ٥١٥ - ابن شاكر الكتبي في عيون الأخبار ١٢ : ٥١٦ سن ٥١٤ (نسخة انكلترة) - ابن كثير ١١ : ١٩٠ سن ٥١٥ - حاج خليفة في مادة ديوان ص ٧٩٨ ، وكيمياء ص ١٥٢٦ - ١٥٣١ ، ولامية ص ١٥٣٧ - ١٥٣٩ - الحنبلي ٤ : ٤١ - ٤٣ سن ٥١٤ - ابن خلدون في المقدمة ، كيمياء من طبعة القاهرة ٢٣٤ - ١٩١ ، ؛ في التاريخ ٥ : ٥٠ - ابن حجلة (على هامش الانطاكي) ١٨٠ - ١٨١ - السبكي ٢ : ١٦ - ١٨ - الخوانساري ص ٢٤٨ - السيوطي في الكنز ٢١٢ - ٢١٤ ، ٢١٩ ؛ وفي التاريخ ٢٨٩ - الزبيدي في شرح القاموس ، مادة طغر ٣ : ٣٥١ - برهان الدين و ٩ أ - ٩١ ب - شروح اللامية (تنظر قائمة المصادر والمراجع) - المامقاني ٣٣٦ - ٧ (ومن مصادره الشيخ الحر) .

ولم نقف في الدراسات الحديثة على شيء يستحق الذكر ، وربما كانت مقالة كرنكو في دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ٨٧ وبعدها من الطبعة الفرنسية (وتنظر الترجمة العربية) خير ما كتب . وينظر ما كتبه هوتسما في الدائرة ٤ : ١٣٨ ب وهو يتكلم على السلطان محمود ، وما كتبه دني في الدائرة نفسها وفي الجزء نفسه ص ٨٦ عن الطغراء (وهو مترجم) ؛ وينظر هارتمان ٦ : ٨٥٨ وبعدها Raix في ترجمته اللامية الى الفرنسية - كلوستن ص ١٥٣ وبعدها ، ٤٤٣ - ٤ - نيكلسون ص ٣٢٦ - هيوار ٩٨ - ٩٩ - دربل D'Herbelt ٥ : ٤٧٨ - ٧٩ - ساسي في التراجم العالمية ٤٧ : ١٩٦ - ١٩٧ - شنرر ١٨٧ - برون ٢ : ٢٩٩ ، ٣٥٤ (وتنظر ترجمة الشواربي) - زنبور ٢٥٥ (وتنظر الترجمة العربية) - دائرة المعارف الكبرى ٣١ : ٣١٨ .

زيدان ٣ : ٢٣ - البستاني في دائرة المعارف ٩ : ٣١١ - ٣١٣ - الهاشمي ٥٣٣ - ٥٣٤ - الزيات ٢٣١ - ٢٣٣ - مظهر في مجلة الرسالة ، العدد ٢٥٩ -

القمي ٢ : ٢٠٨ - ٢١٠ - نزهة الجليس ٢ : ٧٣ - العاملي في اعيان الشيعة ج ٢٧ - البارودي في المختارات - المنتخب من أدب العرب ج ٢ - سركيس ١٢٤١ - محمود مصطفى في تاريخ الأدب ٢ : ٢٦ واعجام الأعلام ١٤٤ - الزركلي ١ : ٢٥٥ - طه الراوي في مجلة الصبح ، العدد الخامس - مارون عبود في « مجددون ومجترون » ص ١٤٤ - الطاهر في مجلة الاستاذ - كحالة في معجم المؤلفين ٤ : ٣٦ (وتنظر مصادره ومنها مجلة الثريا التونسية) - تاريخ العرب المطول ٢ : ٤٦٥ - شفق ١٢٨ من الترجمة العربية - الجابري (في تاريخ أصفهان ؟) ص ١٣٨ وهامش ص ٤٣ - صادقي (حسين نور في « أصفهان ») ص ١٨٨ .

حياته

أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبدالصمد ، يعرف بألقاب عدة هي : العميد ، الاستاذ ، المنشيء ، الأصبهاني ، مؤيد الدين ، ولكن « الطغرائي » هو الذي غلب عليه .

ولد الحسين عام ٤٥٣هـ[1] / ١٠٦١ م في جَىّ[2] من اصبهان في عائلة شريفة مجيدة[3] من ولد أبي الأسود الدئلي[4] فهو - على هذا - عربي الأصل وليس

---

(١) ياقوت ، إرشاد ٥ : ٥٢ (وينظر الصفدي ، غيث ، ١ : ٨ « مولد الطغرائي في عشر الستين تقريباً »)

(٢) الديوان ص ١٠٦ (٣) الديوان ص ٥٩ ، ٧٨

(٤) العماد في عود الشباب لعلي رضائي ، ابو الفدا ، ٢ : ٢٤٧ ، ابن الوردي ٢ : ٣١ ، البارزي في مختصره لوفيات الاعيان و٣٩ ب ، وفي المرآة « وقيل إنه ... » . ومن المناسب أن تكون « الديلمي » التي ترد أحياناً - كما في المقطعات والمستفاد والتعليقة - تصحيفا للدئلي .

وفي محيط الفيروز اباذي « ... وفي شرح اللمع للاصبهاني : أبو أسود =

فارسيّة - كما هو الشائع ، وكما جزم المؤلفون المحدثون[1] دون ان يستقصوا في البحث .

= ظالم بن عمرو الدئلي ، انما هو بكسر الدال وفتح الهمزة نسبة الى دئل كعنب وهي قبيلة ... ابن القطاع الدئل في كنانة رهط أبي الأسود بالضم وكسر الهمزة . » . وفي لسان العرب » لابن منظور الدئل (بضم الدال وكسر الهمزة) من كنانة .

وقد يأتي نسب الطغرائي على : « دؤلي »

وقد يأتي أيضاً على : « الليثي » كما في مخطوطة لندن رقم ٧٥٣٠ التي ضمت صفحات من شعر الطغرائي . وكذلك في ابن كثير ١٢ : ١٩٠

ومن عقد الجمان ص ٣١٤ نعلم أن الليث ودئل من بني بكر بن عبد مناف . وينظر معجم القبائل العربية لعمر رضا كحالة .

(١) امثال هيوار ، نيكلسن ، الزيات ، الهاشمي ، محمود مصطفى (في إعجام الأعلام) ، شفق ، طه الراوي ... وقال العباس بن علي بن نور الدين في « نزهة الجليس » ٢ : ٧٧ انه « عجمي أصفهاني » وقال « الشاعر ... الفارسي » .

ولعلهم اعتمدوا في ذلك لقب « الاصفهاني » وهذا غير كاف ، لأن العرب استوطنوا اصفهان منذ دخلها الاسلام مبكراً ، ولعلهم اعتمدوا اسم قصيدته « لامية العجم » وما كانت هذه لامية للعجم - كما سنرى .

أما عن نسب امه فقد قال العماد (كما جاء في عود الشباب) : « قال والدي هو نسيبنا من قبل الأحوال . » وقال في نصرة الفترة و٢٤ ب : « وكان جدي لأمي أمين الدين علي المستوفي ... كاتباً لشرف الملك - أبي سعد منصور بن محمد مستوفي مملكة بغداد - في ريعان عمره وعنفوان أمره . إلى أن صار بعده كاتباً لخزانة السلطان محمد بن ملكشاه » . وتنظر مقدمة خريدة العراق المطبوعة ص ١٣ .

وأصبهان[١] من امات المدن الاسلامية ، ولها من جمال الطبيعة ما بعث الشعراء على التغني بهوائها وتربتها ، ببساتينها وفاكهتها ، بنهرها زندروذ وعذوبته ، بمتنزهاتها ومجالسها . وقبيل ميلاد الطغرائي قال قائلهم :

يا بقعة هي دار الخلد ، أو خُلِقَت   أنموذجا لنعيم دائم فيهـــا

و « جيّ » أجمل ما فى أصفهان :

قد اعتدلت أوقاتهـا وفصولهـا   وما استكرهت يقظاتها ومنامها[٢]

* * *

فمن حلّ « جيّا » ليس يثني رحالها   وأنسي حاجات بأخرى انتظامها

لتشرب مياه الزندروذ إذا اشتكت   من السقم نفس - كي يخف سقامها[٣]

وقد استوطنت اصبهان قبائل عربية منذ سنوات الفتح الأولى حتى أصبحت - على مر الأيام - بيئة عربية ، ودارا للعلم والأدب ، وكانت في العهد البويهي - أيام ابن العميد مثلا - من عواصم المعرفة المهمة[٤] .

---

(١) جاء فى معجم البلدان : « اصبهان ... مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ... وأصبهان اسم للاقليم بأسره وكانت مدينتها اولا جيّا ثم صارت اليهودية ... وهي من نواحي الجبل في آخر الاقليم الرابع ... صحيحة الهواء نفيسة الجو ... ونهرها ...غاية في الطيب والصحة والعذوبة ... كانت مدينة اصبهان بالموضع المعروف بجي وهو الآن يعرف بشهرستان وبالمدينة ... قال البلاذري وكان فتح اصبهان ورساقيقها في بعض سنة ٢٣ وبعض ٢٤ »

(٢) المافرّوخي ص ١١٨ والبيت لأبي إسماعيل بن محمد الجرباذقاني

(٣) المافرّوخي ص ١١٩

(٤) تنظر - مثلا - يتيمة الدهر للثعالبي ، وتجارب الأمم لمسكويه .

ترى ابن « ثلاث » بها يستفيد حديث الرسولِ ويتلو الكتابا
ومن فوقه ، حافظا كاتبا أديبا نجيبا يباري النجابا[١]

ومن المنتظر جداً أن يكون « الحسين » واحداً من « أبناء الثلاث » هؤلاء - و« الثلاث » مجاز فيه كناية عن التبكير في التحصيل . ومن المنتظر أن يكون قد ألمّ بكل فنون معارف عصره ، ودرس اللغة والأدب على شيء من العمق ، ولعله أعجب مبكراً بالمتنبي والشريف الرضي وأحس في نفسه من المطامح ما يقربها منه ويقربه منها[٢] .

والتحصيل لا يقتل الشباب فى نفوس الشعراء ، وها هو ذا « الحسين » وقد أحب فتاة كانت « المنى » في الكمال والجمال والعفاف ، وقد فاز بها « من بين يأس وخيبة » وبعد ان « غايظ فيها أهل بيته كلهم » ، فآنست منزله وصيَّرته جنة ينسى فيها همومه ، ولكن عمر هذه السعادة الزوجية كان « قصير المدى » ، فما هي إلا أن احتضرت وراح الموت « يقبض كفها ويبسطها » « وقد دمعت أجفانها » ، وما هي إلا أن أسلمت الروح الى بارئها فغاب الهلال و « ذوى الغصن » وأصبح العرس مأتماً فأضاع الشاعر رشده وفقد اصطباره ، ولم تجدِه الدموع .

توفيت تاركة رضيعاً يزيد في أحزان « الحسين » الذي ظل يحن إليها ، وينظم الشعر الصادق في رثائها ، ويجد في زيارة قبرها بعض السلوى :

مضت احين لم أصغر فأجهل قدرها ولم أعمر الدهر الطويل فأحلما

وأقسم على ألا تسكن نفسه إلى سواها ... ولكن ضرورات الحياة عدلت من رأيه فتزوج ثانية ورزق الولد[٣]

---

(١) المافروخي ص ١١٥

(٢) كما يُحس ذلك في شعره .

(٣) هذه المعلومات خلاصة لما جاء في شعر الطغرائي ص ٨١ - ٨٥ من ديوانه .

ذلك ان شواغل اخرى كانت متمكنة من نفس أبي إسماعيل ، وتحثه في طريقه لنيل السها . وكان عليه - في سبيل ذلك - أن يستعين بالمتنفذين من رجال عصره ؛ ومن أوائل من قصد : أبو المحاسن معين الملك محمد بن فضل الله » وهو همام ماجد « ملأ في ديوانه العين والصدرا » . وكان من أفضال معين الملك هذا أن قدم الشاعر إلى « نظام الملك » وهيأ له حظاً في الكتابة وبسطة في العيش .

وحين نكب معين الملك وقبض عليه وحبس وكبل ، ظل الحسين مخلصا وفياً ينظم القصيدة تلو القصيدة في التعزية والمؤاساة والمديح والاعتراف بالفضل وفي التألم والتحسر .

وشملت مصيبة معين الملك الشاعرَ فعطل من الكتابة ولقى الذل والهوان وتوعده الأعداء على حبه ابن فضل الله وتهددوه ، وهو ثابت فخور بنفسه و « سيده » ، وربما سلّى عن نفسه بأمانيّ يعقدها « إن عاد ذلك المقبل المتقبل » .

هذا ما نفهمه من شعر الطغرائي نفسه [١] ، ونفهم من التاريخ أن معين الملك المذكور هو سيد الرؤساء ابن كمال الدولة أبي الرضا فضل الله بن محمد صاحب ديوان الانشاء والطغراء وأحد مؤيدي دولة نظام الملك المقرّبين . وكان سيد الرؤساء ينوب عن أبيه وكان مقبلا مقبولا بلغت مرتبته من اصطفاء السلطان (ألب أرسلان) إياه إلى غاية لم يبلغها أنيس ، وزادت هذه المنزلة بعد أن صار ختناً لنظام الملك وتزوج ابنته . . . وحدث - بعد ذلك - أن اتصل بخدمة السلطان ، عميد الدولة ابن بهمنيار فتصادق ورئيس الرؤساء على عداوة نظام الملك فنكبا .. وسجنا .. وسملا ..: وسقطت منزلة كمال الدين

---

(١) الديوان ص ٤٣ — ٥٤ .

ونكبته نكبته ... وتولى مؤيد الملك ابن نظام الملك مكان كمال الدولة من ديوان الانشاء والطغراء[١].

والطغرائي صادق اللهجة فيما أخبرنا به عن إخلاصه في الدفاع عن سيده والأسى عليه. ولكن الذي نعرفه أيضاً أنه مدح نظام الملك وابنه مؤيد الملك، وقد يكون شطر من هذا المديح مما نظمه فى أيام الصفاء وفي أيام عز معين الملك، ولكن الذي لا شك فيه أن شطراً آخر منه يرجع إلى ما بعد النكبة، وإذن فقد أصلح أمره مع أهل الكلمة - العليا - ولا يحتاج من همه الوصول إلى معلم.

وكما خدم الطغرائي الرؤساء والوزراء، خدم السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان[٢].

ولدى موت ملكشاه عام ٤٨٥/١٠٩٢ واشتداد النزاع بين ولديه بركيارق ومحمد كان الطغرائي أقرب إلى الثاني[٣]. وقد اقترن هذا النزاع بتنافس شديد بين صدرين كبيرين هما: مؤيد الملك وزير بركيارق، ومجد الملك المقرّب من أم السلطان، وقد انضم مؤيد الملك إلى محمد واستشاره على حرب أخيه، فكان أن أُخذت أصفهان وقتل مجد الملك عام ٤٩٢.

ويبدو أن الطغرائي ترجح بين مؤيد الملك ومجد الملك طمعاً بالمنصب الآكد، فأغضب ذلك مؤيد الملك، واضطر الشاعر إلى الاعتذار والاعتراف[٤]، ولعله

---

(١) العماد في النصرة وعنه في الزبدة ص ٥٩ — ٦٠، وقد خلط صاحب «أخبار الدولة السلجوقية» ص ٦٨ - ١١٩ بين الكمال وولده.

(٢) العماد في عود الشباب و٧٨ أ، الصفدي في الغيث ١ : ٧ نقلا عن الخريدة.

(٣) الصفدي، الغيث ١ : ٨ نقلا عن الخريدة. الذهبي، العبر (؟) ٢ : ٥٤، دول الاسلام ٢٧٢. ياقوت في الارشاد.

(٤) الطغرائي في ديوانه المطبوع ص ١٨ — ٢٦، ٢٦ — ٣١، ٣٤ — ٤٣، ٢٧.

نجح في مسعاه ، لأننا نراه يرثي الوزير لدن قتله عام ٤٩٤ بقصيدة طويلة مخلصة [١] .

ولا نعلم شيئاً عما كان يفعله الطغرائي بعد هذا التأريخ ، وربما أمكن القول بأنه كان يشغل أعمالاً تتصل بالانشاء والطغراء ، وانه في تاريخ ما عزل عن عمله .

وفي عام ٥٠٤ هـ [٢] ١١١٠ م رفع إلى أحد السلاجقة قصيدة ذكّره فيها بخدماته السابقة وشكا إليه ما ناله من حيف ، وطلب منه منصباً ينقذه من « الضر الذي أودى به » . وربما كان من آثار هذه القصيدة أن أصبح نائباً في ديوان الطغراء الذي كان يشغله الأمير العميد في وزارة الخطير [٣] .

ويخبرنا العماد أنه عندما توفي العميد سنة ٥٠٥/١١١١ « جلس مكانه في ديوان الطغراء وصدر الانشاء الأستاذ أبو إسماعيل الكاتب الأصفهاني . وكان ذا فضل غزير وأدب كثير ، تولاها بالاصالة متصدراً في دست العلاء ... وكان ... إذا أنشأ تروى بطيا وتفكر مليا وغاص في بحر خاطر ثم أتى بالمعاني البديعة والاستعارة الغريبة » [٤] « ولم يكن للدولتين : السلجوقية والامامية من يضاهيه في الترسل والانشاء » [٥] .

---

(١) الديوان ص ٣١ ـ ٣٤ ، وقد جاء في الديوان أن تاريخ القتل هو سنة ٤٤٠ وهذا خطأ بيّن .

(٢) الصفدي ، غيث ١ : ١٩ (وينظر الديوان ص ٨ ـ ١٠)

(٣) بنداري ص ١١٠

(٤) بنداري ص ١١٠ ومن تمام الخبر « وكان مع ذلك بطيء القلم كليله ، ملتات الخط عليله ... » (!)

(٥) العماد في عود الشباب وفي شرح الصفدي على اللامية ، وينظر الارشاد والوفيات . والمقصود بالدولة الامامية ، دولة الخليفة تمييزاً لها عن دولة السلطان .

ولم يدم له عزّه هذا ، فقد بدأ المناوئون يسعون به ، واشتدت عليه السعايات ، فخُدّ نفوذه وكسف جاهه ، وهم بالاعتزال لولا ولعه بالمنصب ، ولولا أمله بتغير الأحوال[1] .

وفي سنة ٥٠٥ نفسها ، حل به - وهو بمدينة السلام - « خطب عظيم » فقد عزل وعلاه مَن دونه ، وتنكر له أصدقاؤه ، وثقلت عليه الاقامة ببغداد ، فنظم قصيدتين هما من خير ما قال : امتزج فيهما الواقع بالمثال ، والعقل بالقلب ، والحكمة بالطيش ، والحرب بالسلم ، والطموح بالقناعة ، والتواضع بالكبرياء . والقصيدتان هما : اللامية المشهورة :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني عن العطل

وبائية لا تقل عنها في الاعراب عما اختلج في ذلك القلب الجريح من ألم وسخط ، ومطلعها[2] :

أهاب به داعي الهوى فأجابا وعاوده نكس الصبا فتصابى

وفيها ثورة على العراق وأهل العراق :

---

(١) ينظر الديوان ص ٥٩

(٢) وفي القصيدة هجاء لشخص اسمه « زريق » يبدو أنه كان على حظ من نفوذ ، في دولة الخليفة (؟) .

أليس زريق لم يخف أن أمضّه عتاباً وهل يخشى اللئيم عتابا
تصامم عنّي أو تعامى ولم يخف سهاماً من العتب الممض صوابا
وفيت بعهد كان بيني وبينه وراعيته لما شهدت وغابا
وكذّبت أقواماً حكوا أن بينه وبيني مقامات بمصر خطابا
ولو صح ما يعزى إليه لحلقت بأشلائه ربد النسور سغابا
وكيف يرجّى من يكون ادعاؤه ولاء أمير المؤمنين كذابا

ربد : في الأصل ريد ، ووردت « زريق » و « ربد » في مخطوطة بيروت « فلاناً » و « زهم » . ومعنى زهم سمينة .

... مللت ثَوائي بالعراق ومـلّني رفاقي وكانوا بالعراق طرابا

* * *

فلا زائر يغشى جنابي لحاجة ولا أنا أغشى ما أقمت جنابا

* * *

هو الربع لم يخلق بنوه أعزةً كراماً ولم تنبت قناه صلابا

* * *

بنو الغدر لما فتش البحث عنهم أراك وميضاً خلباً وسرابا

وفي البائية عتاب على الخلافة :

فيا عجباً حتى الخلافـــة ما رأت لحقي أن أُجزى به وأُثابا
ولم ترع لي نصحي القديم وصحبتي أخوض غماراً أو أروض صعابا
لعمري لقد ماحضتها النصح باذلا لوسعي وقد ردت إليَّ منابا
فيا ليت نصحي كان غشاً ، وطاعتي نفاقاً ، وصدقي في الولاء كذابا
كما صـار آمالي غروراً وخدمتي هبـــاءاً وسعيي خيبة وتبابا
ويا ليتني داجت فيهم معاشراً تركتهم شوساً عليَّ غضابا

والأبيات صريحة في التعبير عن صلة الطغرائي بالخلافة ، وشدة هذه الصلة أيضاً ، وكان ذلك في عهد المستظهر .

وطبيعي أن يعتزم الشاعر الهجرة ويتذكر الوطن ، ولعله نفذ العزم ورحل إلى اصفهان ، ولعله أمضى فترة متعزلاً ومنصرفاً إلى الـكيمياء والتأليف فيها[١] . وهيهات ، فقد كانت همته ترى في العزلة مقاماً على الهوان[٢] فعاود السعي وإصلاح الأمور ، حتى إذا كان عام ٥٠٩ رأينا القاسم بن الحريري يكتب إليه يهنئه بولاية الطغراء بأصبهان[٣] .

---

(١) تنظر مخطوطة باريس

(٢) الديوان ص ٧٩

(٣) ياقوت ، الارشاد ٦ : ١٨٣ ـ ١٨٦ (= ١٦ : ٢٩ من ط . المأمون) ؟

وفي هذه الأيام وحوالي عام ٥١٠ رزق علياً، ففرح وشكا، ولم يكن مرد الشكوى الفقر أو العزل وانما الشيخوخة وحرص الآباء :

هذا الصغير الذي وافى على كبري أقرّ عيني ولكن زاد في فكري
وافى وقد أبقت الأيام في جسدي ثلما كثلم الليالي دارة القمر

* * *

سبع وخمسون لو مرت على حجر لبان تأثيرها في صفحة الحجر
فزاد حرصي على الدنيا وجدد لي ضناً بمالي وإشفاقاً على عمري
أضوي عليه وأخشى أن يعاجلني يومي ولم أقض من ترشيحه وطري
وأشتهي أن أراه وهو مقتبل غض الشباب خضيب الوجه بالشعر
أحيا مآثر آبائي وأشبههم في مجدهم واقتفى في هديه أثري[1]

وفي عام ٥١١ يتقدم في مدارج الادارة شخص سُميرمي[2] فيصبح مستوفياً بل القابض الفعلي على زمام الحكم. وكان السميرمي يبغض الأستاذ أبا إسماعيل - «الوحيد الذي بقي من القدماء. ولما لم ير أعداء - الطغرائي - في فضله مطعنا ولا على علمه من القدح مكمنا، اشاعوا بينهم أنه ساحر ... وأن مرض السلطان (محمد) ربما كان بسحره، وأنه ان لم يصرف عن تصرفه فلا أمن من أمره، فبطلوه وعطلوه واعتزلوه وعزلوه»[3]. وعاد الخطير الذي كان وزيراً، يمد الطغراء بخطه.

ولم يكن رأي الطغرائي بالخطير حسناً، وهو القائل فيه :

أما الخطير فجبة وعمامـــة ومنازل مرفوعـــة الأساس
واذا رجعت إلى الكرام فطاعم ما بين أهل المكرمات وكاسي[4]

---

(١) الديوان ص ٧٨

(٢) ينظر البنداري ص ١٩٠، وسيرد كلام عليه.

(٣) بنداري ص ١١٦

(٤) الديوان ص ١٢٨ - ٩

وفي هذه السنة اي في سنة ٥١١ نفسها ، توفي السلطان محمد وتمكن ابنه محمود من السلطنة بعده[١] ، وأناط بالطغرائي ديوان الطغراء والانشاء ، وظل يدبره حتى أمره السلطان بملازمة بيته[٢] و « استقر الشهاب أسعد في مكانه وانتصب في منصب ديوانه »[٣]. وربما كان هذا من بعض دسائس السميرمي عليه . ولم تكن مطامح الطغرائي لتستجيب لهذا الامر ، فقد قصد الموصل - حيث الملك مسعود بن السلطان محمد - وكان صغيراً[٤] ، ابن إحدى عشرة سنة[٥] ، ويدبر له الملك في حكم الموصل واذربيجان أتابكه جيوش بك[٦] ، وكان محمد - ابن الشاعر - يشغل الطغراء[٧] في مملكته ، ولم يُخف الشاعر قصده من هذه الرحلة ، فكان ان قال مخاطباً الملك مسعودا : -

... إن الهوى والرأي ما لا نحوكم ... بركائبي ، وهوى الرجال فنون

أبلغ نهايات العـــلى وسجيتي ... تأبى التوسط ، والتوسط دون

واسلم لأدرك فيك ما أملتـه ... ظنـاً ، وظن الألمعي يقـين[٨]

وتحقق له بعض هـــذا العلى إذ استوزره مسعود[٩] « وأصبح

---

(١) ينظر الصفدي فى الغيث ١ : ٨ ، ١٩

(٢) التعليقة و٧٤ ب

(٣) عود الشباب و ٧٨ ب

(٤) عود الشباب و٧٨ ب ، الصفدي في الغيث ١ : ٨

(٥) ابن الأثير ١٠ : ٣٩٦

(٦) ابن الأثير

(٧) ابن الأثير ١٠ : ٣٩٦ ، التعليقة و ٧٤ ب

(٨) ديوان الطغرائي ص ٨

(٩) عود الشباب و٧٨ ب ، ابن الأثير ١٠ : ٣٩٥ سن ٥١٤ ... « بعد أن عزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة » .

بالمؤيـــد مؤيدا وسداده مسددا »[١٠] .

ولـكن الطغرائي الذي ظهر في نونيته من الحريصين على سلامة البيت السلجوقي ، ومن دعاة وحدته ، لم يلبث أن غيّر رأيه وانضم إلى المؤامرة التي كان يحوكها دبيس بن صدقة المزيدي - ملك الحلة ، « ويكاتب - بها - جيوش بك ويحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة ... فحسن - الطغرائي - ما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته[٢] .

« وظهر ما هم عليه من ذلك ، فبلغ السلطان محمود الخبر ، فكتب اليهم يخوّفهم إن خالفوه ، ويعدهم الاحسان إن أقاموا على طاعته وموافقته ، فلم يصغوا الى قوله ، وأظهروا ما كانوا عليه وما يسرونه ، وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس ، وكان ذلك على تفرق من عساكر السلطان محمود ، فقوى طمعهم وأسرعوا السير إليه ليلقوه وهو مخف من العساكر ، فاجتمع إليه خمسة عشر الفا »[٤] . والتقوا عند « أسد آباذ » قرب همذان[٣] . وسط ربيع الأول من ٥١٤ « واقتتلوا بكرة إلى آخر النهار ، وكان البرسقي في مقدمة السلطاق محمود ، وأبلى يومئذ بلاء حسناً ، فانهزم عسكر مسعود آخر النهار وأسر منهم جماعة من أعيانهم ومقدميهم ، وأسر الاستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود[٥]

---

(١) عود الشباب و ٧٨ ب

(٢) ابن الأثير ١٠ : ٣٩٥ - ٦، سن ٥١٤

(٣) ابن الأثير ١٠ : ٣٩٥ - ٦ ، سن ٥١٤

(٤) بنداري ص ١٣٢ (= ص ١٢١ من ط ٢)

(٥) ابن الاثير ... وتحدث العماد عن المصاف ١٣٩ أ - و ١٤٠ أ من النصرة فقال : « وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة جرى بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود مصاف بقرب همذان وكان النصر فيه للسلطان ، وذلك أن الملك مسعوداً كان مسلماً الى الامير جوشبك وهو أتابكه فى الموصل ، وعسكرا =

- « وكان أول من أخـذ »[1] « فأخبر الوزير كمال الملك - السميرمي - به فقال للشهاب أسعد - وكان طغرائياً في ذلك الوقت نيـــابة عن النصر - أخي كمال الملك - : « هذا الرجل ملحد » فقال الوزير : « من يكن ملحداً يستحق أن يقتل »[2] وقد أقام أقواما فشهدوا عند السلطان محمود

= الشام وديار بكرفى خدمته ، وهو ينعت بملك الغرب لحد مملـكته ، فجمع أتابك جوشبك جيوشاً كثيرة وجمعا جـمّا غفيرا وطمع فى أخذ السلطنة وجعل الاستاذ مؤيد الدين الطغرائي وزيراً لمسعود ولم يعلم أنه لا يتمكن فيها من مس عود ، فعلم السلطان بجنده وحشره وطيّ طريق الطمع إليه ونشره و (راعته) جيوش جوشبك فانزعج لها وتحرك واخذ عدته للحرب فما أبقى ممكناً ولا ترك ، وحكى يومه المسفر ليله المعتـكر لما حضر المعترك ، وبرز فى حديد لمع شعاعه خرق ستر العجاج وهتك ، ... وجاء جوشبك بمسعود تحت چتره كالقمر في الهالة ، ولما اصطف الجمعان ثم كاد أن يجتمع الصفان ودنا أن يلتقي البحران ويلتطم الموجان بصر مسعود بأخيه محمود فحنّ إليه وضبطه جوشبك فلم يعرج عليه وصاح : ايجي ايجي ، وهي كلمة بالتركية للأخ الكبير ، فتشوش على جوشبك جميع ماقدمه من التدبير ، وساق مسعود ووقف الى جنب السلطان محمود أخيه ، واسلم للنهب والسلب جميع ما كان معه من جنوده ومواليه ، فأول من أخذ وزيره ... الطغرائي ...

وينظر البنداري ص ١٣٢ - ١٣٣ واخبار الدولة السلجوقية ٩٦ - ٩٧

(١) بنداري ١٣٣

وتذكر المرآة انه « هرب يوم الواقعة فأخذه غلمان الوزير .. »

(٢) بنداري ص ١٣٤ . وفي الطبعة الثانية ص ١٢١ : « يستحق أن يقتل ظلماً » ، وليست « ظلماً » معقولة في مكانها ، والصحيح ما جاء في البنداري ط ١ « ... ، فيقتل ظلماً » ومثله في « أخبار الدولة السلجوقية » التي =

أن الطغرائي زنديق وانه لا يتدين بدين الاسلام »[١] فقال السلطان : « .... قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده »[٢] « وأمر بقتله »[٣] فقتل - أو ذبح - بين يديه صبراً في ربيع الأول[٤] من عام ٥١٥[٥] و « كانت

= نقلت الخبر نصاً كما في البنداري ط ، ١ . ومثله كذلك في ابن خلكان . أما في أصل النصرة و ١٣٩ ب « من يكن ملحداً يستحق قتله ، فقتله ظلماً » والبنداري ط ، ١ قريب منه .

(٣) المرآة ط . شيكاغو ٨ : ٥٦

(٤) ابن الأثير ١٠ : ٣٩٦

(٥) وفي المرآة ٨ : ٥٦ « فعاجله بالقتل » . وفي رواية أخرى ما يشير إلى أنه عفا عنه ولكن السميرمي دسّ عليه فعاد فقتله .

(٦) العبر مخ . باريس ٢ : و٤٦ سن ٥١٤

(٧) السنوات التي ترد تأريخاً لوفاة الطغرائي هي : ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٨ ، نقبل منها الـ ٥١٥ لأنها وردت في أكثر المصادر وأوثقها مثل السمعاني في الأنساب ، (برواية ابن خلكان ١ : ٢٨٤) ، والعماد في الخريدة على الورقة ٥ ب من مخطوطة باريس ٣٣٣٢ (وعن الخريدة نقل الصفدي ١ : ٨) ؛ وياقوت ، إرشاد ٥ : ٥٢ (= ط . المأمون ١٠ : ٥٩) ؛ وأبي الفداء ٢ : ٢٤٧ : « وهكذا ذكره القاضي شهاب الدين » ؛ ابن جماعة و ٧٥ أ ، حاج خليفة ...

ولا نقبل الـ ٥١٣ فقد وردت غير واضحة عند ابن خلكان ١ : ٢٧٨ ، ورواها عاطف بك في « أدبيات اللغة العربية » نقلاً عن « زينة الدهر » ، وزينة الدهر مفقود (!) . ومثله الميناوي ص ١٩٤ وصادقي ١٨٨ - ووردت في نصرة الفطرة تاريخاً للمصاف .

أما الـ ٥١٨ فقد وردت عند ابن خلكان ممرضة بـ « وقيل ... » وقد كفانا كرنكو في دائرة المعارف الاسلامية مؤونة دفعها ، إذ نبّه إلى أن =

وزارتـــه سنة وشهرا »[1] و « قـــد جاوز الستين سنة »[2] .

ترى ، أحق ما رووا من أن الطغرائي كان ملحداً ، زنديقاً ، لا يدين بالاسلام ؟! إن ذلك تلفيق لا غبار عليه ، فالطغرائي مسلم دون ريب ، ولو وقفت المسألة عند الالحاد لقلنا إن مأتاه تشيعه[3] ، وطالما اختلطت كلمة الالحاد

= قتل السميرمي كان عام ٥١٦ . وعجيب أن ترد هذه السنة في مختصر مذيل السمعاني ، مخطوطة ليدن 29 M^2 ص ٤٣ ، ومخطوطة نبذ العجم في المتحفة البريطانية رقم ٣١٦٤ .

أما عام ٥١٤ فهو العام الذي ذكر فيه ابن الأثير تفصيلات مؤامرة جيوش بك ودبيس على السلطان محمود . . . ثم المصاف ... وقتل الطغرائي (وينظر أبو الفداء ٢ : ٢٤٧) وذكرها ابن خلكان مسبوقة بـ « وقيل ... » فمن المحتمل أن يكون عام ٥١٤ عام الاستعداد للمصاف ، وليس عام القتل .

(١) ابن الأثير ...

(٢) ابن الأثير ، ياقوت ، ابن جماعة .

ولا ندري مصير ابن الطغرائي - ابي المؤيد محمد ، كما أننا لا نعرف شيئاً عن « علي » الذي رزقه وقد مرت به الـ ٥٧ ، ولا نعرف شيئاً عن إسماعيل ، وإن كنا نعلم عن طريق ياقوت : أن أبا إسحاق يحى بن إسماعيل كان يستمع إلى شعر جده ويرويه .

ويذكر سبط ابن الجوزي ج ٨ سن ٥١٤ : ان الطغرائي هو جد وزير الظاهر غازي بن صلاح الدين رحمه الله واسمه محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الطغرائي ولقبه نظام الدين » .

وللطغرائي ابن اخت هو مخلص الدين ، كان كاتب سنجر (ياقوت ٦ : ٢٠٨) وفي الموصل اليوم مسجد يسمى مسجد الطغرائي (ينظر داود چلبي) .

(٣) ديوان الطغرائي ص ٥٢ ، ١٣١

- في العصر - بالباطنية والتشيع ، حتى قال الخوانساري : « إن من أقوى الأمارات لتشيع هذا الرجل نسبه الالحاد اليه »[١] . وما كان دين الطغرائي يوما مجال شك ، وكثيراً ما عقب المؤرخون بأنه : « قتل مظلوماً »[٢] ، ومنهم من عده « شهيداً »[٣] . ولو صدرت التهمة من إنسان غير السميرمي لاستحقت العناية ، اما وانها خرجت من رجل « كان مجاهراً بالظلم والفسوق »[٤] فمن العبث الوقوف عندها وأخذها سبباً للقتل ، لأن هناك ما هو أهم وأعقل ، فلقد كان الطغرائي « فاضلا ، واسع الاطلاع ، قديماً من بقايا السيوف في المملكة »[٥] ، وقد قال منذ عام ٥٠٥ :

ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني   حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
تقدّمتني أناس كان شوطهم   وراء خطوي إذ أمشي على مهل

وفهم السميري الأبيات على أنها تعريض به[٦] ، وليس ذلك ببعيد جداً ، فقد كان الطغرائي يحتقره ويستصغره[٧] .

ولما كان المصاف ، خاف اعداء الطغرائي[٨] وخشوا إقبال السلطان

---

(١) روضات ٢٤٨

(٢) العماد ، ابن الأثير ، ابن خلكان .

(٣) العماد في الخريدة (ينظر غيث ١ : ٨ ، عود الشباب و ١٩ أ) ، وأصبح « الشهيد » من بعض ألقابه ، تنظر مخطوطة المتحف البريطاني ٧٥٣٠.

(٤) المرآة ، عيون الأخبار ج ١٢

(٥) العماد في النصرة وعنه في الزبدة

(٦) المرآة ، مخ . باريس ٥٩٦ - ٥٩٩ « ... ويقال ان السميرمي انما قتله لهذه الأبيات لأنه عرض به » .

(٧) المرآة ٨ : ٥٧ (ط . شيكاغو)

(٨) النصرة و١٣٩ أ - ١٤٠ ب

عليه[١] فكادوا له ودسوا حتى رموه بالالحاد[٢] وعملوا على قتله ، واعتمدوا هذه الحجة[٣] ، وما كانوا لينجحوا لو لم تلق دعاوتهم هوى من قلب السلطان محمود الذي كان ينقم على الطغرائي موقفه وتحريضه اخاه عليه[٤] .

---

(١) النصرة و١٣٩ أ ، مختصر الوفيات و٣٩ أ

(٢) عيون الأخبار ج ١٢ مخ . اكسفورد

(٣) ابن خلكان

(٤) ذكر سبط ابن الجوزي في المرآة ٨ : ٥٦ (شيكاغو ، وتنظر حيدر آباد) : « وكان السلطان محمود قد نسب خروج أخيه مسعود إلى الطغرائي ... حكى ابن السمعاني في الذيل أن السلطان محموداً ... جلس يوماً في قصر فيه عصافير فقال : آذتنا هذه العصافير . فقال له خواصه : يأمر السلطان بعض الفرّاشين يصعد اليها بسلم فيرمي اعشاشها ، أو يأمر بعض الغلمان أن يرميها بالبندق . فقال : ما أستحل ذلك . فقيل له : فكيف استحللت قتل ... الطغرائي مع شيخوخته وفضله ! فقال ما مع الفضل فضول ، يعني أنه أوقع بينه وبين أخيه ... »

وينظر ابن جماعة و ٧٥ ، وربما فهم منه أن ابن السمعانى أخذها عن عبد الرحمن بن الأخوة . . . ويظهر أن ابن النجار قد أعاد روايتها .

ويبدو أن مقتل الطغرائي كان مصدراً للخيال وعرضة للروايات : فقد ذكر ياقوت في الارشاد : « وروي أنه لما عزم السلطان محمود على قتل الطغرائي أمر به أن يشدّ إلى شجرة وأن يقف تجاهه جماعة بالسهام ، وأن يقف إنسان خلف شجرة يكتب ما يقول . وقال لأصحاب السهام لا ترموه حتى أشير اليكم فوقفوا والسهام مفوقة لرميه فأنشد الطغرائي في تلك الحال :

ولقد أقول لمن يسدد سهمه نحوي وأطراف المنية شرَّع

والموت في لحظات أحور طرفه دوني وقلبي دونه يتقطع =

....

= بالله فتش عن فؤادي هل يُرى فيه لغير هوى الأحبة موضع
أهون به لو لم يكن في طيّه عهد الحبيب وسره المستودع

فرق له وأمر باطلاقه ، ثم إن الوزير - السميرمي - أغراه بقتله بعد حين ، فقتله .

وقد ذكر الصفدي ايضاً هذه الرواية في الغيث ج ١ ص ٨ فقال « اخبرنى العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري بالقاهرة المحروسة ، أن الطغرائي ، لما عزم أخو مخدومه على قتله أمر به ... الخ » وعلق الصفدي : « قلت ما هذا الاثبات جنان فى ثبوت جنون ، لقد أربى هذا في الثبات والشجاعة وعدم الالتفات الى الحياة ونفادها والوفاء بشرط المحبة والذكرى لمحبوبه في السراء والضراء على عنترة العبسي وغيره ممن تبعه من الشعراء فى قوله : ولقد ذكرتك ... الخ

وذكرها - على صورة اخرى ابن حجلة المتوفى عام ٧٢٥ في كتابه ديوان الصبابة ص ١١٠ إذ قال : « ... ولما عزم ... على قتله بعد أن قيل له عنه أشياء من جملتها أنه يحب المملوك الفلانى من مماليك السلطان ممن كان السلطان يحبه ويميل إليه .. وأخبرني من حكى هذه الحكاية من أهل الأدب أن أول من فوق إليه السهم المملوك المتيّم هو بحبه فأنشد فى تلك الحالة ... ولقد أقول ... »

ورواها الشيخ داود الانطاكي (من أعيان القرن الحادي عشر) فقال فى كتابه « تزيين الاسواق بتفصيل احوال العشاق » ٢١٨ - ٢١٩ « .. وإمام هذا الشأن - اي الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء - والتفرد فى هذا الميدان ، الطغرائي . قيل إنه علق مملوكا لمؤيد الدين [الصحيح : للسلطان محمود ...] كان يهواه فحين بلغه نقم على الطغرائي فأراد قتله .

يفت في عضد هذه الروايات تأخر عهدها وما فيها من « تمريض » ومن =

آثاره

للطغرائي ديوان شعر جمعه بنفسه ، وسمعه منه وقرأه عليه سديد الدولة ابن الانباري[١] وأبو بكر عبدالله بن على المارستاني، وروى عنه مقتطفات وقصائد الأمير أسامه بن منقذ وابن الشجري وابن الاخوة والامام محمد بن الهيثم[٢]

وقد وصف السمعاني الديوان بأنه جيد ؛ وسبط ابن الجوزي بأنه مشهور. وما زالت منه نسخ خطية في اكثر مكتبات العالم[٣]

ويمكن تبويب ما وقفنا عليه من مخطوطات هذا الديوان على عائلتين - ليس بينهما فرق كبير -

أ - النسخ التي تتبع نظام حروف الهجاء للقوافي ، ومنها :

١ - مخطوطة القاهرة ، رقم ٧٩١٧ ، أدب - دار الكتب

٢ - مخطوطة لندن رقم ٧٥٥٨

= عبث في ذكر الأسباب والمسببات ومن جهل بشيخوخة الطغرائي ومطامحه ومن اعتباط في اطلاق الاحكام وسخاء في بذل الاعجاب .

ومن المناسب أن نذكر أن الأبيات : ولقد أقول ... قد نظمت قبل هذه الحادثة ، فقد جاء على الورقة ٧٥ من تعليقة ابن جماعة عن ابن أبي روح الهروي قال حدثنا أبو سعيد السمعاني قال انشدنا ابو طاهر محمد العقيلي [عن] محمد بن منصور العروضي قال انشدنا الاستاذ أبو اسماعيل الليثي لنفسه : ولقد أقول ... »

(١) الصفدي فى الوافي ٣ : ٢٧٩

(٢) تنظر التعليقة ، ومختصر الوفيات و٣٩ ب ، والصفدي فى الغيث ١ : ٧

(٣) ينظر بروكلمان ودائرة المعارف الاسلامية وقائمة المصادر من هذا الكتاب .

وتبدأ مقدمة هذه العائلة بـ« كتب الأجل مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين ابن علي بن محمد - رحمه الله - إلى بعض من التمس منه أشعاره : قد انتهيت إلى ما اقترحه الشيخ الامام - ادام الله نعمته ، وتحملت في جنب رضاه التعرض لنقد النقاد ، وخف عليَّ في الامتثال له التكشف لجهابذة الكلام ... واثبت طرفاً مما علق بحفظي من المقاطيع المتفرقة والقصائد ، على تهافت اجزائها واختلاف نظامها وقلة التمرن لها وفتور الرغبة في الاشتغال بتهذيبها ... »

ب - النسخ التي كادت تكون مرتبة حسب الموضوعات : المديح ، الشكوى ، الرثاء ، الغزل ، الوصف .. الخ . ومنها :

١ - مخطوطة القاهرة ، رقم ١٥٢٨ أدب - دار الكتب

٢ - مخطوطة الاسكوريال باسبانيا رقم ٣٠٤

٣ - مخطوطة الجامعة الاميركية فى بيروت Ms. 892.71 T64d A

ومقدمة هذه العائلة تشبه مقدمة العائلة الأولى (دون أن تحتوي على السطر الأول منها) . ولكنها تضم القصيدة النونية التي مدح الشاعر بها الملك مسعودا الذي استوزره عام ٥١٣ :

نظري إلى لمع الوميض حنين　　وتنفسي لصبا الأصيل أنين

وفي هذا ما يدل [illegible] على أن ديوان هذه العائلة (ب) ، جمع في أقل تقدير - بعد هذا التاريخ . وربما كان فى ذلك ما يؤيد الحاج خليفة الذي قال - وهو يتحدث عن ديوان الطغرائي - : « جمعه بعض أحفاده »

وفي نسخ هذه العائلة « ب » (عدا نسخة بيروت) نجد مقطوعة من خمسة ابيات غزلية مطلعها :

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه　　فقد كاد رياه يطير بلبه[1]

---

(١) ديوان الطغرائي المطبوع ص ٩٧

وحشر المقطوعة خطأ لا غبار عليه ، لأنها من شعر ابن الخياط[١] ، على رأس قصيدة طويلة[٢] قال عنها ابن خلكان : لو لم يكن له إلاها لكفاه[٣].

وقد طبع ديوان الطغرائي عام ١٣٠٠ في القسطنطينية - بمطبعة الجوائب[٤]، ويمكن القول بأن هذا الطبع قد تم على نسخة من مخطوطات العائلة « ب » - وإن جاءت هذه الطبعة خالية من أبيات الغزل الغلماني التي تضمنتها المخطوطات[٥]. وعلى الرغم من الخدمة التي قدمتها هذه الطبعة فانها خلو من كل مميزات النشر الحديث وما يقتضيه من دقة وتحقيق ومقابلة نسخ وفهارس .

ولا تضم نسخ الدواوين المنظومة التي سماها الطغرائي « المقاطيع في الصنعة » (أي صنعة الكيمياء) التي اشار اليها الصفدي[٦] ، وتحتفظ مكتبة كلية الآداب من جامعة القاهرة بنسخة مخطوطة لها . ولم تضم الدواوين كذلك ،

---

(١) ابو عبدالله أحمد بن محمد ... الدمشقي التغلبي ، ولد عام ٤٥٠ بدمشق وتوفي بها عام ٥١٧ (ينظر ابن خلكان ١ : ٧٩ - ٨٠ ، وتنظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٣٣ -) ، طبع ديوانه في النجف سنة ١٣٤٣ وسيصدر بطبعة جديدة محققة بدمشق تتقدمها هذه الدراسة التي نشرتها مجلة المجمع العلمي العربي .

(٢) ديوان ابن الخياط ص ٧ - ١٣

(٣) ابن خلكان ١ : ٧٩

(٤) وليس هناك أي دليل على احتمال تأييد من ذكر أنه طبع في دمشق

(٥) لعل الناشر طواها عمداً لمعنى أخلاقي

(٦) الصفدي ، الغيث ١ : ٨ - ، وجاء في اعيان الشيعة ج ٢٧ ، مطبعة الاتقان ، ١٩٤٨ ص ٨٢ « ... وينسب إليه اشعار كثيرة في مدح أهل البيت (ع) لا توجد في ديوانه وكأنها سقطت منه . » (؟)

الأبيات التي صدر بها الطغرائي جوابه على تهنئة الحريري له عام ٥٠٩[١].

وأشهر قصائد الطغرائي هي اللامية التي مطلعها :

أصالة الرأي صانتني لدى الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وتقع في (٥٩) بيتاً من البحر البسيط ، نظمها - كما رأينا - ببغداد يشكو ويصف حاله عام ٥٠٥ وقد جرّد من منصبه . ومن حق القاريء أن يستغرب وجود الأبيات الغزلية والمغامرات الغرامية فيها ، ومن المناسب أن نذكر أن ابن الأخوة روى اللامية عن المؤلف نفسه منزهة عن هذه الأبيات[٢].

وقد حازت هذه اللامية إعجاب القراء والسامعين والنقاد على مر العصور ، وهي أهل لذلك ، لما فيها من متانة في السبك وجيشان في العاطفة وخصب فى القريحة ، وتفسر حِكَمُها الجانب الأكبر من عناية القدماء بها .

عرفت اللامية - بلامية العجم لسبب غير وجيه ، فما فيها شيء من العجم او لهم ، وليس لها صلة تذكر عند مقارنتها بلامية العرب المنسوبة للشنفري[٣]

شرحت هذه اللامية كثيراً ، وأقدم هذه الشروح ما صنعه أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري المتوفى عام ٦١٦ . أما اضخمها وأشهرها فهو « كتاب الغيث المسجم فى شرح اللامية العجم » الذي عمله صلاح الدين الصفدي المتوفي

---

(١) ياقوت في الارشاد

(٢) ابن جماعة في التعليقة

(٣) قال الصفدي في شرح اللامية ١ : ١٣ « انما سميت لامية العجم تشبيهاً لها بلامية العرب ... قالوا في هذه القصيدة انها لامية العجم نظير تلك بمعنى إن كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالأدب والأمثال والحكم فان للعجم لامية مثلها ... » واسرف بعضهم وقال : ان الطغرائي « اراد ... ان يعارض لامية العرب بلامية العجم لأنه عجمي أصفهاني ... » - نزهة الجليس ٢ : ٧٧ ولا نرى في اللامية ارادة المعارضة كما اننا لم نر ان صاحبها عجمي .

عام ٧٦٤ ويقـــع في حوالي (٥٥٠)[١] .

ولا تـكاد تخلو مكتبة في العالم من نسخة أو اكثر لمخطوطة تتصل باللامية ، فلقد شغلت هذه القصيدة الناس حتى طلائع العصر الحديث .

هذه الشروح ، مهما تطل ومهما تتعدد ومهما يفخر بها مؤلفوها فانها ليست دراسة للقصيدة أو تحليلا وانما هي كتب للغة والنحو والبلاغة والشواهد تتخذ اللامية حجة من الحجج وسبباً من الأسباب ، ولا ترى من واجبها ـ بعد ذلك ـ أن تغوص إلى ما وراء اللفظ وأن تربط بين الشعر وحياة ناظمه أو حالته النفسية . ومن يقرأ مقدمة شرح الدماميني وينتظر جديدا فهيهات .

وكان إسماعيل مظهر قد وعد بدراسة اللامية دراسة حديثة[٢] ولا نعلم أين انتهى به الوعد .

كان الطغرائي شاعراً وكان كاتبا « حسن الـكتابـة ومالك قلم الانشاء . ولم يكن للدولتـين السلجوقية والامامية من يضـاهيه فى

---

(١) ومن الشروح الأخرى : شرح الدميري المتوفي عام ٨٣٩ وقد اختصر به الصفدي ، وشرح الدماميني (بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المالـكي المتوفى عام ٨٢٨) ؛ وابن جماعة النحوي وسماه المبهم من لامية العجم ؛ وعلي بن قاسم الطبري وسماه حل المبهم والمعجم فى شرح لامية العجم ؛ وجمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي وكان نشر العلم في شرح لامية العجم ؛ وحسين الـكفوي وجمعه من الشروح كشرح الصفدي ... ؛ وجلال الدين خضر الحنفي الذي الفه بقسطنطينية سنة ٩٦٢ ... الخ ينظر كشف الظنون فقد ذكر الحاج خليفة اكثر هذه الشروح ، كما تنظر قائمة المصادر والمراجع ليعرف ما وقفنا عليه من المخطوطات والمطبوعات .

(٢) مجلة الرسالة ، العدد ٢٠٩ .

الترسل »[١] ولم يصل إلينا من « نثر الدراري والدرر » إلا رسالة واحدة هي جوابه على تهنئة ابن الحريري ، ومنها : -

« وصلني ... كتاب اتسم بالمكرمة الغراء وابتسم عن التكرمة العذراء ، فخلته كتاب الأمان من الزمان ، وتلقيته كما يتلقى الانسان صحيفة الاحسان ، وقابلت ما اودع من البر والطول المبر بالشكر الذي هو جهد المقل ونسك المستقل ، ووجدت ما ألحف من التجميل واتحف عن الجميل ما كانت أطماعي تتوق إليه وآمالي تحوم حواليه ... »

والرسالة بادية التكلف لما يسمونه بالبديع ولا سيما الجناس والسجع ، وكان هذا التكلف ذوق العصر ونمط كتابته الرفيع وكأنه الغاية الأولى ، اما الغرض الذي حررت من أجله الرسالة فليس بالمهم ولا بأس في أن يتوارى خلف التزاويق .

ولم يقف الطغرائي عند الشعر والنثر ، فقد كان واسع المعرفة ، مبرزاً في مختلف فنونها ، وقد كرّس غير قليل من همه للكيمياء[٢] ، واشتغل فيها

---

(١) الصفدي عن العماد ١ : ٧ ، وينظر ابن خلكان ؛ وقد مرت معنا ، وينظر الارشاد ، وعود الشباب و٧٨ ، وتتمة الخبر « ... سوى أمين الملك أبي نصر بن أبي حفص من أهل أصفهان لتقدمه ، لكن برز عليه فى فنون العلم وحسن الاستعارة في النثر والنظم ، سلك المذهب وابدع المعنى المهذب ... » ومنه « تشرفت به الدولة السلجقية وتشوفت إليه المملكة الأيوبية » . وجاء في عود الشباب عن أمين الملك ... انه « كان من محاسن الزمان و ... كان منشيء الدولة السلجقية حين غصنها وريق ... ذكره الباخرزي فى الدمية ... »

(٢) قال ابن خلدون : علم الكيمياء : علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك ... وفي زعمهم أنه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الاكسير وأنه يلقى منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة ... فيعود ذهباً إبريزا ...

حتى عدّ من شيوخها وأئمتها[١]، وظل المعنيون بهذا « العلم » يذكرونه باعجاب وتمجيد . روى العماد قال « حدثني الامام محمد بن الهيثم بأصفهان عنه أنه كشف بذكائه سر الكيمياء المرموز واستخرج معناه المكنوز »[٢]. وهذه الرواية تنسجم وما ادعاه الطغرائي في شعره[٣].

وله في الكيمياء « تصانيف وهي معتبرة عند أربابها منها كتاب مفاتيح الرحمة وجامع الاسرار وكتاب مصابيح الحكمة وكتاب تراكيب الأنوار، ورسالة وسمها بذات الفوائد وكتاب حقائق الاستشهادات بيّن فيه اثبات صناعة الكيمياء والرد على ابن سينا في ابطالها بمقدمات من كتاب الشفاء »[٤].

---

(١) ابن خلدون في المقدمة ، علم الكيمياء ص ٥٠٤ من المقدمة ، مط. مصطفى محمد

(٢) ياقوت في الارشاد ؛ الصفدي في الغيث ، العماد في مختصر علي رضائي للخريدة (عود الشباب و٧٨ ب)

(٣) الديوان ص ٧٩

(٤) ياقوت ، الصفدي ، وينظر فهرس المكتبة الوطنية بباريس وفهرس مكتبات إيران وغيرها . وفى أسماء هذه الكتب اختلاف ، ويفهم من مخطوطة مكتبة مجلس ملي بطهران ، رقم ٧٣٠ ومن مقدمة المؤلف نفسه ان « مفاتيح الرحمة وأسرار الحكمة كتاب واحد : الأول جزؤه الأول والثاني جزؤه الثاني . وكتب على غلاف المخطوطة أن من مصنفات الطغرائي : كتاب الاحسان في علم الميزان وكتاب نهج القويم وكتاب صحيفة ناموس الحكمي في تهذيب احجار السبعة ، وكتاب أفعال الطبيعة وأسرار الخليقة . وله كتاب الارشاد إلى الأولاد (وهو رسالة بثلاث صفحات) .

وقال ابن خلدون في المقدمة ، الكيمياء : ص ٥٠٤ وإمام المدونين فيها جابر بن حيان ... والطغرائي من حكماء المشرق المتأخرين له فيها دواوين ومناظرات مع اهلها وغيرهم من الحكماء . وتنظر ص ٥٢٥

والطغرائي نخور بمكانته من هذا العلم ، وقد قال في مقدمة احد مؤلفاته في الـكيمياء : « ولما علمت أن العلم أحرص شيء إلى نفسي تحققت أن لا يناله أحـد من غير أهله ولا ابناء جنسه فألفت في ذلك كتبا لم يسمح الدهر بمثلها . ولما فرغت منها عنّ لي أن أجعل كتاباً في ذلك جامعا لذلك الفن على العموم والشمول ومحيطا بحل ما عز على الأوائل ذكره ، واني اعلم قطعاً أني لو كنت فى زمن افلاطن ورلسيوس واطلع على ما فعلته ونبهت عليه وأظهرته للعالم من هذا الفن في هذا الـكتاب لما كان يسع أحدهم إلا ذبحي ولتحيل على إخراجي من هذا العالم بقتلي ، ولـكني استخرت الله تعالى مرارًا وانا أنظر .. الاذن والارادة لابراز هـذا الـكتاب ... وسميته « بمفاتيح الرحمة وأسرار الحـكمة » ليكون بما اودعته فيه من العلوم وأوضحته مطابقاً لحواه لاسمه ، ورتبته على مقدمة وسبعة ابواب ... »

وقد ظلت هذه المؤلفات مصدراً مهما للمعنيين بهذا « العلم » يدرسونها ويتناسخونها معجبين ممجدين لمؤلفها « الحـكيم البارع والفيلسوف الفاضل » والمحقق العامل . وأهل الصنعة أكثر من تمسك بلقب « الشهيد » وكأنهم يضيفون اليه بذلك إكباراً إلى إكبار . اما غيرهم فيقولون : ان تصانيفه في الـكيمياء « قد ضيعت من الناس أموالاً كثيرة »(١)

(١) الـكامل وينظر الارشاد والجزء ٢٧ من أعيان الشيعة .

خاتمة

تتصل حياة الطغرائي وشعره اتصالاً وثيقا بتاريخ العصر السلجوقي : أدباً وسياسة

ويؤلف طموحه الى المناصب مفتاحاً يفسر كثيراً من آلامه وآماله وكثيراً من اعماله وأشعاره .

وعلى أنه شاعر من ايام بداية الانحطاط فى تاريخ الشعر العربي فان رثاءه لزوجته يكاد يكون منقطع النظير في الأدب العربي ، وفي هذا الرثاء وفى الفخر والشكوى ؛ وفي اللامية والبائية ... من العواطف والمعاني والأساليب ما يدل على قريحة جديرة بالعناية لذاتها فضلاً عن فوائدها التأريخية ؛ ان الطغرائي « امير شعراء » عصره و « متنبيهم » الصغير .

الفصل الثاني

الأبيوردي

مصادر دراسته

(١) الأبيوردي : ديوانه وفيه : نسبه ، عائلته ، ابوه ، امه ، أعمامه ، أخواله ، صلاته ، ص ٩ ، ١٠ ، ٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢٥٣، ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٦٣ ... (وتقابل النسخ الخطية)

(٢) الطغرائي : ديوانه ص ٨٦ ـ ٨٧ عتاب بين الشاعرين

(٣) ابن منده : (يحى بن عبدالوهاب ، مؤلف تاريخ اصبهان والمتوفي عام ٥١١ او ٥١٢ ، خبر يرد في الارشاد و « المحمدون » عن فضله ، موته عام ٥٠٧ .

(٤) السمعاني : مما يمكن ان يكون من مواد ذيل تاريخ بغداد : متفرقات في الارشاد : نسبه ، اخبار يرويها عن أبي علي أحمد بن سعيد العجلي المعروف بالبديع : طموحه ، اعتزازه بأمويته ، أبيات . ويروي هذه الأخبار « المحمدون » : « وكتب إليّ أبو المظفر عبدالرحيم بن تاج الاسلام المروزي عن مرو ، انا أبي سماعا عليه من كتابه ... » ، وتتكرر في « الانباه » من غير سند .

وفي « الانساب » مادة (المعاوي) : ٥٣٥ ب ـ ٥٣٦ ويشير هامش الانباه

الى ٤٩٠ أ ؛ نسبه كوفن ، اساتذته ، علمه ، محدث ، شعره ، وفاته في أصبهان ٥٠٧

(٥) السِّلَفي ، طبقات الشافعية : لم يصل إلينا الكتاب ولكن السبكي والسيوطي (في البغية) ينقلان عنه : مشرف . وفاته . كان السلفي قد خص الأبيوردي بجزء كامل .

(٦) إبن الجوزي : ج ٩ ص ١٧٦ _ ١٧٧ عام٥٠٧ : « اخلاقه ، شعره ، اخبار برواية العجلي صديق الشاعر .

(٧) الخريدة ج ٢ (بلاد العجم) : مخ . ليدن n° 384 وفيه: خراسان ، نسبه ، جده ، مشرف ، وفاته مسموما ، مختارات كثيرة من شعره على حروف الهجاء للقوافي . ومن مصادره : النطنزي أبو الفتح . وربما ابن منده .

اما المخطوطة رقم n° 212 فغير تامة

وفي مخطوطة اكسفورد يراجع « النطنزي » راوية الابيوردي

وفى مخطوط باريس ، ج ١ ، يراجع « علي بن أفلح »

(٨) عروضي سمرقندي ـ چهار مقاله ، يذكر ديوانه ، تنظر الترجمة العربية ، اما في الترجمة الانكليزية فعلى ص ٢٤

(٩) ياقوت « أ » الارشاد ٦ : ٣٤١ _ ٣٥٨ (= ١٧ : ٢٣٤ _ ٢٦٦ من ط . دار المأمون) : نسبه ، الشك في أمويته ، كوفن ، المعاوي ، اعتذاره إلى المسترشد برسالة رآها ياقوت بخط الشاعر نفسه ، دراسته ، علومه ، أخلاقه ، اشعاره ؛ ومصادره : السمعاني ، والعماد وربما ابن الجوزي والبيهقي مؤلف وشاح الدمية ... دار كتب النظامية ، عند صدقة ، ثراء ، مشرف ، مؤلفاته ، مختارات ، وفاته .

ترجمة مهمة تعتمد مصادر أساسية لم يصل الينا أكثرها .

« ب » البلدان : أبيورو ، برد اسير (شاعر ناثر) ، كوفن .

(١٠) ابن الأثير : الكامل ١٠ : ٨٤ سن ٤٧٦ وزارة أبي شجاع ؛ سن

٤٩٢ ص ١٩٢ ـ ١٩٣ تحريض المسلمين على الصليبيين ، سن ٥١٥ ص ٤٤٩ مع الخطير ، سن ٥٠٧ ص ٣٥٠ ، موته ، ديوانه .

(١١) القفطي : « أ » المحمدون الورقة ١٠ب ـ ١٢ أ :... فنون ديوانه ظروف تأليف كتابه « تعلة المقرور » . ويتفق عدد من أخبار القفطي مع أخبار ياقوت دون أن يشير إليه وليس من السهل أن نقرر أن القفطي قد نقل عن الارشاد . ومن مصادرهما : ابن منده والسمعاني . و « المحمدون » من الأهمية ما للارشاد .

« ب » ويتكرر عدد من الأخبار التي يرويها القفطي في « المحمدون » فى كتابه « انباه الرواة » ٣ : ٤٩ ـ ٥٢ (وينظر هامش الانباه)

اخبار « المحمدون » أوسع ... ولا يشير المؤلف فى أحد كتابيه إلى الآخر .

(١٢) سبط ابن الجوزي ج ٨ ، كأنه يختصر كتاب جده في المنتظم

(١٣) ابن خلكان : ٢ : ٣٨١ ـ ٣٨٤ ترجمة مهمة وان وردت أكثر عناصرها عند ياقوت . ٢ : ٦١ : لقاؤه الشاعر علي بن مسهر (تنظر الخريده . ج ٣ . الموصل) برواية كمال الدين الشهرزوري عن العماد . وفي ٢ : ٤٧٠ رثاؤه الغزالي .

تذكر هذه الطبعة (الوطن ، القاهرة ١٢٩٩ / ١٨٨١) ٢ : ٣٨٤ ان عام ٥٥٧ تاريخاً لوفاته ومثلها فى ذلك الطبعات الأخرى ، حتى طبعة عبدالحميد محي الدين وهذا خطأ يرجع للناسخين أو للناشرين وصحيحه عام ٥٠٧ كما في طبعة وستنفلد ص ١٠٣ وفي مخطوط ابن خلكان باريس رقم ٢٠٥٨ ص ٢٦٤ أ ـ ٢٧٤ ب ، ورقم ٢٠٥٠ ص ٢٩٣ أ ، وفي نسخ طهران وفي مختصر الوفيات للبارزي مخ . باريس ص ٩٤ ب

ومن الباحثين الذين بكروا في التنبيه الى هذا الخطأ في تاريخ الوفاة : بروكلمان .

ومن اخطاء مطبعة الوطن كتابتها كوفن على كوفن وهو خطأ فظيع تكرر فى طبعات اخرى .

(١٤) الصفدي ، الوافي . مط ١ : ٩١ - ٩٣ : ... وينقل عن ابن منده ويذكر عام ٥٠٨ والسمعاني يعده تاريخ وفاة الشاعر .

(١٥) السبكي (المتوفى) عام ٧٧١) - طبقات ، ٤ : ٦٢ - ٦٣ ... مشرف . سمّه . يعتمد السمعاني وعبدالغافر المؤرخ والسلفي وقد جاءت نسبته الى « الكوفى » والصحيح الكوفني ويمكن رد الخطأ الى الناشرين أو الناسخين .

العبر ٢ : ٥٠٧ ؛ ابو الفداء ٣ : ٢٣٨ ؛ ابن كثير ٩ : ١٥٦ - ٧ ؛ اليافعي ٣ : ١٩٥ ؛ السيوطي - تاريخ ص ١٧١ ، ١٧٣ ؛ البغية ص ١٦ ؛ حاج خليفة ١ : ٧٧٤ ؛ الحنبلي ، شذرات ٤ : ١٨ - ٢٠

بروكلمان ١ : ٢٩٣ - ٤ ؛ ذيله ١ : ٤٤٧ - ٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٧٢٢ ؛ هارتمان ٤ : ٨٤٦ ؛ هيار ص ١٠٩ - ١١٠ ، زيدان ٣ : ٢٩ ، الزهراء مج ٣ ص ٢٢٨ - ٢٤٢ ، الرسالة العدد ٨١٧ ، مصطفى جواد في تكملة اكمال الاكمال ص ٤٥٦ -

وفى عام ١٩٥٦ (؟) صدر بدمشق كتاب « الأبيوردي » تأليف ممدوح حقي وهو كما يذكر مؤلفه رسالة نال به درجة جامعية من كلية الآداب بالجامعة المصرية . والكتاب مقسم الى كتابين : الأول ويقع في حوالي ١٨٠ صفحة وهو الدراسة أما الثاني فهو « مقتطفات من شعر الابيوردي » . والمؤلف معجب بالشاعر اكثر مما يجب وبأمويته أكثر من ذلك ولم يلتزم اصول البحث الجامعي وذلك بعض ما اخرجه عن الروح العلمي المتزن . وأوقعه بأكثر من خطأ - وإن كان حسن النية فى اعتقاده أن « الأبيوردي » ممثل القرن الخامس في برلمان الفكر العربي .

حياته

ابو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن محمد ابن إسحاق بن الحسن بن منصور بن معاوية الأصغر بن محمد بن عثمان . . بن عنبسة ... ابن امية[١].

ولد في كَوفَن - وهي قصبة بين نسا وأبيورد - في خراسان ، وأول من تديّرها جده معاوية[٢]. « وأول من نصب المنبر بها ، أحد اجداده وهو عبدالله بن الحسين بن معاوية »[٣]. وكان لابيه مكانة وثراء[٤].

---

(١) روى ياقوت فى الارشاد سلسلة النسب من تاريخ جمعه منوچهر بن أسفرسيان بن منوچهر . ويراجع : الأنساب ، الخريدة ، ابن الجوزي ، ابن خلكان ... ممدوح حقي ص ٥٩ - ٦٢ وقد يرد شك فى نسبه إلا أن ذلك ليس مما يؤبه له كثيراً . فقد جاء فى الارشاد : « ... حكى انه من أبيورد ولم يعرف له هذا النسب وأنه كان ببغداد في خدمة مؤيد الملك بن نظام الملك فلما عادى مؤيد الملك عميد الدولة بن جهير ألزمه ان يهجوه ، ففعل ، فسعى عميد الدولة الى الخليفة بأنه قد هجاك ومدح صاحب مصر فأبيح دمه فهرب الى همذان واختلق هذا النسب حتى ذهب عنه ما قرف به من مدح صاحب مصر . وكان يكتب المعاوي . »

(٢) معجم البلدان

(٣) وفي مخطوطة العراقيات بمكتبة الأوقاف ببغداد : انه في أيام الأبيوردي ، كانت الخطابة بكوفن لعمه أبي علي الحسن بن محمد بن أحمد بن إسحاق المعاوي ، يستنيب فيها من يختاره ، وربما تولاها بنفسه في الاعياد والأشهر الحرم .

(٤) اذا صدقنا الشاعر فى ديوانه المطبوع ص ٩ ، ٤ ، ٧ ، ١٧٧ ، ٩٢ - ٩٤ ، ٢٠٨ - ٢٦٤ ، ٣٢٢

وقد يقرن الشاعر إلى الفخر بأبيه وأعمامه ، الفخر بأمه وأخواله :

أنا ابن الأكرمين أباً وأمّاً وهم خير الورى عمّاً وخالا

أنا المعاوي أعمامي خلائف من أبناء عدنان والأخوال من سبأ

فأين مثل أبي فى العرب قاطبة ومن كخالي في صيّابة العجم

ويشير هذا البيت الأخير ، وأبيات غيره ، إلى خؤولة فارسية[١]

ويبدو أن « محمدا » أمضى « عنفوان شبابه » في رخاء وترف وأنس[٢]، دون أن يمنعه ذلك عن دراسة اللغة والنحو والتأريخ والأنساب والفقه والحديث والقراءة[٣] ولعله بدأ دراسته مبكرا . وقد قال الشعر منذ صباه ، وكان نظام الملك أول حماته[٤].

سافر الأبيوردي في البلاد ، وأقام ببغداد عشرين سنة حتى يمرن طبعه

---

(١) فى الديوان المطبوع : « وكتب الى بعض اخواله من سروات العجم » ص ٨٦٣ ، ٣١٥ ؛ وكذلك في مخطوطة مكتبة الأوقاف . أما في مخطوطة لندن فـ « ... إخوانه ... » ، ينظر ممدوح حقي ص ٦٠ ، ٧٢ ، ٨٤

(٢) مقدمة ديوانه المخطوط في لندن وبغداد ...

(٣) ذكر ابن الجوزي وياقوت وسبط ابن الجوزي والسبكي ... عدداً من أساتذته فقد سمع إسماعيل بن مسعدة الجرجاني وعبدالوهاب بن محمد بن الشهيد وأبا بكر بن خلف الشيرازي وأبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي وعبدالقاهر الجرجاني النحوي ... وذكر ياقوت في الارشاد ٦ : ٣٤٦ أبا زكريا التبريزي وذكر السبكي ٤ : ٦٢ إمام الحرمين .

(٤) ديوانه ص ١٩٣ ، ٣٤٤ ، ٢٨ ـ ، وذكر فتح قلعة جعبر ودخول الأتراك انطاكية . وربما كان ذلك حوالي عام ٤٦٣ (ينظر ابن الجوزي سن ٤٦٣)

على العربية ، ولـكنه ظل - مع ذلك - يرتضخ لـكنة .

ولا نعرف تاريخ دخوله بغداد ، ولا نجد للخليفة القائم أثراً في ديوانه ، ولـكنه مدح المقتدي بعدة قصائد ، وهنأ وزيره أبا شجاع عام ٤٧٦ ، ورثى الجرجاني المتوفي عام ٤٧٨ .

ومن أخبار الأبيوردي - فيما يتصل بالمستظهر أنه كتب رقعه إليه وعلى رأسها : الخادم المعاوي ، فـكره الخليفة مكاتبته بذلك فـكشط الميم من المعاوي ورد الرقعة إليه فصار الخادم العاوي[1] .

وكتب إليه مرة في إحدى قصائده يلتمس منه داراً يسكنها[2] ، جاء فيها :

... فهـذه شتوة ألقت كلاكلها حتى استبد بصفو العيشة الـكدرُ
ومنزلي أبلت الأيام جدتـه فشفَّني المبليان : الهم والسهر
وللفـؤاد وجيب في جوانبـه كما يهز الجنـــاح الطائر الحذر

***

وابن المعـادي يهوى أن يكون له مغنى ببغداد لا تخشى بـه الغير
مثوى يدافع عق كتبي وا كثرها فيه مديحك - أن يغتالها المطر...

فلما عرضت هذه القصيدة ، وقع له بقطعة أرض من « الأجمة » نائية عن العمران - وهي قريبة من « الثريا » . فوهبها لبعض الصوفية من أهل بلده[3] وقال في ذلك :

... طلبت الثريا في السماء بمدحكم فأنزلتمـوني بالثريا على الارض[4]

---

(١) ابن خلـكان ٢ : ٣٨٢ عن ابن السمعاني .. - وصحيح أن بني العباس يكرهون الامويين ، ولـكن هذا العمل لا يخلو من مداعبة .

(٢) ديوانه ص ١٥٢

(٣) ديوانه المخطوط . و١٥٤ = ص ١٨٧ من المطبوع ص ٨٨

(٤) الديوان المطبوع ص ١٨٨

ولا ندري جواب الخليفة عن هذه المقطوعة ، ولكنا نعلم أن صلة الأبيوردي بخليفته كانت على حظ من القوة ، وقد أكثر من مدحه والاعتراف بفضله عليه .

حدث مرة أن الأبيوردي فارق بغداد « فصدر إليه من الديوان العزيز كتاب عوتب فيه » و « رغبه في عوده إليها فأجاب بقصيدة جاء فيها :

أنا غرس نعمتك التي لا تجتدى ... معها السحائب فهي منها أغزر

والنجح يضمنه لمن يرتاده ... منك الطلاقة والجبين الأزهر

وإن اقتربت أو اغتربت فانني ... لهج بشكر عوارف لا تكفر

* * *

بغداد أيها المطيّ فواصلي ... عنقا تئن له القلاص الضمر

إني وحق المستجن بطيبة ... كلف بها وإلى ذراها أصور

* * *

فكأنها جليت علينا جنّة ... وكأن دجلة فاض فيها ـ الكوثر

* * *

فصددت عنها إذ نبا بي معشري ... وبغى عليّ من الأراذل معشر...[1]

وفي هذا البيت الأخير تعريض بمن ألجأه على الانتزاح عن العراق[2] . ونحن نعلم أن الشاعر قد استنجد مرة بمؤيد الملك على الانتصار ممن أساء إليه بالعراق ـ وهو ابن جهير وزير الخليفة ـ فأجاره مؤيد الملك وتقدم بايوائه وتوفر على إرعائه[3]

---

(١) ديوانه ص ١٤٢ ـ ١٤٤ ، وينظر الارشاد ٦ : ٣٤٨ ـ ٣٥٣

(٢) ديوانه المخطوط و١٥١ ب وينظر ص ٦٤ ، وتنظر ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩ ، ٤٤ ـ ٢٤٧ والمخ .ص ٦٩ ـ ٧٠

(٣) ديوانه المخطوط ٦٩ ـ ٧٠ فقال فيه قصيدته .

=

ونعرف من أخبار إقامة الأبيوردي في العراق انه ولي خزانة دار كتب المدرسة النظامية بعد وفاة القاضي أبي يوسف التي وقعت عام ٤٩٨[١]. ونعرف شيئاً عن صلته بصدقة وزيارته إياه في الحلة. ذاك انه « في عنفوان قدومه العراق وصف له سيف الدولة صدقة، فمدحه »[٢]. وقد عاتبه مرة صدقة على تجافيه عن زيارته. فمهد عذره في تأخير ما كان يتوقعه من فريضته[٣]:

وعيرتني تأخير مدحك برهة ومن أين يستوفى محاسنك الشعر

ثم زاره في جماعة كثيرة من أتباعه ومدحه فأكرمه سيف الدولة - وإن خالط هذه الزيارة شيء من سوء ظن هو جزء من تعاظم الشاعر، ولكنه لم يلبث أن زال - بما هو معروف عن كرم الملك العربي[٤].

ولما استوزر السلطان بركيارق ... عبدالجليل بن علي الدهستاني (ويقع ذلك بعد مقتل مؤيد الملك وأسر محمد عام ٤٩٤) « عرض عليه إنشاء الكتب عنه، محاماة على ما كان بينهما من الخلة المتمهدة والصداقة المتأكدة، فلم تضع همته إلى ذلك، واستصحبه عند خروجه من الري إلى أصفهان، فانتظم في جملته مشمولا بالارعاء التام، حتى استأثر الله به. فاقترح الصفي أبو المحاسن

= لك المجد لا ما تدعيه الأوائل وما في مقال بعد مدحك طائل

* * *

أبابل لاواديك بالرفد مفعم لدينا ولا ناديك بالوفد آهل

لئن ضقت عنا فالبلاد فسيحة وحسبك عاراً أنني عنك راحل ...

وتذكر القصيدة اسم غياث الدين واذن فهي في عهد السلطان محمد بن ملكشاه الذي تفرد بالسلطنة بعد موت أخيه بركيارق

(١) تنظر الخريدة، مخ. ليدن قسم بلاد العجم، الارشاد ٦ : ٣٤٣

(٢) الديوان ص ١٩٨، ١٩٩، ٣١١ - ٣١٤، ٣٣٤ - ٣٣٦

(٣) الديوان ١٣٣ - ١٣٧

(٤) الارشاد ٦ : ٣٥٦ - ٣٥٨

ابن مسعود بن عبدالله بن خلف النيرماني عليه أن ينتقل إلى همذان ، ويقيم بها في ضيافته ليبني له مدرسة تكون مثابة للناس للاستفادة والاقتباس ، وكان تدبير الدولة إلى صاحبه الأمير الاسفهسيالار اياز التركي ، فأجابه إلى ذلك وتحول الى همذان ، وقابل ما بذله من الوعد ببناء المدرسة - وإن اخترمته المنية دونه - بشكر ضمنه قصيدة .. منها :

... وأكرم مثواها وأمجدها القرى | بنو خلف حتى حططت رحالي
وفازوا بحمدي إذ ظفرت بودهم | فلم أتعرض بعدهم لنوال
مغاوير من أبناء بهرام ذادة | بهم تلقح الهيجاء بعد حيال

* * *

رعى حرمات المجد فيَّ تكرما | وقد شدَّ عزمي للمسير قبالي
وايقن أني لا ألوذ بباخل | يضيع عرضا في صيانة مال ...[1]

وسمع سنقر كفجك بخبره فأراد أن يجعله طغرائي الملك أحمد ، فمات أحمد ، فرجع إلى أصفهان بحال سيئة وبقي سنين[2] يعلم أولاد زين الملك برسق ثم شرح سنقر الكفجك للسلطان محمد ذلك وأعطاه إشراف المملكه . . . »[3] تولاها في آخر عمره[4] ، وكان يدخل مع

---

(١) الديوان المخطوط . لندن و١٦٥ ب - وينظر المطبوع ٢٦٥-٢٦٧)

(٢) لعلها « سنتين »

(٣) الارشاد ٦ : ٣٤١ عن العماد فى كتابه خريدة القصر ، وفي رواية العماد شيء من التمريض : « ذكروا ... » . السبكي . السيوطي . وفي السبكي ٤ : ٦٣ عن الحافظ السلفي : « ذكروا ... » انه تولى « إشراف الممالك بخراسان كلها »

(٤) الارشاد ٦ : ٣٤١ عن العماد في الخريدة

الخطير [١] وأبي إسماعيل [٢] والمعين [٣] وشرف الدين [٤] .

وكان في منصبه هذا حين سقوه السم بأصبهان [٥] وهو واقف عند سرير السلطان فخانته رجلاه فسقط [٦] وحمل إلى منزله فقال : ـ

وقفنا بحيث العدل مدّ رواقه وخيّم في أرجائه الجود والباسُ

وفوق السرير ابن الملوك محمد تخر له من فرط هيبته الناس

فخامرني ما خانني قدمي له وإن رد عني نفرة الجأش إيناس

وذاك مقام لا نوفيه حقه إذا لم ينب فيه عن القدم الرّاس

لئن عثرت رجلي فليس لمقولي عثار ، وكم زلت أفاضل أكياس [٧]

والمقطوعة تبين ثقة الأبيوردي بسلطانه ولا تذكر السم ولا تتهم أحدا

---

(١) ارشاد ٦ : ٣٤١ (وتنظر خريدة بلاد العجم مخ . ليدن) ، السبكي ٤ : ٦٣ والخطير هو أبو منصور محمد بن الحسين المبيذي . . . كان جاهلا . . . ولي الوزارة عام ٥٠٥ بعد عزل أحمد بن نظام الملك (ينظر البنداري)

(٢) « جمع بين الطغرائي والأبيوردي صداقة وكره مشترك للسميرمي » .

(٣) مختص الملك ، أعيد إلى الاستيفاء في وزارة الخطير (ينظر البنداري) وينظر ديوان الأبيوردي ص ٧ ، ٢٩٣

(٤) لعله أنو شروان الذي كانت له الخزانة (ينظر البنداري ص ٩٩)

(٥) الارشاد ٦ : ٣٤١ عن ابن منده بشيء من التمريض ، الخريدة مخ . ليدن عن بلاد العجم ، السبكي ٤ : ٦٣ وينقل ياقوت عن ابن منده انه « يقال بل سقاه السم الخطير »

(٦) السبكي عن السلفي ٤ : ٦٣ « وقع ميتا » ـ ولياقوت رواية أخرى انه : « . . . توفي فجأة . . . وكذا ذكر » .

(٧) الارشاد ٦ : ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ، عن الخريدة . تنظر مخطوطة ليدن ، وتنظر طبعة دار المأمون للارشاد ١٧ : ٢٣٨ .

كانت وفاته بين الصلاتين ، بين الظهر والعصر ، يوم الخميس فى العشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٠٧[١] . وصلى عليه في الجامع العتيق[٢]

آثاره

وكان - « فاضلاً في العربية والعلوم الأدبية » « متبحراً » « عارفا بالنسب والأخبار » بل « خبيراً بعلم النسب - من اخبر النـاس » « نسابة ليس مثله » ، نقل عنه الحفاظ الأثبـات الثقات، وروى عنه الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في غير موضع من كتابه الذي وضعه في الأنساب .

وقد « عد أوحد عصره وفريد دهره . . . كان إما ما في كل فن من العلوم » . وما قيل عن مكانته من الأنساب قيل عن مكانته من اللغة . فقد كان « فصيح الـكلام » « عارفاً بالنحو واللغة » « فاضلاً في العربية والعلوم الأدبية«متبحراً في الأدب» أو حد عصره وفريد دهره في معرفة اللغة»وله فيها « مصنفات ما سبق اليها » «وروى عنه جماعة غيرمحصورة» . وكان إلى ذلك من محدثي عصره وأحد قراء أبيورد ، ويده باسطة في الانشاء والبلاغة[٣] .

---

(١) وقد أكثر المؤلفون المحدثون من جعل وفاته سنة ٥٥٧ وكذلك جاءت فى مقدمة ديوانه المطبوع . ويرجع الخطأ فى ذلك لأسباب منهاطبعات وفيات الأعيان ، وقد وقع فى الخطأ نفسه محمد محي الدين عبدالحميد فى طبعته الأخيرة لابن خلـكان . وقد تأثر محمد بهجت الأثري بطبعات ابن خلـكان في مقالته بمجلة الزهراء ص ٢٤٢ ولـكنه استدرك فجعل الوفاة عام (٥٠٧) فى « ديوان الأدب - تنظر ط ٤ ، بغداد ، ١٩٥٨.

وربما كان بروكلمان أول من نبه الى التاريخ الصحيح .

(٢) تضيف رواية « ودفن بباب . . . »

(٣) ينظر الارشاد ، المحمدون ، ابن خلـكان .

وقد وصل إلينا غير قليل من أسماء مؤلفاته[١] :

تاريخ أبيورد ونسا .

كتاب المختلف والمؤتلف .

كتاب ما اختلف وائتلف في أنساب العرب .

كتاب قبسة العجلان من نسب آل أبي سفيان .

كتاب كبير في الأنساب .

كتاب نهزة الحافظ .

كتاب المجتبى من المجتنى في رجال كتاب أبي عبدالرحمن النسائي في السنن المأثورة وشرح غريبة .

كتاب الطبقات في كل علم وفن .

كتاب تعلة المشتاق الى ساكني العراق .

كتاب تعلة المقرور في وصف البرد والنيران وهمذان .

جاء في « المحمدون » : ان تعلة المقرور ، - « كتاب صنفه بهمذان ، وسببه أن همذان شديدة البرد في غير الشتاء فكيف فيه ، وكان هو وجماعة من الأدباء يجتمعون في الليل وقد عجزوا عن وقود النار للعدم فأخذوا في التعلل في ذلك فصار منه تأليف لطيف في فنه »

كتاب صهلة القارح ، يرد فيه على المعري في سقط الزند

كوكب المتأمل ، يصف فيه الخيل

زاد الرفاق في المحاضرات « وهو كتاب يشتمل على مناظرات مع ارباب النجوم ونقض لحججهم وغير ذلك من المحاضرات في الأنساب واللغة » ، منه نسخة في دار الكتب المصرية مخطوطة سنة ١٢٨٨[٢]

---

(١) ينظر الارشاد ، المحمدون ، ابن خلكان ، الوافي ...

(٢) فهرست مخطوطات دار الكتب المصرية ٣ : ١٧٧ (ط ١٩٢٧) وينظر زيدان ٣ : ٢٩

وأهم ما يهمنا من الأبيوردي، شعره . وقد ذكر الشاعر نفسه أن شعره « كان ... يعرق ويشئم وينجد ويتهم ، وانا لا أتألف شاردة ، ولا أقيد أوابده ، والرواة يحرفون بعضه عن مواضعه »[١] ، وذكر أنه جمع منه « خمسة آلاف بيت مما أملاه » عليه « مرح الفتاء وميعة الشباب »[١].

وجاء فى الأنساب « ان شعره مدون ، سائر على ألسن الناس . »[٢] ، وقال العماد : « سمعت كثيراً من شعره من شمس الدين أبي الفتح النطنزي بأصبهان - وكان ملتهجاً بذكره ، مبتهجا بشعره »[٣] . وذكر القفطي ان « شعره كثير ، قد فننه فنونا على البلاد »[٤] فقسمه الى النجديات والعراقيات وغير ذلك »[٥]. ويدخل فى « غير ذلك » الوجديات[٦].

وتضم مكتبات العالم عدداً من مخطوطات دواوينه[٧] ، رأيت منها : النجديات والوجديات والمقطعات[٨]. وللنجديات - وهي الف بيت - شروح منها : مخطوطة في ليدن كتبت سنة ٧٥٩ ولا تضيف شيئاً يذكر . ومنها : جهد المقل وجهد المستدل »[٩] لعمر بن القوام المعروف بالنظام - من أهل القرن الثالث عشر .[٩] وفي خطبة هذا الشرح يذكر ابن القوام « ان الامام أحمد بن عمر بن عثمان الجندي قد سبقه الى شرحه ولكنه لم يكن كافيا . » . ولم يأت ابن القوام في شرحه وتعليقاته بامر ذي بال .

---

(١) الأبيوردي في مخطوطة ديوانه بدار الكتب .

(٢) السمعاني في الأنساب

(٣) العماد فى الخريدة ، مجلدة بلاد العجم ، ليدن. وتنظر ترجمة النطنزي في نسخة اكسفورد

(٤) القفطي في انباه الرواة ٣ : ٧١

(٥) القفطي في « المحمدون »

(٦) ابن خلكان (٧) ينظر بروكلمان ، زيدان ، هامش ص ٥١ =

طبع من شعر الأبيوردي : المقطّعات ، في القاهرة سنة ١٢٧٧[1] ثم طبع « ديوان الأبيوردي » بالمطبعة العثمانية في لبنان سنة ١٣١٧[2] على ذمة ملتزمه عبدالباسط الانسي مدير مطبعة المعارف والمكتبة الانسية . ويذكر الناشر أن هذا الديوان يحتوي على « جميع شعره : العراقيات ، النجديات والوجديات » وأنه صحح بكمال الدقة والاعتناء على عدة نسخ ... معتبرة صحيحة ، والنسخ التي تصحح عليها هذا الديوان هي نسخة محررة أواخر جمادي الأولى سنة ٧٢٧ ونسخة محررة في شهر شعبان سنة ١٠٥٦ ، والثالثة بخط العلامة ... إبراهيم الأحدب ، نقلها عن نسخة قديمة مكتوبة سنة ٦١٨ حينما زار القاهرة سنة ١٢٧٢ . وقد استعنا على تصحيح نجدياته بنسخة قديمة محررة سنة ٧٦١ ، واستحضرنا أيضاً المقطعات المطبوعة ... وقد كمل تصحيح هذا الديوان ... على النسخة المعتبرة المنقولة سنة ١٢٦٢ بخط العالم ... أحمد عزت باشا الفاروقي العمري ... وبالنظر لوفرة النسخ وتعدد القصـــائد في بعض الدواوين المذكورة رتبنا هذا الديوان على حروف الهجاء حتى اجتمع في هذه النسخة جميع مافي النسخ التي عثرنا عليها ... »

كان الافضل ترك الديوان كما بوبه مؤلفه الى عراقيات ونجديات ووجديات ... لأن ذلك ادخل في الفن الشعري وادل على الأمانة العلمية - ولا تبرر وفرة النسخ التبويب المعجمي .

= من ج ٣ من انباه الرواة ، مكتبة مجلس ملي بطهران ، مكتبة الأوقاف ببغداد.

(٨) ويذكر زيدان أن مخطوطات الوجديات في برلين ومنشن واكسفورد

(٩) منه نسخة بدار الكتب المصرية وأخرى في المتحفة البريطانية .

(١) سركيس

(٢) يذكر محقق « انباه الرواة » ج ٣ هامش ٥١ : « وطبع بالمطبعة العثمانية فى لبنان سنة ١٢١٧ وبالمطبعة الانسية ببيروت سنة ١٣٢٧ » ويذكر زيدان أنه طبع سنة ١٣٠٧ (!!)

هذا ، ولا يحفظ الديوان كل شعر الأبيوردي، فلا نجد فيه - مثلاً - مرثيته للحسين التي اخبرنا خبرها ياقوت ، ولا مرثيته في الغزالي التي يرويها الصفدي في الوافي ١ : ٢٢٢ ولا مقطوعات أخرى نجدها هنا وهناك من مختلف المصادر

وأهم ما يجب ذكره عند الكلام على ديوان الأبيوردي المطبوع هو التنبيه الى ما حشر فيه الناشر من شعر الغزي (٤) . فلقد ضم - على غير علم - كثيراً من ديوان الغزي على انه من شعر الأبيوردي . ولا يستدعي ذلك البرهنة ، ما دمنا نملك نسخاً خطيةً من ديوان الغزي ، وما دمنا نجد في ما سماه الناشر « ديوان الأبيوردي » أبياتاً ومقاطيع استشهد بها المؤلفون القدامى - وهم يتكلمون على حياة الغزي وشعره . ثم هناك ما جريات الأحداث ، وإلا فما هي صلة الأبيوردي بغزة وحلب : يتذكرها ويتذكر أطواراً من حياته فيها . ثم هناك الأسلوب ، والغزي أرك وكثير الاحتفال بالجناس (٧)

---

(٣) ينظر مثلاً المخطوطة رقم ٥٢٣ في دار الكتب المصرية ، ديوان الطغرائي ، المحمدون ...

(٥) سيترجم له في هذا الباب

(٧) وقد ظهر أن الاستاذ محمد بهجت الأثري قد سبق إلى التنبيه الى ذلك في حديثه عن الغزي في مجلة الزهراء كما ان ممدوح حقي اولاه عناية خاصة واثبت مطالع قصائد الغزي التي ضمها ديوان الأبيوردي المطبوع .

خاتمة

قال القفطي : « كان - الأبيوردي - حسن السيرة جميل الأمر منظرانيا في الرجال » « حسن الاعتقاد جميل الطريقة » . وقال السلفي « والله كان الأبيوردي من أهل الدين والخير والصلاح والعفة ، قال لي والله ما نمت في بيت فيه كتاب الله أو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، احتراما لهما » وقال العماد « كان رحمه الله عفيف الذيل غير طفيف الكيل ، صائم النهار ، قائم الليل »

وقد يكون هذا صحيحاً ، إلا ان أثره فى شعره غير بيّن . ومن المؤرخين من ينسب اليه كمال الفضيلة[1] وكثرة التعفف[2] وقوة النفس[3] وعزتها وإبائها[4] مما لا تؤيده كثرة المديح في شعره ، ولا قيمة بعد ذلك لمن قال إنه « لم يسأل أحداً شيئاً قط مع الحاجة المضايقة »[5] .

ولئن ظهرت « عزة النفس »[6] وعظم الهمة[7] في شعره ، فانما ظهرتا وعلى صورة تدعو للابتسام ، لما يصحبها من الكبر والتيه الذي يخرج صاحبه الى الحماقة[8] :

« حدث أبو سعد السمعاني عن أبي علي أحمد بن سعيد العجلي المعروف بالبديع قال سمعت الأبيوردي يقول في دعائه « اللهم ملكني مشارق

---

(١) السبكي (٢) السبكي (٣) السبكي

(٤) خريده . عجم . ليدن .

(٥) ارشاد ٦ : ٣٤٢

(٦) سبكي وغيره

(٧) ارشاد ٦ : ٣٤١

(٨) ابن الجوزي ٩ : ١٧٧

الارض ومغاربها » فقلت له : أي شيء هذا الدعاء فكتب إلي بهذه الابيات :-

يعيرني أخو عجـل ابائي ... على عدمي وتيهي واختيالي
ويعلم انني من فرط حي ... حموا خطط المعالي بالعوالي
فلست بحاصن إن لم أزرها ... على نهل شبا الأسل الطوال
وإن بلغ الرجال مداي فيما ... أحاوله فلست من الرجال[1]

وكانت « امويته » هذه دافعاً لكثير من « الحماقات »

ولا غروة في أن كان نخره أطرف شعره ، وانه مما يمكن أن يدرس لذاته، لما فيه من أصالة تقوم على كذب يعتقد صاحبه صدقه .

اما نسيبه فعليه مسحة من ملاحة . وقد طرق الى ذلك أكثر أغراض الشعر الأخرى المعروفة من مديح ورثاء ... بأسلوب له حظه من المتانة والسلاسة في التراكيب ، والفصاحة في المفردات - من دون تكلف للصناعة البديعية .

ان الأبيوردي من أكبر شعراء عصره ، ويأتي بعد الطغرائي في قائمة شعراء « الدرجة الثانية » .

---

(١) ارشاد ح ٦ ص ٣٤١ ، وينظر « المحمدون » « والأنباه » . وينظر تكملة المال الاكمال ص ٤٥٨ .

وقال السمعاني : سمعت العجلي يقول : « كنت قاعداً مع الأديب تاج العرب الأبيوردي فلما اردت أن أقوم أخذ الأبيوردي بعضدي فقال : أموي يعضد عجلياً ، كفى بهذا شرفا . » وجاء الخبر في الارشاد : « كنت متكسراً فأردت أن أقوم فعضدني الأبيوردي وعاونني على القيام ثم قال ... بهذا ... » والعجلي من أهل همذان إمام فاضل ... ولد سنة ٤٥٨ ومات سنة ٥٣٥ بهذان ... ينظر عنه الأنساب ، والدكتور مصطفى جواد في تكملة الاكمال هامش ص ٤٥٧

الفصل الثالث

ابن الهبارية

مصادر دراسته

(١) ابن الهبارية (أ) : نتائج الفطنة ص ٧ ـ ١١ ، ٢٧١ فى اصبهان ، كرمان ، صلاته بمجد الملك وأبي الفرج وإيرانشاه . ظروف تأليف الكتاب .
(ب) الصادح والباغم ص ٨ ـ ١١ ، ١١٩ ـ ١٢٠ ، صدقة ، الحلة ، تأليف الصادح ، ابنه .

(٢) السمعاني : الأنساب (هبّاري) و ٥٨٧ ب : نسبه ، جده لأمه ، بغداد ، وفاته في كرمان . ثناء على شعره (عدا الهجاء) .

(٣) إبن الأنباري ، النزهة ص ٤٣٧

(٤) العماد : (أ) النصرة ، مخ . و ٥٨ أ ، ٦٠ أ ، ١٠٣أ ، ١٠٤ـ١٠٥ : استشهادات يغلب عليها هجاء ساسة العصر . وتحتفظ « الزبدة » بعدد من هذه الأشعار ص ٦٤ ، ١٠٣ ، ١٠٤ . (ب) الخريدة ج١ (مخ.ليدن or 12a): نسبه ، بغداد ، أسفاره ، صلاته ، موته عام ٥٠٤ ، ثناء على شعره ، منهج ابن الحجاج ، ديوانه . مختارات كثيرة (ورد بعضها في النصرة) . اما مخطوط باريس 3326 و٢٤ ب ـ ٢٧ أ فهو غير تام .

وفي ج ٣ (الشام) مخ . باريس يذكره عرضاً عند الكلام على الشاعر السابق بن مهزول .

الخريدة مصدر لا يمكن أن يستغنى عنه في دراسة ابن الهبارية ويروي

المؤلف فيها أخباراً سمعها مشافهة . ولم يشر إلى « النتائج » أو « الصادح » من مؤلفات الشاعر .

(٥) ياقوت (أ) الارشاد ٤ : ٢٩٧ يذكر عرضاً كتاب اللقائط
(ب) البلدان : بغداد ، بردا سير ، جار باذقان ، نيسابور

(٦) سبط ابن الجوزي ، عام ٥٠٩ مخ باريس و٢٨١ - ٢٨٤ أ (وينظر المطبوع) : ... ابوه ، نظام الملك ، مختارات من كتابه فلك المعاني ، رثاء الحسين ، سنتا وفاته . وبهذا يستدرك السبط على جده .

(٧) ابن خلكان (١) ٢ : ٣٨٦ - ٣٨٩ (محمد بن محمد ...) : نسبه الكامل ، هبّار ، سير حياته ، ينقل عن الخريدة ولكنه يتكلم على « النتائج » و « الصادح » ولا يستغنى عنه اذا لم تتوافر الخريدة او المرآة . (٢) ج ٢ (محمد بن جهير ...) يروي عن كتاب لأسامة ابن منقذ التقاءه السابق بن مهزول وهجاءه ابن جهير . (٣) ج ١ ص ٢٨٣ (الحسين ...) صلاته مع الشاعر البارع؛ ص ٤١٠ : صدقة (٤) ج ٣ ص ٤٥٣ بيت لابن الهبارية نسبه إلى حيص بيص .

(٨) ابن أبي أصيبعة . طبقات ج ١ (يحى بن التلميذ) ص ٢٧٧ ؛ هبة الله ابن التلميذ ص ٢٥٩ .

(٩) ابن الطقطقى ص ٢٦٦ - ٢٦٧ أبيات فى مديحه وهجائه . وتنظر الطبعة الثانية ص ٣٥٥

(١٠) الصفدي : الوافي مط . ج ١ ص ١٢٤ ، ١٣٠ - ١٣٣ وفى المخ . ٤٠ أ ، ٤٢ أ - ٤٣ أ ، ٩١ أ ، كأنه يختصر الخريدة والمرآة وابن خلكان مع شيء من الاختلاف ، ولعله اعتمد مصادر أخرى (ينظر المط . ص ١٣٣ في كلامه على ديوانه)

شذرات الذهب - مرآة الجنان - البداية والنهاية - لسان الميزان ٥ : ٣٦٧ - ٣٦٨

دائرة المعارف ، بروكلمان ١ : ٢٩٣ ؛ تكملته ١ : ٤٤٠ ، هارتمان ٤ : ٨٣٦ ـ ٨٤٥ ، هيار ص ١٠٧ ـ ١٠٨ ، شوفان ٢ : ١٧١ ـ ١٧٤ ؛ زيدان ٣ : ٢٧ ، ٢ : ١٣٣ ، دائرة البستاني ١ : ٧٢٦ ـ ٧٢٧ سركيس ٢٧١ ـ ٢٧٢ . حميدة ص ١٥٠ ـ ١٦٨ يتكلم على نتائج الفطنة ، الصادح والباغم) ، مجلة المشرق ، السنة الرابعة . « نظم كليلة ودمنة » للويس شيخو

حياته

الشريف نظام الدين أبو يعلى[١] البغدادي محمد بن صالح[٢] بن حمزة بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس الهاشمي[٣] ، المعروف بابن الهبارية ، والهبارية بفتح الهاء وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف راء ، هذه النسبة إلى هبّار ، وهو جد أبي يعلى[٤] لأمه[٥].

ولد أوائل المئة الخامسة ، ونشأ ببغداد[٦] ، ومن المحتمل جداً أن يكون

---

(١) أبو يعلى ، هكذا كتبت فى كل المصادر ، وجاء في المرآة على « يعلا » ؛ أما في مخطوطة خريدة باريس فـ « يعلي » . وكنيته فى « الأنساب » : « أبو جعفر » .

(٢) وجاء في « المرآة » : « محمد بن علي وقيل بن محمد » . وجاء في مادة بغداد من معجم البلدان : « وقال أبو يعلى ابن الهبارية : أنشدني جدي أبو الفضل محمد بن محمد لنفسه : إذا سقى الله ... »

(٣) النسب الكامل في ابن خلكان

(٤) ابن خلكان ٢ : ٣٨٩ ، الأنساب

(٥) ابن خلكان ٢ : ٣٨٩

(٦) إذا صدقنا طبعة حيدر آباد للسان الميزان ، تكون ولادة ابن =

قد تلقى مبكرا المهم من علوم عصره ومعارفه فى القرآن واللغة والأدب وما إليها « مما صقل ذهنه »(١) . وكان جده شاعرا ، انشده ـ فيما أنشده ـ قوله في بغداد :

إذا سقى الله أرضاً صوب غادية فلا سقى الله غيثاً أرض بغداد

أرض بها الحر معدوم كأن لها قدقيل في مثل: « لا حرفي الوادي(٢)

ونعرف من علماء العصر الذين اتصل بهم ابن الهبارية الشيخ الشيرازي(٣) ، ونحن نعلم أن الشيرازي كان استاذا بالمدرسة النظامية ببغداد ، وربما كان هذا هو الذي جعل بروكلمان يقرر ان ابن الهبارية قد درس في النظامية

ولم تـكن صلة ابن الهبارية بالشيرازي وأهل العـلم والدين لتحول بينه وبين « خلاعة » بغداد ومجونها وكأن شخصيته كانت خليطاً من هذا وذاك مع ميل للنـكتة وحب للمداعبة :

يقول أبو سعيد إذ رآني عفيفاً منـذ عام ما شربت

= الهبارية عام ٤١٤ هـ ، ويذكر هذا « اللسان » أنها كانت بأذربيجان ، وذلك بعيد ، ولو صح لما ترجم له العماد فى مجلدة العراق . وقد رجح الدكتور مصطفى جواد ان تـكون « بدرزيجان » ـ ولسان الميزان المطبوع في حيدر آباد كثير التصحيف . ويقول ياقوت عن « درزيجان » أنها : « قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي ... وقال حمزة : كانت درزيجان إحدى المدن السبع التي كانت للأكاسرة وبها سميت المدائن » . ومن المناسب أن نشير إلى أن لويس شيخو جعله « بغدادي المولد » .

(١) ابن الهبارية نفسه فى شعر ترويه الخريدة

(٢) ياقوت في معجم البلدان : بغداد

(٣) وقد روى ابن الهبارية عنه أبياتاً في مدح بغداد . ومما يذكر أن الشيرازي توفى عام ٤٧٣ ببغداد ، وقد رثاه الشاعر ـ فيمن رثاه ـ

على يد أي شيخ تبت قل لي : فقلت على يد الافلاس تبت[١]

وقد نقل ابن خلكان انه « كان بينه وبين البارع « مداعبات لطيفة » ، فانهما كانا رفيقين ومتحدين في الصحبه ، فاتفق أن البارع المذكور تعلق بخدمة بعض الامراء وحج ، فلما عاد ، حضر الشريف (ابن الهبارية) إليه مراراً فلم يجده ، فكتب اليه قصيدة طويلة دالية يعاتبه فيها ويشير إلى أنه تغير عليه بسبب الخدمة ، وأولها :

يا ابن ودي وأين مني ابن ودي غيرت طرقه الرياسة بعدي

- ولولا ما أودعها من السخف والفحش لذكرتها - . فكتب اليه البارع المذكور جوابها واطال فيها وضمنها أيضاً شيئاً من الفحش وأولها :

وصلت رقعة الشريف أبي يعـ لى فحلت محل لقياه عندي
فتلقيتها باهلا وسهلا ثم الصقتها بطرفي وخدي
وفضضت الختام عنها فما ظنـ (م) ـك بالصاب إذ يشاب بشهد
بين حلو من العتاب ومر هو اولى به ، وهزل وجد
وتجن علي من غير جرم بملام يكاد يخرق جلدي
يدعي انني حجبت وقد زار مراراً - حاشاه من قبح رد
ثم دع ذا ، ما للرياسة والحج ، أين لي من حل أنف وعقد ؟
فبماذا علمت بالله أني قد تنكرت أو تغير عهدي
من تراني أعامل أم وزير لأمير أم عارض للجند ؟!
أنا ذاك الخليع الذي تعـ رف ، أرضي ولو بجرة دردي
وإذا صح لي مليح فذاك اليو م عيدي، وصاحب الدست عندي
أتراني لو كنت في النار مع ها مان أنساك ، أو في جنان الخلد

---

(١) ابن خلكان ٢ : ٣٨٧ . وجاء في خريدة ليدن قسم العراق : « يقول سعيد .. عفيف »

أو لو اني عصبت بالتاج أسلو ك ولو كنت عانياً في القد
أنا أضعاف ما عهدت على العهـ د وإن كنت لا تجازى بود ...

ونقتصر من هذه القصيدة على هـذه الابيات ، ففيها سخف لا يليق ذكره... »[١] والقصيدة تبين طرفا من خلاعة الشاعرين وطرفا من نفسيتيهما وحياتها ، واذا أضيف اليها سواها أمكن أن نصدق من يقول إن ابن الهبارية قد امضى شبابه في خمارة قطربل في ضواحي بغداد[٢]

ولم تـكن روح المداعبة والمعابثة لدى ابن الهبارية لتقف عند حد ، وإنها لتستحيل جرأة في مخاطبة أهل السلطة وولعاً بهجائهم . وقد قال ابن خلـكان[٣] : وجدت بخط أسامة بن منقذ .. أن السابق بن أبي مهزول الشاعر المعري[٤] قال : دخلت العراق فوجدت ابن الهبارية فقال لي في بعض الأيام إمض بنا لنخدم الوزير ابن جهير[٥] ـ وكان قد عزل ثم استوزر ـ قال السابق فدخلت معه حتى وقفنا بين يدي الوزير فدفع إليه رقعة صغيرة ، فلما

---

(١) ابن خلـكان ١ : ٢٨٣ ـ ٤

(٢) دائرة المعارف الاسلامية

(٣) الوفيات ٢ : ٤٨٤ (ترجمة محمد بن جهير) وينظر الوافي ج ١ مخ . باريس و٩١ (٤) جاء فى الخريدة ج٣ (الشام) مخ . باريس و١٤٤ : « السابق المعري أبو اليمن ابن أبي مهزول ... سافر إلى العراق فى زمان بني جهير واجتمع بابن الهبارية » . وفي الوافي ٣ : ٣٩ ـ ٤٠ : « محمد بن الخضر ... التنوخي ... قال ابن النجار : كان شاعراً مجـّودا ... دخل بغداد وجالس ابن ناقيا والأبيوردي وأبا ذكريا التبريزي ... ودخل الري واصبهان ولقى ابن الهبارية الشاعر . » وفي الفوات ٢ : ٢٤٨ ـ ٢٥٠ : « ... كانت وفاته بعد الخمسمائة »

(٥) عميد الدولة محمد بن محمد فخر الدولة بن جهير وقد وهم الناشر الذي طبع « الصادح والباغم فحسبه في مقدمته ص ٦ فخر الدولة نفسه

قرأها تغير وجهه ورأيت فيه الشر ، وخرجنا من مجلسه ، فقلت ما كان في الرقعة ؟ فقال : خير ، الساعة تضرب رقبتي ورقبتك ، فاشفقت وقلت : أنا رجل غريب ، صحبتك هذه الأيام وسعيت فى هلاكي . فقال : كان ما كان : فقصدنا باب الدار لنخرج فردنا البواب ، فقال: أمرت بمنعكما ، فقال السابق : أنا رجل غريب من أهل الشام ما يعرفني الوزير ، وانما القصد هذا ، فقال البواب : لا تطوّل ، فما إلى خروجك من سبيل ، فأيقنت بالهلاك . فلما خف الناس من الدار ، خرج إليه غلام ومعه قرطاس فيه خمسون ديناراً ، وقال : قد شكرنا فاشكر . فانصرفنا ودفع لي عشرة دنانير منها . فقلت ما كان في الرقعة ؟ فأنشدني :

قل للوزير ولا تُفزعك هيبته	وإن تعاظم واستولى لمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية	فاشكر .. صرت مولانا الوزير به

فآليت ألا أصحبه بعدها[1] .

ولنا أن نتصور أن هذا النوع من الهجاء الذي ينسجم ونفسية ابن الهبارية ، كان وسيلة من وسائل الربح التي يضمها إلى ما سواها من مديح وغير مديح ، ولنا أن نتصور ان ابن الهبارية ما كاد يمسك بالأربعين ديناراً حتى خف إلى رفاقه يبشرهم ، فكان لهم بها يوم يذكرونه .

لكرم بني جهير وغيرهم حدود ، ولحياة المجون تكاليف واذن فقد ثقلت على ابن الهبارية حياة بغداد وضاق بعبئها ، وعزم على السفر الى سواها ؛ إلى اصبهان .

---

(١) اسم ابنة الشيخ (اي نظام الملك) هذه صفية فقد روى ابن الطقطقى : « لولا صفية » ، اما الأولى فزبيدة ينظر ابن خلكان ٢ : ٤٨٤ . والوافي ج ١ مخ . باريس و٩١ (وتنظر و٩١) . وقد ترد « فلانة » فيحسب البعض « فلانة » هذه اسماً علما (ينظر زامبور)

« قدم اصبهان بأطماره ، وبها السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك »[١]، ومع ما هو مشهور عن الوزير وكرمه ورعايته لأهل الفضل والأدب فان ابن الهبارية لم يجد بابه مفتوحا على مصراعيه ، فظل يذكره فضله ويستعطفه[٢] :

انا جار داركوهي في عرف الهوى — ربع حرام ، آمن جيرانه
لا يزهدنك منظري عن مخبري — فالبحر ملح مياهه عقيانه
ليس البرود ولا القدود فضيلة : — « ما المرأ إلا قلبه ولسانه »[٣]

ولعله قال في هذه الفترة :

نظام العلى ما بال قلبك قد غدا — على عبدك المسكين دون الورى فظا[٣]

وربما « وسّط » أبا الفرج بن صاعد بن التلميذ ليخاطب الوزير بشأنه ، وربما لجأ إلى وسائل أخرى قبل أن يصبح من البطانة « ملازما لخدمة نظام الملك وله عليه الانعام التام والادرار المستمر »[٥] .

« وكان بين نظام الملك وتاج الملك أبي الغنائم ابن دارست شحناء ومنافسة - « كما جرت العاده بمثله بين الرؤساء » -[٥] « فحمل تاج الملك ابن الهبارية على هجو نظام الملك فقال : فكيف وهو منعم في حقي ، فألح عليه ، فقال : -

لا غرو ان ملك ابن إسحا — ق وساعده القدر
وصفت له الدنيا وخص (م) — أبو الغنائم بالكدر
فالدهر كالدولاب ليـ — س يدور إلا بالبقر

فقال النظام : هذا إشارة إلى أني من طوس - والعامة يقولون : إنهم بقر .

---

(١) المرأة . مخ . باريس . (٢) الخريدة ج ١ مخ . ليدن
(٣) الخريدة والمرأة
(٤) ينظر الصادح والباغم ، ابن ابي اصيبعة
(٥) ابن خلكان ٢ : ٣٨٦ ، جاء في المرآة ٨ : ٥٨ من ط . حيدر آباد : وأبو المحاسن صهر نظام الملك ، ويقال له : أبو الغنائم ...

وخلع عليه وأعطاه خمس مائة دينار »[١] فقال ابن الهبارية لتاج الملك : « ألم أقل لك إني ما أهجوه وهذا فعله في حقي[٢]

« وكان ابن الهبارية ـ مع فرط إحسان نظام الملك إليه يقاسي من غلمانه وأتباعه شر مقاساة ، لما يعلمونه من بذاءة لسانه . فلما اشتدت عليه الحال منهم ، كتب إلى نظام الملك »[٣] يخبره سوء ما يلقى :

لذ بنظام الحضرتين الرضى	إذا بنو الدهر تحاشوك
واجل به عن ناظريك القذى	إذا لئام الناس أعشوك
واصبر على وحشة غلمانه	لا بد للورد من الشوك[٣]

ولعل نظام الملك كان يعلم ما يفعله غلمانه، ولعل الغلمان كانوا يفعلون ما يرضي سيدهم. وما كانت علاقة الشاعر بالوزير حسنة دائماً . ويروي العماد الاصبهاني أنه :

---

(١) ابن خلكان ٢ : ٣٨٦ . وفي الخريدة ج ١ مخ باريس و٢٥ « قال ... أهج ... فأبى فحمله على أن سأل نظام الملك شيئاً صعبت عليه اجابته ... فقال : لا غرو ... فاستدعاه وخلع عليه » . وفي المرآة سن ٥٠٩ « قدم اصبهان ... فدخل على النظام ومعه رقعة فيها هجوه والأخرى مدحه ، فأعطاه التي فيها هجو النظام وفيها : لا غرو ... فكتب النظام على رأسها يطلق لذي القواد رسمه مضاعفاً » . واحسب أن كلمة « رسمه » ـ وهي تشير الى الاعتياد على أمر سابق ـ تكذب أن الأبيات قد قيلت منذ قدومه اصبهان وللقائه الأول . ويضعف رواية المرآة هذه كون العماد اسبق وأوثق ، وان رواية ابن خلكان قريبة من رواية الخريدة ، هذا إلى أن سبط ابن الجوزي نفسه قد حشر الروايتين .

(٢) عن سبط بن الجوزي عن العماد .

(٣) ابن خلكان ٢ : ٣٨٧ . ذكر العماد في الخريدة ان ابن الهبارية انفذ هذه الأبيات مع ولده الى نقيب النقباء علي بن طراد الزينبي ـ ولقبه نظام الحضرتين أبو الحسن .

« حكي عنه أنه هجا بالأجرة نظام الملك فأمر بقتله فشفع فيه جمال الاسلام محمد بن ثابت الخجندي - وكان من أكابر العلماء - فقبل شفاعته »[١]. ويفصل سبط ابن الجوزي هذا الخبر ويذكر : انه « يقال إن سبب غضب نظام الملك على ابن الهبارية قوله - وقد كتب بها إليه : -

أيجمل يا نظام الملك أني ... اعاود من حماك كما قدمت
وأصدر عن حياضك وهي نهب ... بأفواه السقاة - وما وردت
يدل على فعالك سوء حالي ... وينطق عن مقالي إن كتمت
اذا استخبرت ماذا نلت منه ... - وقد عم الوفود ندىً - سكت
وما في الوافدين عليك شخص ... يمت من الولاء كما أمت
هم دوني إذا اختبروا جميعاً ... فلم بالدون دونهم خصصت
ولي أصل وفصل غير خافٍ ... ولكن ما لفضل منك بخت
اذا ما ضعت عند بني جهير ... وعندك مع سماحك وامتهنت
فأين الفرق بينكم ؟ وماذا ... ببعدي عن ديارهم استفدت ؟[٢]
وها انا ساكت فان اصطلحنا[٣] ... وإلا خانني صبري وقلت !

وقال ابن المارستانية : لما هدر دمه استجار بصدر الدين محمد بن الخجندي - وكان يمضي في كل يوم الى دار النظام بأصبهان ومعه الفقهاء للمناظرة - فقال لابن الهبارية : ادخل معنا في جملة الفقهاء - متنكرا - فاذا فرغت المناظرة فقم في المجلس مستغفرا ، ففعل ، فقال الخجندي : قال الله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغادون » . وقال « إلا من تاب وآمن » . والخادم يسأل العفو عن

---

(١) الخريدة . ج ١ ، مخ . ليدن or 21 و١٥٧ وتنظر خريدة باريس (٢) وردت في مرآة حيدر آباد ١ ج ٨ و١٨ ص ٥٩ استندت وهو خطأ . (٣) اصطلحنا عن طبعة شيكاغو : اصطحنا عن مخطوط باريس ولعلها اصطحبنا .

الشريف بقبول شفاعته خاصة وشفاعة الفقهاء عامة ، فقال النظام : عفا الله عما سلف . ثم أذن له في الانشاد ، فقام وقال : -

لعـزة أمرك دار الفـلك حنانيـك فالأمر والنهي لك

فقال النظام : كذبت - ذاك الله تعالى . فقال :

رفعت الشريعـة بعـد الخمول فلو تستطيع لبـاست يدك
ولو كنت فى زمن المصطفى لنص عليـك وما أهملك
ولو رد موسى إليك الأمور رددت على السامري ما افك
فلم يختلف قومـه بعـده ولا قيل إذ جاء ما أعجلك
وربّك ولاّك - لا غيره فمن ذا يحاول أن يعزلك »[1]

« تم إنشادها ثم أقام مدة بأصبهان »[2]. ومن المحتمل جداً أنه لم يستطع أن يجد عند الوزير ما يصبو إليه من كرم وإيثار - بعد الذي بدر منه من هجاء ، مع ما هو معروف عن ابن الهبارية من فساد الخلق وسوء السيرة وضعف الدين ، كما أن صلته بأبي الغنائم بن دارست عامل آخر ، وذكر سبط ابن الجوزي ان ابن الهبارية كان « يميل إلى أبي المحاسن فنقم عليه نظام الملك لهذا السبب »[3]

وصلة ابن الهبارية بابن دارست هذا لم تغنه ولم تهيء له حاجاته ، وكذلك صلته بمجد الملك مستوفي الدولة الملكشاهية - وقد كانت اوضح

---

(١) المرآة . وفى الخريدة « ... فقام ينشد نظام الملك يوم عفوه عنه : لعزة ... » (٢) الخريدة ج ١ مخ . ليدن

(٣) هذه الأخبار وسواها لا تدع قيمة لما جاء في تاريخ بروكلمان ودائرة المعارف الاسلامية من ان غضب نظام الملك وما اليه كان ببغداد ... - وقد رأينا فى حاشية سبقت أن ابا المحاسن هو ابو الغنائم نفسه .

وأحسن - وقد كال له المديح واعترف له بالفضل[١]. فضاقت بالشاعر اصبهان واشتد عليه العيش بها : وبـــدا أهلها كالتماثيل ليس فيها غير حسن الشخوص ، هذا الى غلاء الأسعار وإلى أنه كان فى حالة لا تسمح له بالهجرة عنها فما اشبهه بالطائر المقصوص » .

وفى ظروف على مثل هذه القساوة ، انتفض ، فألف سينيته[٢] في هجاء أكابر ساسة العصر هجاءا مقذعا ، ساخرا ، فاحشا ، شديدا « اصيلا » يتفق كل الاتفاق وطبعه ، ويعرب جيداً عن نفسيته - وما سلم احد من لسان ابن الهبارية ، فملكشاه خبيث ، ونظام الملك خرف بارد وابو الغنائم في ... امه يعلو وليس ليومه أمس ... والزوزني صاحب الطغراء والانشاء : بارد سمج ...

لو ان نور الشمس في يـده من بخـله لم تطلع الشمس ...

وربما فـكر الشاعر بمفارقتهم ومفارقة اصبهان إلى العراق أو غير العراق ، ولـكنه لم يجد مأملا :

... ولقد هممت بأن أفارقهم ونجـــد بي عيرانـة عنس
لـكن ثنـاني عن فراقهـم علمي بأن الناس قد خسّـوا
من ذا أروم وأجتديه لقد عم البلاء وأشـكل اللبس :
المقتدى المسـكين ليس له عقـل ولا رأي ولا حس
يبـني وينقض ما يشـيده فـكأنـه مبخـر يفسو
هـذا وكهرائين شحنتـه كالـكلب خب بـارد نحس
. . . .
وأبو شجـاع في وزارتـه كالخرس لـكن دونه الخرس
أبــني جهـير أرتجـى وهم بالأمس أقرب سوقة غبس[٣]

---

(١) خريدة . مخ . ليدن ، نتائج الفطنة ص ٧ - ٨

(٢) الخريدة ، النصرة . الزبدة (٣) وردت القصيدة في الخريدة ، وفي النصرة ، في الزبدة ص ٦٤ - ٦٦ - وترد غبس على عنس في بعض الروايات.

ونستطيع أن نقرب تاريخ هذه الفترة إذا علمنا أن أبا شجاع قد وزر للخليفة المقتدى عام ٤٧٩ .

ويظهر بغض ابن الهبارية لاصبهان في شعره ، ومن ذلك قوله :

بلد أبو الفتح اللئيم عميده	والقاسم بن الفضل قيل رئيسه
ونقيبه التيس الرضا متبطر	مع أنه دنس المحل خسيسه
وابن الخطيبي	. . . .
والوقف في أيدي العلوج وكلهم	قد زاد من مال المصالح كيسه
وانا وسلمان ... امامنا	وجميع من صقلت نهاه دروسه
نبكي على الفضل الذي قدصوحت	بسقوطهم افنـانه وغروسه

ولا ندري كم أقام ابن الهبارية على هذه الحال من الضيق والحيرة . ويذكر العماد له قصيدة قالها في مدح تاج الملك ـ وقد عاد للوزارة :

لو أعطي الدست لسانا فنطق	لقال تاج الملك بي منكم أحق

وتقع هذه الوزارة حوالي عام ٤٨٦ هـ

ثم فارق ابن الهبارية اصبهان إلى كرمان[١] ، وفي شعره مدح لكبراء كرمان وفضلائها . وممن رآه ـ في هذه الفترة ـ أو في غيرها ـ مكرم ابن العلاء[٢] . اما ملك كرمان آنذاك ـ ومنذ عام ٤٩٠ هـ ـ فكان إير انشاه[٣] :

---

(١) نتائج الفطنة ، خريدة ليدن . (٣) الخريدة مخ . ليدن .

(٣) هو الأمير السلجوقي الرابع لكرمان ، حكم بعد أبيه طورانشاه (عام ٤٨٩/١٠٩٦ ودام حكمه مدة خمس سنوات وكان ميالاً للبدع والالحاد وكان ظالماً لأهل كرمان وقد ثار عليه أهل كرمان استجابة لفتوى العلماء فقتلوه عام ٤٩٤ وكان أحد أقاربه ارسلان شاه قد اختفى خوفاً منه عند احد الحذائين فبحثوا عنه واسند إليه الملك فحكم (٤٢) سنة (ينظر گزيده ص ٣٢٥)

... وصرت عند سيد الملوك   إيرانشاه موئل الصعلوك

* * *

... كيف واني في جنان عدن   أنال ما يوفي على التمني

هذا ما يقوله الشاعر ، فهل هو صحيح ؟ لقد قال هذه الأبيات في مقدمة الكتاب الذي ألفه في هذه الفترة وسماه « نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة » وارسله الى اصبهان هدية بمناسبة عيد النيروز إلى مجد الملك «اسعد بن موسى... سيد الكفاة ، أكبر شخصية لدى السلطان بركيارق »[1] ترى لم هذه الهدية؟ أما يمكن ان يكون مدح ايرانشاه من قبيل المجاملة ودفع الشر ؟ ممكن ! ولكن ابن الهبارية يصر على انه كان مرتاحا[2].

ومما يجدر النص عليه أن الشاعر لم ينس أن يذكر أن النيروز هو العيد الذي غرس به خسرو - « جد » مجد الملك عادة « العطاء » والهدايا[3]، واذن فلم يكن ابن الهبارية بعيداً جداً عن الطمع .

واخبرنا كذلك بأنه قدم كتابه « نتائج الفطنة » الى مجد الملك بوساطة أبي الفرج[4] لأنه لم يكن ليستطيع المثول بنفسه[5]. فمن هو أبو الفرج هذا يقول ابن الهبارية : انه الحكيم ... الفيلسوف .. الكريم[6]، وان هذه ليست الوساطة الأولى[7] . وهذه صفات تنطبق تمام الانطباق على ابي الفرج

---

(١) وهو من اصل فارسي .

واذن فان ابن الهبارية لم يضع نتائج الفطنة لملك كرمان ايران شاه - كما يقول لويس شيخو .

(٢) يذكر كاتب مقالة إيرانشاه في دائرة المعارف الاسلامية : ان اخلاق الأمير تنسجم كل الانسجام مع روح ابن الهبارية

(٣) نتائج الفطنة ص ١٠   (٤) نتائج ص ١٠

(٥) نتائج ص ١٠ - ١٢   (٦) نتائج الفطنة

(٧) نتائج ص ١١

يحى بن صاعد معتمد الملك ابن التلميذ [١] .

واذا أمكن لنا أن نقتنع بأن ظروف ابن الهبارية فى أثناء اهداء « نتائج الفطنة » كانت حسنة فلا شك في انها لم تكن كذلك حين بعث ابنه بكتاب « الصادح والباغم » إلى سيف الدولة صدقة - صاحب الحلة .

... عملته لسيد الملوك   ومؤئل الملهوف والصعلوك

* * *

يا ليتني سكنت تلك الحله   بين شموس المجد والأهله

* * *

لكنني إذ فاتني مرادي   من ذلك المسرح والمراد

أحببت أن يكون لي في حضرته   ذكر وعني نائب في خدمته

فلم أجد إلا كتابا انظمه   اتحفه بنظمه واخدمه

* * *

انفذت إذ عاق الزمان رحلي   نجلي إلى مجلسه وفضلي

انفذته مع ولدي   بل مهجتي وكبدي

وانت عند ظني   أهل لكل من

وقد طوى إليكا   توكلا عليكا

مشقة شديدة   وشقة بعيدة

---

(١) وجاء عند ابن أبي أصيبعة ص ٢٧٧ « ... وقال الشريف ... محمد ابن الهبارية الهاشمي من قصيدة يمدح الحكيم أبا الفرج يحى بن صاعد ابن التلميذ - وكان ابن الهبارية قد أتاه إلى اصبهان فحصل له من الأمراء والأكابر مالاً جزيلا ... » وقد ضرب ناشر نتائج الفطنة - وهو يبحث عن « أبي الفرج » - أخماساً بأسداس دون أن يقترب من الحقيقة .

ولو تركت جئت سعياً وما وجئت
ان الفخار والعلا ارثك من ذوى الولا
فانعم على كتابي بصالح الجواب

وكان « صالح الجواب » ان « اجزل عطيته وأسنى جائزته »[(١)] ولعله « أحرز فيه الفا من ذهب مصفى »[(٢)]

ويمكن تقريب هذه الفترة إذا علمنا أن صدقه قد أسس الحلة عام ٤٩٥ (وانه قتل عام ٥٠١)

ولم يشك ابن الهبارية ضيق عيشه بكرمان الى صدقة وحده ، فقد شكاه مثلا إلى ابن التلميذ اذ كتب :

... أنما طلقت كرمان بكم انكم لي عوض ما أشرفه
انني انفذت نجلي قاصداً أشتكي دهرا قليل النصفة[(٣)]

وكان مريضاً حين كتب ذلك . ولعله كان في مرضه الأخير ، مرضه الذي مات به وكانت حماه شديدة جداً :

باعد يداً والنصح من خلقي لا تدن من نفسي فتحترق[(٤)]

ومات هنا ، فى كرمان .

وجاء فى نسخة باريس من مخطوطة الخريدة أنه توفى عام ٥٠٤ وعن نسخة مثل هذه نقل ابن خلكان من غير تعليق ؛ بينما روت نسخة ليدن التاريخ بشيء من التمريض « ... وذكر أنه ... » . اما سبط ابن الجوزي ،

---

(١) ابن خلكان
(٢) الصادح والباغم ط. بغداد سنة ١٣٤٣ هـ
(٣) إبن أبي أصيبعة
(٤) الخريدة . مخ . ليدن

والصفدي في الوافى فيذكر أنه توفي « عام ٥٠٩ وقيل ٥٠٤ والأول أصح »[١]

آثاره

لابن الهبارية عدة مؤلفات ، نعرف منها :

١ - ديوانه : وبعد أن روى العماد الاصبهاني طرفا من أخبار الشاعر فى كتاب الخريدة[٢] قال : « ثم وقعت بيدي مجلدة مقفاة من شعره .. » وقد اختار العماد منها عدداً غير قليل من القصائد والأبيات ما بين حرف الراء واللام .

وقال ابن خلكان : « وديوان شعره كبير يدخل فى أربع مجلدات » وقال الصفدي فى الوافي[٣] : « شعره ثلاث مجلدات ، غالبة سخف ومجون » . وأعاد الحاج خليفة كلام ابن خلكان دون أن يشير إلى أنه رأى المجلدات[٤] . ولم يعد لهذا الديوان اليوم اثر ما .

وما وصل إلينا من نصوص ، يبين أن أهم أغراض الشاعر هي السخف

---

(١) وفي ابن خلكان « وقال ابن السمعاني توفي بعد سنة تسعين واربعمائة » وفي الصادح والباغم . طبعة بغداد سنة ١٣٤٣ « ... توفى سنة ٤٩٠ هكذا وجدت بالنسخة التي كملت منها هذه النسخة » ولا قيمة لهذين التاريخين . ولا العام (٥٠٢) الذي ذكره لويس شيخو

اما لسان الميزان في طبعه حيدر آباد فيقول : « ... تحول إلى كرمان ، إلى أن مات بها فى صفر سنة تسع وخمس مائة وله خمس وتسعون سنة »

(٢) ج ١ مخ . ليدن .

(٣) مخ . باريس

(٤) وفي طبعة حيدر آباد للسان الميزان : « ويقال إن نظمه بلغ مائة مجلد بالأواخر وذكر الشهرياني أنه كتب نظمه في عشرين مجلدا » (!)

والهجاء والمديح والغزل مع شيء قليل من الحكم والرثاء ، وتغلب على اسلوبه الركة وتراكيب الحديث الاعتيادي

٢ ـ نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة : وقد رأينا طرفا من ظروت تأليفه بكرمان . اما موضوعه فواضح من العنوان . وقد وصل إلينا عدد من مخطوطاته[١] . وطبع مرتين في بمبي عام ١٣٠٤ / ١٨٨٦ وعام١٣١٧ / ١٨٦٩[٢] . وفي عام ١٩٠٠ نشر نعمة الله الأسمر بلبنان « نتائج الفطنة » ، وليس في كلامه ما يشير الى علمه بطبعتي بمبي . والحقيقة أن الأسمر لم يطبعه ؛ وزعم أنه « هذّبه » فقد قال : « اقدمت على ... حذف ما فيه من الأمثال التي يترفع أهل العصر عن مطالعتها ونظم غيرها مأخوذا من النسخ النثرية [لكليلة ودمنة] المطبوعة مع نظم ما ذكرت أن الكتاب خال منه ـ مثل الرجل الخائف من الذئب وهو أول باب الأسد والثور ، ومن بعض فقرات من سائر الأبواب ، ومن باب الحمامة ومالك الحزين والثعلب وهو آخر الأبواب ـ وأشرت إلى ما نظمته بأن وضعته ضمن هذه العلامة « » »[٣] . وقد « تجاوز [الأسمر] الحد بالزيادات العديدة التي أضافها ... فان هذه الزيادات تشبه الرقعة الجديدة في الثوب العتيق »[٤]

واشار ابن الهبارية في مقدمة كتابه إلى ابان اللاحقي الذي نظم كليلة ودمنة قبله ولكنه افتخر عليه . وذكر في الخاتمة انه نظمه في عشرة ايام[٥] .

٣ ـ الصادح والباغم : ولدينا منه مخطوطات كثيرة في أوربا وغيرها .

---

(١) في الاستانة والمتحف البريطاني . ينظر بروكلمان ، وينظر لويس شيخو في مجلة المشرق

(٢) سركيس ، لويس شيخو (٣) ص ٣

(٤) لويس شيخو

(٥) نتائج الفطنة . تكلم لويس شيخو على نظم كليلة ودمنة في مجلة المشرق

وطبع مرارا : فى القاهرة عام ١٢٩٢ / ١٨٧٥ - ٦ وفي بيروت عام ١٨٨٦ وفي بغداد . (وكانت طبعتها الثانية بتاريخ ١٣٤٣ هـ . ثم طبع عام ١٣٥٥ / ١٩٣٦ (في مصر ؟) طبعة يذكر ناشرها انه اعتمد فيها مخطوطتين في دار الكتب المصرية مع مقارنتها بطبعة ١٨٨٦ .

ومر معنا شيء من ظروف تأليفه بكرمان وإهدائه الى صدقة . ويخبرنا مؤلفه كذلك أن : -

هذا كتاب فيه علم وأدب　　يفوق أنواع القريض والخطب

* * *

فجاء مثل الذهب المسبوك　　سلكت نهجاً ليس بالمسلوك
في نظمه وسبكه ووضعه　　لا من كلام همتي من جمعه
بل ابتداعا لصنوف الحكمه　　بهمة فى العلم أي همه
وضعته مخترعا معناه　　لملك ما خاب من رجاه

* * *

هذا كتاب حسن　　فيه تحار الفطن
انفقت فيه مدّه　　عشر سنين عده

* * *

ولم أزل أهذبه　　منقحاً وأحسبه

* * *

بيوته ألفان　　جميعها معاني

يبتديء الكتاب بجدال بين هندي وفارسي كل يمدح بلاده . وقد أطنب الأول في الفخر بالشطرنج ، والثاني بالنرد ، وبعد أن فخر الهندي بكليلة ودمنة حكى قصة الناسك واللص الفاتك ، وروى اللص خلالها قصة الظليم ، وحكى الظليم في نهايتها قصة البعير والجمال ... الخ ثم يأتي

باب البيان ومفاخر الحيوان ويشمل قصة التاجر وقصة امرأة الراعي وقصة عامر ومارح ثم : حديث الأسدين ، زوجة البيطار ، جابر ، الحمار والضرغام، الذئب والغزالة ، امرأة التاجر ... الخ ثم القسم الثالث وفيه باب الأدب وهو محاورة بين الطير والغزال حول غرور الدنيا ، صحبة السلطان ، واجبات السلطان ، علو الهمة ، مضار التجارب ... الخ وهكذا يفقد الكتاب ما فيه من فن وبوادر شاعرية حتى يستحيل ضرباً غشيما من الحكم والمواعظ . وتأثر الكتاب بروح « كليلة ودمنة » واضح . وقد تنبه إلى ذلك القدماء امثال ابن خلكان .

« والصادح والباغم » إن لم يكن من الشعر العالي فانه يظل محاولة لها شأنها في تاريخ القصة الشعرية .

لقي الكتاب - على مر الأيام - نجاحاً ملحوظاً ومن أدلة ذلك كثرة مخطوطاته وتعدد طبعاته . ومن المناسب أن نذكر ان ابن حجة الحموي المتوفي عام ٨٣٧ قد اختصره بما سماه تغريدات الصباح[١] وان « الحلواني » قد اختار منه وأضاف إليه وسمى مجموعه : الناغم من الصادح والباغم [١] . وقد تضاءل الاهتمام بهذا الكتاب ولا تكاد اليوم تسمع من يذكر اسمه أو يعجب به فقد قلت عناية الناس بالشعر الذي يقوم على الوعظ السهل الرخيص[٢] .

---

(١) عن مخطوطته ينظر بروكلمان .

(٢) وذكر حميدة ص ١٥٠ - انه « ينسب إليه [أي إلى ابن الهبارية] كتاب ثالث هو « درر الحكم فى أمثال الهنود والعجم » ومنه نسخ خطية فى فينا وموينخ ، وقد نسب الى عبدالمؤمن بن الحسن الصاغاني، وقيل إنه أكمله ، وقيل انه نظم لكليلة ودمنة أو لشيء منه . ج ٢ ص ١٣٣ تاريخ آداب اللغة العربية » انتهى كلام حميدة والذي يفهم من كلام زيدان ان كتاب « درر الحكم ... » من نظم عبدالمؤمن . وكذلك يفهم من كلام لويس شيخو .

٤ - « فلك المعاني » : نص عليه سبط ابن الجوزي وروى منه في المرآة طرفا ، منها : « قال الشريف البياضي :

« ليس الشريف من الشريف جدوده   من نفسه شرفت فذاك شريف »

ومنها : « حج الكافي أبو الفضل زيد ابن الحسين فلما عاد قال :

يا رب أي فضيلة في مكة   حتى فرضت على عبادك برها
ألخصبها احببتها ، ألطيبها   اخترتها أم ليس تعرف حرّها »

ومنها : « قال المعري :

أرى جيل التصوف شرَّ جيلٍ   لقد جئتم بشيء مستحيل
أقال الله حين عشقتموه :   كلوا أكل البهائم وارقصوا لي .

ومنها : قال رجل لابن عباس : سل الله أن يغنيني عن الناس ، فقال : ان الله لا يغني الناس عن الناس ، ولكن أدع أن يغنيك عن لئام الناس .

٥ - تنزيه الأدب ومنه مخطوطة بالموصل[١] .

٦ - اللقائط : قال ياقوت في ترجمته لمحمد الجهاني : « قرأت في كتاب اللقائط لأبي يعلى ابن الهبارية وقد ذكرنا أبا محمد الاعرابي ووضع منه وانتصر للنميرى الذي شرح الحماسة وغيره واستدل على صحة رواياتهم واتقان علمهم ومقالاتهم ثم قال : فكيف نترك أمثال هذه الروايات لرواية مثل أبي الندى ولم يذكر فيها من لقيته من شيوخ بلاد فارس من فضل أبي الندى إلا انه غاب عن أهله مدة وأقام في البادية سنين عدة وعاد يروي ويخبر وكان له ابن فأخذ يطليه بالزيب ويقفه في شمس القيظ بالفندجان وهي حارة جداً ولم يزل يفعل به ذلك ليكون أسمر اللون كالعرب حتى مات ذلك المسكين »[٢] .

---

(١) ينظر داود چلبي .   (٢) الارشاد ٦ : ٢٩٧. ومن تصحيف لسان الميزان ان أصبحت اللقائط : اللغائط .

خاتمة

إن كان ضياع ديوان ابن الهبارية ربحا للأخلاق والأخلاقيين ، فان فيه خسارا ، لمن يعني بتأريخ أدب العصر وسياسته ومجتمعه ويحاول أن يستكمل معالم مدرسة السخف .

والشاعر أصيل فى هجائه وهزله وسخفه ، ولم تمنع هذه الأصالة من تقريبه من ابن الحجاج فقد « سبك فى قالبه وسلك أسلوبه ... وفاقه في الخلاعة»[٢] .

ويبدو ابن الهبارية فى « نتائج الفطنة » وفى « الصادح والباغم » كأنه شخصية أخرى فهو حكيم ، عاقل ، عارف بأخلاق الناس ، داع إلى التدبر واعظ إلى الخير ، ولا شك فى أن للعمر وتراكم الخبران أثراً فى ذلك ولكن هذا لا يمنعنا من أن نلاحظ فيه ـ ما لاحظناه لدى ابن الحجاج من ازدواج في الشخصية .

وقد نص كثير من القدماء على جودة شعر ابن الهبارية ، ولكن ذلك لا يمكن أن يعني بأية حال من الأحوال صف ابن الهبارية إلى جانب شعراء الطبقة الأولى ـ او جانب الطغرائي والأبيوردي اذا نظرنا الى البناء والتراكيب .

---

(١) ابن خلكان .

هو أصيل وإن جاء فى لسان الميزان « انه لما رأى بوار الشعر عدل إلى مسالك الهزل فنظم على طريقة ابن الحجاج وبالغ فى هجاء كافة الناس حتى خافوه واتقوا لسانه ، وافرط حتى هجا اباه وامه ثم عمل قصيدة هجا فيها الوزير وجميع أهل الدولة فأمر بإهدار دمه فاختفى ثم انسحب فجال في العراق حتى دخل اصبهان ... »

الفصل الرابع

شعراء من المئة الخامسة

(١) صردر

كلمة في المصادر :

في الديوان أشعار كثيرة قالها في ساسة عصره ؛ منها ما يبين إيذاء ابن دارست اياه ، ومنها ما يبين قربه من عميد الدولة ابن جهير .

ولم تفرد له الدمية المطبوعة صفحة ولكن مخطوطة مجلس ملي ومكتبة المتحف العراقي وغيرها تذكره وتذكر له عدداً من الأبيات . وجاء في المنتظم ٨ : ٢٨٠ ـ ٢٨٢ كلام مهم عليه وعلى أبيه ولقبه ووفاته . ولم تذكره الخريدة ولكن النصرة تذكره مرة مادحا ومرة راثيا (بنداري ١٤ ، ٣٣ ـ ٣٥) . ويتعرض له ابن الأثير في « عدة حوادث » . اما سبط ابن الجوزي (١٢١ مخ . باريس و ١٤٢ ب) فيعيد الكثير من أخبار جده . وفي ابن خلكان ٢ : ٥٧ـ ٥٩ ، ٣ : ٤٥٠ ـ ٤٨٥ تعيين لمكان وفاته مع تفصيلات أخرى تتعلق بديوانه وشاعريته وولادته مما لا يستغنى عنه . وابن خلكان وغيره من امثال ابن الطقطقى ٣٤٠ والصفدي الوافي ١ و٣٩ب ، ٤٠ ب ، ٢١٩ ب (ينظر المطبوع ، الفهرس) يؤرخون بعض شعره في بني جهير .

وينقل الحنبلي ٣ : ٣٢٠ ـ ٣٢١ ما قاله ابن خلكان نصا . وكان بامكان ناشري الكتب المتأخرة ان يفيدوا من المتقدمة فلا تقول مكتبة القدسي في الشذرات ـ مثلا ـ ان شعره بارد بينما يقول ابن خلكان « نادر » وهو الذي يقتضيه العقل والنقل ـ وشتان

وخلت طبعة استانبول لكشف الظنون من ذكر ديوان صرُدُر بينما ذكرته الطبعات الأخرى.

وينظر: ابو الفداء ٢ : ١٩٩ ـ ابن الأثير ١٠ : ٣٩ (السنة ٤٥٠)، ٤٠ (السنة ٤٦١) ٦١ ـ ٦٢ (السنة ٤٦٥) ـ ابن الوردي ١ : ٣٧٧ ـ ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة، ٥ : ٦٤ ـ حاج خليفة ٧٩٧ ـ العباسي ٢ : ٥ ـ ابن كثير ١٢ : ١٠٨

بروكلمان ١ : ٤٤٥ ـ هارتمان ٦ : ٧٩٧ ـ ٨١٣ ـ هيار ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ زيدان ٤ : ٢٦ ـ البستاني، دائرة ٥٣٣ ـ ٥٥٥ ـ الطاهر فى «هنا بغداد» العدد ١٦٤ (كانون الأول) ١٩٥٧

حياته :

الرئيس[١] أبو منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل الكاتب البغدادي[٢] المعروف بصرّدر[٣] من فضلاء العراق[٤].

---

(١) ابن خلكان ٢ : ٥٧

(٢) الباخرزي، مخطوطة مجلس ملى

(٣) جاء في مقدمة الديوان المطبوع : «قد ورد اسم الشاعر في بعض... الكتب مضبوطا بالقلم بفتح الصاد وورد في التاريخ الكامل والمنتظم مضبوطا بضمها. ويظهر أن المرحوم البارودي كان من المرجحين ضبطه بالفتح إذ ضبطه كذلك في غير موضع من مختاراته». وقد رجح ناشر الديوان الفتح معتمداً بيتي البياضي ـ والترجيح في محله، على كل حال.

(٤) الباخرزي في الدمية المخطوطة.

ولم نقف على السبب الموجب الذي دفع بعدد من المحدثين الذين ألفوا في تاريخ الأدب العربي، إلى دراسة صردر ـ فى باب «ايران» ـ كما فعل هيار، أو «شعراء الفرس» كما فعل بروكلمان وزيدان.

« كانت ولادته قبل الأربعمائة[١] من أب كان يسكن الرصافة[٢] من بغداد و « ينبز بالالحاد »[٣]. ويلقب لشحه صرّبعرا[٤]. وعلى الرغم من إلحاد الأب وشحه فان الابن قد « حفظ القرآن وسمع الحديث من ابن بشران وغيره »[٥]، وحدّث[٦]. ودرس العربية وتمرّس بغريبها حتى لنمكن القول بأنه لقنها فى أحضان القبائل والبدو، وقرأ الشعر واولع بمتينه وقال الجيد منه منذ العهد البويهي[٧]. وعد « احد نجباء عصره »[٨]، ونخر بشعره وعلمه واعتد بها دون أن يعدم بين « شعراء وقته »[٩] من يعيب شعره، فقد هجاه الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي فقال :

لئن اقب الناس قدما أباك ... وسمّوه من شحه صربعرا

---

(١) ابن خلكان ٢ : ٥٨

(٢) جاء في المنتظم المطبوع بحيدر آباد ٨ : ٢٨٢ « قال المصنف وقرأت بخط ابن عقيل قال كان صربعرا خازنا بالرصافة ». بينما يروي ابن كثير عن ابن الجوزي انه « قرأت بخط ابن عقيل : صربعر جارنا بالرصافة ». وهذه هي الرواية الصحيحة، وقد دخل التصحيف طبعة حيدر آباد .

(٣) المنتظم ٨ : ٢٨٢

(٤) ابن خلكان ٢ : ٥٧

(٥) المنتظم . وفي شذرات الذهب ٣ : ٢٠٣ سن ٤١٥ : « ابوالحسين بن بشران علي بن محمد بن عبدالله بن بشران ... الأموي البغدادي المعدل ... قال الخطيب : كان صدوقا ثبتا تام المروءة، طاهر الديانة، ولد سنة ٣٢٨ وتوفى في شعبان سنة ٤١٥ ». وابن بشران المحدث غير ابن بشران محمد بن أحمد بن سهل النحوي الواسطي المولود عام ٣٨٠ والمتوفى عام ٤٦٢ (ينظر عنه مثلا - ارشاد الأديب)

(٦) المنتظم (٧) ديوان صردر ٢٧

(٨) ابن خلكان ٢: ٥٧

فانك تنثر ما صرّه عقوقا له وتسميه شعرا[١]

عد الباخرزى البيتين من قبيل الملاحة والظرافة[٢] . وتولى من سواه الدفاع عن صردر فقال ابن الجوزي انذاك «ظلم فاحش ، فان شعره غاية في الحسن[٣]» وقال ابن خلكان : «ولعمري ما أنصفه... فان شعره نادر وإنما العدو لا يبالي مايقول[٤]» .

قصد ابن الفضل أهل النفوذ والجاه فأثنى على القائم وابن المسلمة . ولما ضايقته بغداد أو ضايقه « ابن دارست الوزير وابن الحصين الكاتب » عزم على الهجرة وأقام بواسط . ثم تغيرت الأحوال ، واستوزر الخليفة فخر الدولة ابن جهير فهنأه الشاعر بقصيدة أرسلها إلى بغداد ـ تحدث فيها عن هجرته فقال[٥] :ـ

... ولكنني أبعدت فى الارض مذهبي لاعزاز نفس قد جفاها عذيرها
وهجهج بي عن أرض بغداد ذلة كوخز سنان السمهري حصورها
لأمثالها تعلو الجياد سروجها ويلتقم الحرف العلنداة كورها
فكدت بأن انسى لذاك فصاحتي سوى أن طبعاً فى الحمام هديرها
تركنا ربى الزوراء ينزو خلالها جنادب يعلو فى الهجير صريرها
وقلت : بلاد الله رحبٌ فسيحةٌ فهل معجزي أفحوصة استجيرها ؟!
وقد تترك الأسد البلاد تنزهاً إذا ما كلاب الحي لجَّ هريرها

ثم تبع القصيدة بنفسه فجاء « الزوراء » وشرع يوطد صلته ببني جهير ولا سيما بعميد الدولة : يمدحه ويهنئه ، يودعه ويستقبله ، وحل النيروز مرة فرأى الشاعر أن يهدي العميد « كتبا عوض الدراهم والدنانير » :ـ

---

(١) ابن خلكان ٢ : ٥٧ وهي أوجه الروايات الأخرى ، وقد جاء فى الدمية المطبوعة ٥٧ « لئن نبذ... » وفي المنتظم « لئن نبز الناس شحاً أباك ... فانك تنبز بالصربعرا » وفي الكامل : « لئن نبز ... فانك تنظم ما ... »

وسوف نوجز القول في البياضي (أو ابن البياضي) .

(٢) الدمية ٨٧ (٣) المنتظم ٨ : ٢٨١ (٤) الوفيات ٢ : ٥٧

(٥) ديوان صرّدر ٧٢ ـ الحصور : الأسر ، الأفحوصة : مجثم الدجاجة والنعامة .

ولما رأيت المال عندك هينا جعلت هداياه رياض الدفاتر[١]

ومرض الشاعر مرة فتعهده العميد بالزيارة وأرسل إليه من يبلغه دعاءه بالشفاء: وهذا وامثاله لطف دون شك، ولكن الشاعر ما زال يشكو، لانه يسعى الى منصب، وقد عرض عليه العميد تقلد «عمل من أعمال العراق» ولكنه أباه ولم يرضه[٢].

وكانت لصردر، الى جوار علاقاته ببني جهير علاقات أخرى، منهاما كانت بنظام الملك الذي «قال له ... انت صردر، لا صربعر»[٣]. ولم يجده كل ذلك شيئاً، فقد ادركته المنية دون أن يحقق ما كانت نفسه تصبو اليه.

روى ابن الجوزي في «سبب موته» أنه ركب يوما فتردى هو والدابة في البئر فماتا»[٤] وذلك في صفر سنة ٤٦٥ «ودفن بباب أبرز»[٥] في بغداد. اما ابن خلكان فقال[٦] «انه تردى فى حفرة للأسد في قرية بطريق خراسان». وقد أجمع المؤلفون على تاريخ الوفاة إلا صاحب «المرآة» فقد جعلها عام ٤٦٧ هـ.

---

(١) ديوان صردر ٨٨ (٢) نفسه ٩٢

(٣) المنتظم ٨ : ٢٨٠، الكامل ١٠ : ٦١ ـ ٤٦٥

(٤) المنتظم ٨ : ٢٨٢، اما رواية ابن كثير ـ وطالما نقل عن المنتظم ـ ف : «ركب يوماً دابة هو ووالدته فسقطا بالشونيزة عنها فى بئر فماتا فدفنا ببرز ...» ولا تخلو هذه الرواية من التصحيف في أكثر من كلمة.

(٥) ويقول الدكتور مصطفى جواد في هامش ٦١ من التكملة: «وباب أبرز (أو يبرز) بشرقي بغداد هي محلة الفضل والحمام المالح والبارودية الحالية، وكانت مقبرة الأجمة متصلة بها.

وعن الأجمة، وقد وردت في «حياة الأبيوردي، ينظر هامش ص ٦١ ـ ٦٢ من التكملة. (٦) ابن خلكان ٢ : ٥٧ ـ ٥٨

ديوانه

خلف صر در « ديوان شعر صغير »[١]. مخطوطاته موفورة ، منها نسخة في ليدن تقع في ١٢١ ورقة واضحة الخط جميلته ، وقع الفراغ منها عام ٥٤٩ ، ومنها نسخ أخرى في برلين ولندن وبطرسبورج وكلكتا[٢]. وقد طبعت دار الكتب المصرية الديوان عام ١٣٥٣ / ١٩٣٤ على مخطوطة كتبها لنفسه المرحوم محمود سامي البارودي نقلاً عن نسخة القسطنطينية ، جاء في ختامها « قال عبدالله بن ابراهيم الخيري : هذا آخر ما وجد من شعره ؛ وكان رحمه الله يقول : إن أكثر شعره ضاعت مسوداته في النهوب والاختلافات . وما كان سبب جمعه غيري ، وكان رحمه الله كلما عمل بعد ذلك قصيدة ينفذها إليّ ، ويقرؤها عليّ ... »[٣]

إن جهد « الدار » بيّن مشكور ، ولو سعت إلى مقابلة نسخة البارودي بمخطوطات اخرى كان عملها أتم .

تسود الديوان الأغراض المألوفة من مديح ونسيب ، وغير قليل من الشكوى . وقد بالغ ابن الجوزي اذ قال « ان شعره غاية في الحسن » وكان ابن الأثير معتدلا في حكمه إذ اكتفى بأن جعل صردر « من الشعراء المجيدين » . اما قول ابن خلكان من انه « احد نجباء عصره ، جمع بين جودة السبك وحسن المعنى ، وعلى شعره طلاوة رائعة وبهجة فائقة . » فحكم طريف لا يخلو من صحة .

---

(١) ابن خلكان ٢ : ٥٧

(٢) ينظر بروكلمان وزيدان

(٣) يذكر زيدان ٣ : ٢٦ انها برواية أبي حكيم عبدالرحمن الخيري ،

(٢) الباخرزى

كلمة فى المصادر :

هذا أديب يمدنا كتابه « دمية القصر » بمعلومات ذات بال عنه وعن أبيه وعن تأدّبه وأسفاره وصلاته بالعلماء والأدباء والساسة . ونفهم من ديوانه - غير صلات المدح لساسة عصره كالكندري ونظام الملك ... شيئاً عن حياته فهو يخبرنا انه جاء العراق أكثر من مرة وانه كان له ولد توفي في حياته ... ونجد شيئاً من هذا فى « الملتقط » و« الأحسن » - وكنا نطمع بالكثير ! وهيهات !

حدثنا قبله الثعالبي عن أبيه فى تتمة اليتيمة ٢ : ٣٦-٣٧ . وكان السمعاني من اقدم من تكلم على الباخرزي وقد نقل ياقوت عنه - في معجم الأدباء - : وروده بغداد ومدحه القائم وموقف البغداديين من شعره ... ولا بد من أن يكون ذلك مما كتبه في « الذيل » . اما في الانساب و٥٧ ب فقد تكلم على دراسته على الجويني ؛ وعلى اشعاره واشغاله وأسفاره وعودته وقتله . والعماد من أقدم من ترجم له ايضاً ، ولكننا لم نر هذه الترجمة فيما رأينا من مخطوطات الخريدة ، وإن كان ياقوت قد نقل ما ذكره العماد عن أثر الدمية في تأليف الخريدة وعن لهو الباخرزي وشاعريته وعن وظائفه واسفاره وديوانه وقتله عام ٤٦٧ . وحفظ ياقوت كذلك ما ذكره البيهقي (أبو الحسن ابن أبي القاسم زيد البيهقي) في كتاب « مشارب التجارب وأخبار الوزير أبي نصر الكندري بشأن صلة الشاعر بالوزير .

وحفظ لنا مصدر فارسي هو لباب الألباب لعوفي ١ : ٦٨ - ٧١ أخباراً مفيدة عن كتابة الباخرزي لطغرلبك وعن لهوه وغرامه . وقتله عام ٤٦٨ (؟) وأشعاراً بالعربية والفارسية . نقل برون فى كتابه « تاريخ الأدب الفارسي »

اكثر هذه الاخبار - . وترجم هذا الجزء من كتاب برون إلى العربية الدكتور ابراهيم الشواربي

وتحصر اهمية ياقوت في رواياتـــه ٥ : ١٢١ - ١٢٩ عن السمعاني والعماد والبيهقي - وذلك غير قليل . ثم إنه لم ينسه ولم ينس أباه في « بلدانه » .

وحفظ لنا الحسامي في مستفاده من ابن النجار ما ذكره عن اساتذته واشتغاله بديوان الرسائل وقدومه بغداد ، وما رواه عن السمعاني من قتله في ذي القعدة .

ولم يشأ سبط ابن الجوزي أن يتابع جده فيهمل الباخرزي ، فترجم له - دون ان يزيدنا شيئاً ، اللهم خبر تذييل البيهقي على الدمية . وكذلك لم يزدنا ابن خلـكان ٢ : ٥٨ - ٥٩ جديداً - على أهمية ترجمته - واذا كان ابن خلـكان قد أهمل النص على مصادره فاتنا لنعلم عن طريق مقابلتها بياقوت أنه أفادمن العماد مثلا . . كما انه أفاد من ابن النجار .

ولم تزد الـكتب الأخرى على أن تـكون تلخيصاً أو نقلا عن النقل . ومن ذلك شذرات الذهب ٣ : ٣٢٧ - ٨ الذي جمعت كل حروفه من ابن خلـكان . ثم إن الناشر فهم عبــارة « وقتل في مجلس الأنس » على انها في « الاندلس » مما يمكن أن يكون سببا دعاه إلى حذف كلمة « مجلس » التي بقيت حية في « وفيات الاعيان » . ثم يأتي مؤلف حديث هو الزركلي فيعيد رواية « الاندلس » ، والزركلي ، وإن اعتمدالمخطوطة فقد كان في إمكانه أن يستعيض عن الحنبلي بابن خلـكان - وهو الأولى . وكان على مكتبـــة القدسي - التي نشرت الشذرات - أن تستعين بابن خلـكان في إصلاح ما تشك فيه من معان وما لا تراه منسجمامستقيما من التعابير ، فبعد أن تقرأ مثلا :

« وصنف كتاب دمية القصر ... وقد وضع على هذا الـكتاب أبو الحسن علي بن زيد كتابا سماه وشاح الدمية » « وهو كالذيل لها» « وكالذي سماه السمعاني الذيل » أقول بعد أن تقرأ هذا وترى اضطرابه تعود إلى ابن

خلكان لتقرأ « ... هو كالذيل له ، هكذا أسماه السمعاني في الذيل » .

ومن المصادر : ابن كثير ١١ : ١٢٢ ـ اليافعي ٣ : ٩٥ ـ ابن تغري بردي ٥ : ٩٩ سن ٤٦٧ ـ السبكي ٣ : ٢٩٨ ـ لباب ابن الأثير ١ : ٥٣ (وينظر الكامل سن ٤٦٧)

بروكلمان ١ : ٢٩٢ ، تكملته ١ : ٤٤٦ ـ دائرة المعارف ١ : ٦١٢ ـ ٦١٣ ـ هيار ١٠٧ ـ برون ٢ : ٣٥٥ ـ ٣٧٦ ـ الشواربي في ترجمته لبرون ٤٥٢ ـ زيدان ٣ : ٢٦ـ٢٧ ـالزركلي ٢ : ١٦٤

حياته

الرئيس الأديب[١] ابو القاسم ـأو أبو الحسنـ[٢] علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي السنجي ؛ وباخرز في خراسان وهي ناحية من نواحي نيسابور[٣] ، بينها وبين هرات[٤] ؛ والسنج بلد معروف بغرشستان وغرشستان ولاية بين غزنه وكابل وهرات وبلخ[٥] : ـ

---

(١) الشذرات ٣ : ٣٢٧

(٢) ترد الكنيتان في الارشاد وقال أبو الحسن البيهقي كنية الباخرزي : أبو القاسم . وهو الصحيح « وقد مدح الباخرزي أبا القاسم علي بن موسى نقيب الطالبين بمرو فقال ص ٣٧٦ من ديوانه :

وزارك مني سمي كني   فراع حقوق السمي الكني

(٣) أنساب . إرشاد ، وفيات   (٤) معجم البلدان

(٥) معجم البلدان ، « ... والعوام يسمونها غَرجستان والغالب على تسميتها اليوم على لسان أهل خراسان بالغور . » وقد وردت النسبة في طبعة مار گوليوت لمعجم الأدباء السنخي وذلك تصحيف وقعت فيه أيضاً الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية ٤ : ٤٦٢ ، ولا غرو ، لأن كاتب المادة الأصلية هو مار گوليوت نفسه . وتنبهت طبعة دار المأمون من الارشاد إلى التصحيف . ينظر السبكي ٣ : ١٥

لا نعرف نصاً عن مولد « علي » ولكن المحتمل ان يكون في باخرز وبعد المائة الرابعة - في العشرة الثانية مثلا[١] وقد تناوبت على تربيته أمه والظئر[٢].
وكان ابوه « الشيخ حسن » ذا وجه جميل تصونه نعمة صالحة . أديباً فاضلاً[٣]، تولى تربية ابنه وتعليمه وهيأ له التلمذة لأئمة العصر في الفقه والحديث . وروى لنا علي نفسه أطرافاً من أخبار تعلمه فقال :

« أني منذ ناست على الشطاط عذبة ذؤابتي وأومضت للمتفرس المتصون المحتاط مخيلة نجابتي . أنس مني والدي في متصرفات احوالي رشداً . . فشغل بي وكده وكده . . وصرف عنايته إلى جذب بضبعي وشحذ لطبعي نظر المثقف بأناته في كعوب قناته ، حتى يقوم سنادها ويثقف منآدها . وباشر أمري بجد ... ولم أزل ... صادق الرغبة ... عزمة مني على صناعة الشعر . . وهمة في اشاعة الذكر . . فلما فرغت من حفظ كتاب الله . ارتفع عن مثافنة المعلمين أمري وكبر عن تقلد طوقهم عمري وذهبت بنفسي عن أن اكون قرين المقرئين . القيت الألواح . . فضم والدي إلي من الأدباء كل موثوق به مستوثق منه . استظل بداية الدراية تميز بين اكفائه بحسن الكفاية ... وأنا منيخ على المواظبة مغرى بملاحظة الصحف ، مغرماً بمطالعة الكتب . . . ولما أضرّ بي طول الجمام وقرمت إلى علك شكيمة اللجـــام ، استقبلت وطراً وودعت وطناً وذلك في شهور أربع وثلاثين وعهد الصبي مخيم ما انتقل . . وسرت على اسم الله والمشيعون يذرون على الهوى فتات الأكباد ، والمودعون يزرون لعناق التوديع اعضادهم على الاجياد . . وقد وليت وجهي شطر الفضلاء الوجاه ... »[٤]

---

(١) بنظر Huart

(٢) الملتقط ٤٧ (٣) الثعالبي - تتمة اليتيمة ٢ : ٣٦ - ٣٧

(٤) دمية القصر المط . ص٣ مقابلاً على مخطوطة المتحف العراقي .

« ... وقد أدركت بنيسابور من المقيمين بها أبا فضلها وأخا أفضالها وابن ميكالها المستوفي للفضائل بواف من ميكيالها[١] » . والميكالي هذا هو ابو الفضل عبيدالله بن أحمد قال فيه السمعاني : « من اعيان نيسابور أوحد عصره في خراسان أدباً وفضلاً ونسباً وعقلاً .. سمع الحديث الكثير وعقد له مجلس الاملاء في رجب سنة ٤٢٢ واستمر ذلك الى حين وفاته وانتشرت تصانيفه وديوان شعره في الآفاق ...[٢] » وكانت وفاته عام ٤٣٦[٣] وقد درس عليه الباخرزى الفقه في صباه[٤] » وقال الباخرزي ... صحبته بعدما أناف على الثمانين وفارقته « وهواي مع الركب اليمانين » ونادمته فلم اقرع على منادمته سن الندم وقدمت عليه فغمرني انعامه من الفرق إلى القدم وجالسته فأحمدته فى كل أمر ...[٥]

كما ادركت « ثعالبيها أبا منصور »[٦] « عبدالملك بن اسماعيل الثعالبي . جاحظ نيسابور وزبدة الأحقاب والدهور ... وكان هو ووالدي بنيسابور لصيقي دار وقريبي جوار ، فكم جملة كتب تدور بينهما في الاخوانيات وقصائد يتقارضان بها فى المجاوبات، وما زال بي رؤفاً وعلي حانياً ، حتى ظننته أباً ثانياً[٧] »

« وبلت يدي من الطارئين » على نيسابور « بالعميد أبي بكر القهستاني سمي وابن سمي والدي ، ومن ديوانه المسموع لي منه أنفس ما ادخره من طريفي وتالدى . »[٩]

---

(١) الدمية ٥ — (٢) الانساب ٥٤٨ ـ ٩
(٣) الأنساب — (٤) المستفاد
(٥) الدمية ١٢٢ — (٦) الدمية ٥
(٧) الدمية ص ١٨٣
(٨) الدمية ص ٥
(٩) الدمية ص ٥

وكان من شيوخه الامام الموفق النيسابوري ، فقد « ذكر ... البيهقي في كتاب مشارب التجارب وأخبار الوزير أبي نصر ... الكندري ... أن الشيخ علي بن الحسن الباخرزي كان شريك أبي نصر الكندري في مجلس الافادة من الامام الموفق النيسابوري في سنة أربع وثلاثين واربعمائة .. فقال مداعباً :

أقبل من كندر مسيخرة	للنحس في وجهه علاماتُ
يحضر دور الأمير وهو فتىً	موضع أمثالة الخرابات
فهو جحيم و... سمة	كجنة عَرضها السموات [1]

وكان من شيوخ الباخرزي « أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن ابن عائذ الصابوني الملقب بشيخ الاسلام ... قال عبد الغافر .. وعظ المسلمين في مجالس التذكير سبعين سنة وخطب وصلى في الجامع يعني بنيسابور .. توفى عام ٤٤٩ ﻫ ... وسمع منه عالم لا يحصون » [2] وقد درس عليه الباخرزي الفقه في صباه [3]

ومنهم الامام أبو عبد الله الجويني الذي تصدر في نيسابور منذ عام ٤٠٧ للتدريس والفتوى وقد تخرج به خلق كثير منهم ولده - امام الحرمين عبد الملك - . وكان [الباخرزي] في شبابه قد تردد إليه ولازمه [4] « واختص بملازمة دروسه » [5]، حتى انخرط في سلك أصحابه » [6] وقد حدثنا بشيء عن ذلك فقال « قد اختلفت إليه فصارت دهم أيامي بمجالسته غُرا وملأت جيبي وحجري من حسن عباراته درا [7]

---

(١) الارشاد

(٢) السبكي - طبقات الشافعية ٢ : ١١٧ - ١٢٤

(٣) المستفاد

(٤) الأنساب (٥) الوفيات

(٦) الأنساب

(٧) الدمية ١٩٥

واذ يحدثنا الباخرزي عن اسفاره وعن الأعلام الذين لقيهم ، إنما يغلب على حديثه الكلام على أهل اللغة والأدب والشعر ، ويستمر ويقول : «ورأيت بهراة .. قاضييها منصورا ونصرا . وقد حاسيتهما كؤوس الوداد وراضعتهما لبان الاتحاد ... ومدحتهما في الحياة عناية بالود ورثيتهما بعد الوفاة رعاية للعهد . ولقيت بجرجان أبا محاسنها ... وعبد قاهرها ... وأبا عامرها ... وقصدت بمرو الروذ أمجديها : الموسوي وهو صدر خريدتها وقاضيها السمعاني وهو بيت قصيدتها ... وببلخ شرف سادتها ... ابا الحسن محمد بن عبدالله . وبالري وزيرها الصفي ونحريرها أحمد بن فورجة البروجردي ... وبأصفهان أبا مطرزها صاحب « طراز الذهب على وشاح الأدب » ... وبهمذان أبوي الفرج : أحمد بن محمـــد . . . وابن أبي سعد بن خلف . وببغداد ابن شبلها الخادر في قصبائها وابن نحريرها النحرير بين شعرائها وابن برهان الذي أوضح برهان النحو ... وبالبصرة ابن قصبانيها ... وبواسط واسطة عقدهـا ابن بشران ... »(١)

ولم يكن الباخرزي متفقها أو شاعرا حسب لأنه « بعد الاشتغال بالفقه» شرع فى فن الكتابة واختلف الى ديوان الرسائل(٢) وروى هو نفسه انه بعد مجلس الامام الموفق تصرفت به أحوال ادّته الى ديوان الرسائل بالعراق(٣)، ويذكر العوفي انه كان في شبابه كاتباً لطغرلبك الساجوقي(٤).

ومن ماجريات حياته بهذا الصدد ما رواه هو نفسه عن صلته بالكندري فقال : « دخل يوما وأنا قريب عهد بالانتظام فى [الديوان] ، فلماوقع بصره

---

(١) الدمية ٥ ـ ٦ وقد تكلم الباخرزي على الكثير من هؤلاء الأعلام في غضون الدمية . ينظر فهرستها . كما ينظر الوفيات والفوات والارشاد وبغية الوعاة . وجاءت « بمرو الروذ امجديها » على « بمرو ذا مجديها » فى مخطوطة المتحف العراقي . اما « الخادر في قصبائها » فهي من المخطوطة ، لأنها جاءت في المطبوعة على « قضائها » .

(٢) الوفيات (٣) الدمية ١٤١ (٤) الألباب . وينظر برون في ترجمة الشواربي ٤٥٢

أثبت صورتي وأقرأه تذكر العهد القديم سورتي فأقبل عليّ وقال : أنت صاحب « أقبل » ، يشير إلى الأبيات التي مازحته بها ، فقلت : أيد الله سيدنا ، فقال : تفاءلت بأبياتك إذ كانت مفتتحة بلفظ الاقبال مؤذنة بفراغ البال »[1].

ومما رواه من انه : « من عجيب الاتفاقات أيضاً أني انفذت اليه في ذمام الأمل من خراسان وهو بمدينة السلام فوافيت الدار العضدية بها وقد عقد فيها مجلس منزور على ملوك العرب والعجم والديلم والأكراد وهم يبرمون أسباب زفاف السيدة العباسية الى السلطان ركن الدولة ـ وعميد الملك مستند يذاكر وزراء اولئك الملوك ويجاذبهم أهداب المحادثة كعادته في التفكه بثمار الأدب والتفنن فى لغات الترك والعجم والعرب ... فطلعت عليه بغتة وهو يروي أبياتاً كنت عبثت بها في صباي :

عجبت من دمعتي وعيني من قبل بين وبعد بين
قد كان عيني بغير دمع فصار دمعي بغير عين

ويروي أيضاً : ـ

وجه حكى الوصل طيباً زانه صدغ كأنه الهجر فوق الوصل علقه
وقد رأيت أعاجيب الزمان وما رأيت وصلا يكون الهجر رونقه

فوافقت رؤيته إليّ روايته لشعري : فقال للحاضرين ها هو ذا ، وقد كان عندنا بخراسان ساعة أطلقنا بشعره اللسان فاذا « بموسى » وقد جاء على قدر ، فبرد غليله بشرب من السعادة محتضر وأثار النظر فكأنه يتقاضى شعري المنتظر ، فأبرزت القصيدة من الكم وقرضت بها أسماع أولئك الملوك الشم ، ورفعت عقيرتي بدالية أولها : ـ

أقوت معاهدهم بشط الوادي فبقيت مقتولا وشط الوادي
وسكرت من خمر الفراق ورقصت عيني الدموع على غناء الحادي

(١) الدمية ١٤١ ـ ١٤٢ .

فلما انتهيت الى قولي : -

قالت وقد فتشت عنها كل من ... لاقيته من حاضر أو بادي
أنا فى فؤادك فارم لحظك نحوه ... ترني، فقلت لها : وأين فؤادي

سكر برشف رحيقه وجمع بين برق ابتسامه ورعد تصفيقه ، وأقبل على الحاضرين وقال : لنا فى العجم مثله فـآتوا فى العرب بمثله . وصار ذلك عنوانا لـكتاب مفاخري وشرفا باذخا تعطس عنه مناخري [١] .

ويذكر البيهقي أن الوزير « أمر للشاعر عندما فرغ من انشاد هذه القصيدة بألف دينار مغربية » [٢] وكان قد خلع عليه قبل انشادها اياه بيوم .

ويروي البيهقي حكاية اللقاء على شكل آخر فيقول : « ورد عليه وهو فى صدر الوزارة في ديوان السلطان ، فلما رآه الوزير قال له : انت صاحب « أقبل » ؟ فقال له : نعم ، فقال الوزير : مرحبا وأهلا فاني قد تفاءلت بقولك « أقبل » ... الخ » [٣] . ويظهر أن البيهقي يخلط بين حادثتين مختلفتين والمعقول أن نصدق الباخرزي في ذلك وان نتخذه حجة تضعف قول العماد بأنه « ورد بغداد مع الوزير الـكندري » ، تضعفها أو تنفيها .

واذا عدنا إلى دالية الباخرزي المذكورة رأيناه يشكو ويتظلم :

... ولقد بثثت إليه شجوي انني ... لأنا الأسير وليس لي من فادي
في بقعة لبست ثياب حدادها ... بزعيمها ابن الأقلف الحداد

* * *

فاليك منه المشتكي يا من يعي ... صوت اللهيف لرسمه المعتاد
ومراده اني الاقي منه ما ... لاقى «على» من شقي «مراد»

---

(١) الدمية ١٤٢ - ١٤٣

(٢) ياقوت ، الارشاد عن مشارب التجارب للبيهقي

(٣) ياقوت ، الارشاد عن مشارب التجارب للبيهقي

ولطالما هدم الزمان قواعدي فبنيتني ورفعت من أعضادي

وفي هذا البيت الأخير - فى الأقل - ما يضعف رواية البيهقي ، لأنه - كما ترى - يشير الى معرفة سابقة وأفضال كثيرة .

وليست هذه هي المرة الوحيدة التي يشتكي فيها الشاعر من هذا «الحداد». ففي قصيدة « بغدادية » أخرى قال :

... ومالي إلى « مالين » شوق فانها منغصة من جور « حدادها » الكلب

* * *

وأخرجني والغدر من فعلاته عن الوطن المألوف والعطن الرحب

وأنهب أموالي فليس يجيبني إلى ردّ خلخال « لرملة » أوقلب[1]

وليست كل أبيات الباخرزي في الكندري مدحا وشكراً ، فقد وصف طرفا مما هيأت له بغداد من حياة رخية تناسب مزاجه ، لاهية تشغله عن سواها :

فها انا في « بغداد » أرعى رياضها وأرتع منها في الرفاهة والخصب

وأسحب أذيالي عليها « وكرخها » مظنة أطرابي و « دجلتها » شربي

* * *

وأسبأ في حاناتها « عكبرية » أرقّ من الاعتاب فى عقب العتب[2]

على أنه من الانصاف أن نقرر بأن اللهو ليس كل مطالب الباخرزي ، فقد كان طامحاً أيضاً ، ألم يقل في الدالية :

ولسوف تسمو باعتنائك رتبتي حتى أنص على السماك وسادي

وفي البائية : -

أباري أثوي ام أسير مع الركب أسير لأن السير أدنى إلى قلبي

---

(١) الديوان . وكان الباخرزي قد رفع مثل هذه الشكوى إلى طغرلبك (الديوان ص ٧) . وجاء في معجم البلدان : مالين ... من قرى باخرز . (٢) الديوان ص ٣٨

أتشغلني خود تكعب ثديها عن الذروة الشماء أعلي بها كعبي
سلام على وكري وإن طوي الحشا على حسرات من فراخ ومن زغب

* * *

ألم ترني وترت بالشرق عزمةً رمتني كالسهم المريش إلى الغرب

وقد وضع كل أمله في يد الكندري[١] . وصحيح أن الكندري كان يكرمه ويقربه :

يعدّني بينه من أهله وكذا النـ (م) بي عد من أهل البيت « سلمانا »
إذا حللت بواديه رأيت حمىً ممنعا رد خطب الدهر خزيانا[٢]

ولكن الكندري قد « يفطمه » أحيانا « عن بابه المعسول درته »[٢] . ثم إن علاقته لم تزد كثيراً على علاقة المادح بالممدوح ، ويبدو أنه لم يحقق كثيراً من مطامحه ، ولعله لم يرتفع عن الكتابة في ديوان الرسائل ، وإن ذكر العماد انه قد « تنقلت به الاحوال فى المراتب والمنازل »[٣].

ولم يكن عطاء الكندري ليكفيه ، لهذا فهو لما ورد إلى بغداد مدح القائم بأمر الله ، وقال : « وقد أسعدت سنة خمس وخمسين بالمثول في تلك المواقف الشريفة ، والرقي إلى تلك المراتب المنيفة ، وأنشدت - بائية قرعت شقاشقي أعواد السرير بما ملكت فيها من الهدير » . ومطلع القصيدة :

عشنا إلى أن رأينا في الهوى عجبا كل الشهور، وفي الأمثال: « عش رجبا »[٤]

ولربما كان لعجبه بهذه البائية أن صدّر بها ديوانه - ومن عادة الشعراء أن يعجبوا بما يقولون . وإلا ، فليس في القصيدة أمور خارقة يمكن أن تبذ متوسط الشعر أو أن تعلو كثيراً عن رديئه . ثم إن البيهقي ، يروي بلهجة الواثق - والعهدة عليه - أنه « لما ورد [الباخرزي] إلى بغداد ، مدح القائم

---

(١) شعره فى الملتقط ص ١٦ (٢) الديوان ص ٤٧ ، الملتقط ص ١٠
(٣) الارشاد ، الوفيات (٤) الدمية ص ١٠ - ١١

بأمر الله بقصيدته التي صدرها ديوانه وهي « عشنا ... » « فاستهجن البغداديون شعره ، وقالوا : فيه برودة العجم ، فانتقل الى الكرخ وسكنها وخالط فضلاءها وسوقتها مدة ، وتخلق بأخلاقهم ، واقتبس من اصطلاحاتهم . ثم أنشأ :

هبت عليَّ صبا تكاد تقول — إني إليك من الحبيب رسول

سكري تجشمت الرُّبى لتزورني — من علّتي ، وهبوبها تعليل

فاستحسنوها وقالوا : تغير شعره : ورق طبعه[١] .

ويبدو أن مدائحه للقائم لم تحقق له مأربا .

ويظل الشاعر مع الكندري[٢] يمدحه ويشكره ، ثم تتغير الأحوال ويغلب نظام الملك حتى على السلطان ألب أرسلان ويعمل على اقصاء الكندري وسجنه فيحدثنا الباخرزي : « ودخلت عليه بنيسابور وهو محبوس في دار عميد الملك فساق معي من مجاري أحواله قصصاً وأساغ من منافث أنفاسه غصصاً وأثنى على الصاحب نظام الملك بآلائه وسماه باحسن أسمائه وقال في أثناء ثنائه : حقق أملي واستلب حياتي من يدي أجلي »[٣] . وثناء الكندري على نظام الملك غير معقول ولا سيما بالشكل الذي عرضه علينا الباخرزي . فما الذي املى على الباخرزي هذه اللهجة وأداه الى هذا المفهوم ؟ أهو الخوف من نظام الملك أم قلة في الوفاء ؟ أم كلاهما ؟ لقد ابتدأ الباخرزي الحديث عن ولي نعمته بـ « تجاوز الله عن سيئاته[٤] » .

وكان الشاعر أكثر سماجة وأكثر جبناً لما قتل السلطان ألب ارسلان

---

(١) ياقوت فى الارشاد عن البيهقي في مشارب التجارب .

(٢) ولنلاحظ ان اسم الكندري يرد فى ديوان الباخرزي وفي دمية القصر على : منصور بينما يرد في الكتب الأخرى كالنصرة والوفيات... علي محمد.

(٣) الدمية ص ١٤٤ (٤) الدمية ص ١٤٠

الوزير أبا نصر الكندري فقال يخاطب السلطان :

وعمك أدناه وأعلى محله ... وبؤأه من ملكه كنفا رحبا

قضى كل مولى منكم حق عبده ... نخوله الدنيا وخولته العقبى

فمن أي أنواع الشعر هذا ؟ الا إنه من بحر العقوق والجبن والمنطق الاعوج ، وعجيب أن يعلق البيهقي على هذه الأبيات فيقول : « وهذا معنى لطيف ومقصد ظريف فلله در الشعراء وقرائحهم والأدباء ومنائحهم »[١] .

ثم انصرف الباخرزي إلى نظام الملك يمدحه ويعظمه ويفخمه وينال عطاياه ويعترف له بالفضل[٢] . ولكن نعم الوزير لم تكن متصلة مما يبعثه على الحث عن طريق عرض آلامه وفعل الدهر به وحاجة « اولاده » ، وقد يذكره بخدماته[٣] . ويظهر أنه لم ينل شيئاً ذا بال ولم يستطع أن يبلغ من « المراتب » ما يشاء فـ « فضل حياة العزلة واستقال من منصبه »[٤] . ثم شرع في أسفار طويلة - وكأنه يضمر تأليف كتاب يجمع فيه ما يرى وما يسمع من الأحداث والأشعار والأخبار . وربما كان ذلك فى شهور ٤٦٤ . وقد أراد أن يخدم بهذ الكتاب - وهو دمية القصر - نظام الملك[٥] .

هذه الشواغل ، وما هو أهم منها مما يدعيه ويكثر الشكوى لأجله من فقر وفقد الأب والأم وتكاليف الزوجة والأبناء والأخوات ثم ما عرف عنه من تفقه وسماع للحديث - كل أولئك لم يمنعه من ان يعيش « عيشة لاهية

---

(١) ياقوت فى الارشاد عن البيهقي فى مشارب التجارب . وتنظر الدمية والارشاد لاستيفاء مثل هذه الأخبار

(٢) الديوان والدمية والمتقط

(٣) المتقط ص ٢٤

(٤) الشواربي فى ترجمته لبرون نقلا عن عوفي فى لباب الألباب

(٥) تنظر الدمية ص ٥ ، ٣١١

عائشة »[1] . « انتهت بمقتله ... »[2] « في مجلس أنس[3] » و« شرب[4] » بباخرز .

ويقال إنه انشأ بالفارسية وهو في حالة النزع هذه الرباعية :

انني ذاهب ... فتعال الآن وانظر قبل الرحيل
وانظر إليّ وانا اتعذب فى هذا الحال المؤلم الوبيل
ثم انظر إلى هذه الحجارة من فوقي وإلي يدي من تحتها
وإلى فراق الأحبة ... وإلى سيف الأجل القاطع الوبيل[5]

« طل دمه غدرا »[6] « وذهب هدرا »[7] . وكان ذلك في « ذي القعدة »[8] « سنة سبع وستين واربعمائة »[9] صيف ١٠٧٥ م والشاعر في « أيام الكهولة »[10] .

---

(١) الشواربي في ترجمته لبرون عن عوفى ص ٤٥٢

(٢) المستفاد ، وفيه « ... على يد بعض . . . الدولة النظامية . »

(٣) السمعاني في المستفاد ، ياقوت عن الخريدة ، ابن خلكان دون أن ينص على الخريدة .

وينظر شذرات الحنبلي وأعلام الزركلي .

(٤) المرآة العوفي .

(٥) الشواربي في ترجمته لبرون ص ٤٥٣ نقلا عن العوفي

(٦) المستفاد (٧) ياقوت عن العماد ، الوفيات . المرآة

(٨) الوفيات (٩) كل المصادر : السمعاني ، العماد ، ياقوت ، ابن خلكان ، سبط ابن الجوزي ... وشذ عوفي إذ جعله سنة ٤٦٨ ومن اخطاء دائرة المعارف الاسلامية المترجمة الى العربية (ج ٤ ص ٢٦٢ - ٢٦٣) جعل وفاته عام ٣١٧ هـ

(١٠) المستفاد. وفي القاموس : الكهولة لا تتجاوز الاحدى والخمسين .

ورثاه شاعر فارسي اسمه عياضي ببيتين معناهما : -

مسكين « علي بن الحسن » فقد وقع في هذا العراك المشؤوم
وقتل بغير جريرة « كالحسين بن علي » المظلوم
وقد كان أسداً ... وكأن الأدب عرينه وواديه
ولا عجب إذ اقتل الأسد في مأسدته وبواديه[1]

وقد يكون الشاعر حسن النية في التشبيه ولكنه لا يخلو - على اية حال - من صفاقة ، وربما كان هذا الشاعر من خلان الفقيد وندمائه . والعجيب انك لا تعدم ان تقرأ فيما بعد « قال الأمام الشهيد[2]... » ويقصد بذلك الباخرزي الذي قتل في « أثناء ثورة من ثورات الشراب »

مؤلفاته

(١) الديوان - ونفهم من خبر رواه السمعاني أن الباخرزي جمع ديوانه بنفسه ، وأنه صدره بقصيدته : « عشنا إلى أن رأينا في الهوى عجبا ... » وقال سبط ابن الجوزي ان « ديوانه مشهور » ، وقال ابن خلكان انه « مجلد كبير ، والغالب عليه الجودة » .

وفي مكتبة المتحف العراقي نسخة منه - قد تكون فريدة - نقلت للأب انستاس ماري الكرملي عام ١٣٤٨ هـ عن نسخة قديمة جاء في آخرها : « قال جامع هذا الديوان البديع أبو القاسم محمد بن أحمد بن الحسن بن الحسين الخجندي . قد وفقت للحصول على أغلب قصائد الباخرزي ، لكني وجدت في بعضها أبياتاً غير تامة ، وفي البعض الآخر كلمات تصعب قراءتها ، فأبقيت في مكانها بياضاً ريثما أعثر على أحسن رواياتها وأصحها نقلا وأحسنها كتابة .

---

(١) الشواربي في ترجمته لبرون ص ٤٥٤ نقلا عن لباب الألباب لعوفي .
(٢) الديوان ص ٢ . (٣) الشواربي ص ٤٥٢

وكذلك أبقيت أوراقا بيضا لتدوين ما فاتني من القصائد والمقاطيع التي وعدني بها بعض الأصحاب ممن عُني بجمعها ، وحرص عليها ، لكني لم أزل أسمع منهم المواعيد الطيّبة بلا جدوى ، فبيضت منها ما تمكنت من الحصول عليه ، حرصاً على تدوينه وأرجأت الباقي إلى حين ... وذلك فى الخامس من محرم الحرام من سنة اثنتين وسبعين بعد الأربعمائة للهجرة . »

يقع هذا الديوان في ٤١٥ صفحة ، وهو مصدّر بـ « عشنا ... »

ولدينا إلى جوار هذا الديوان : « المنتقطات من ديوان أبي الحسن علي بن الحسن الباخرزي » وتبلغ زهاء خمسين صفحة تصدرت النسخة الأحمدية لمخطوطة الدمية . وقد طبعت ملحقة بالدمية .

اما « الأحسن للباخرزي » فهو « مما عني بجمعه الشيخ الامام أبو الوفاء محمد بن القاسم الأخسكيتي »[١] ، وتضم مكتبة المتحف البريطاني نسخة منه . وقد بوبه مؤلفه إلى : النسيب ، الأخوانيات .. الشكاية ... المجون. الخمريات، المعميات ، الزهد » وتقع صفحاته بين ٧٧ - ١٥٥ من مجموع ضم مخطوطات عدة. ويبدو - من المقدمة أن الاخسيكتي اتبع في الاختيار والتأليف رأى « ضياء الملك منصور » . ومما يذكر ان العوفي صاحب لباب الألباب يقول : « كنت عند الوزير ... وبدأنا نقرأ ديوان الباخرزي المسمى « الأحسن في شعر علي بن الحسن ... »

(٢) - دمية القصر وعصرة أهل العصر . « هو ذيل يتيمة الدهر التي للثعالبي »[٢] وقد نهج نهجه فى التبويب على الاقطار والاختيار للأدباء الذين عاصرهم مع ايراد قليل من أخبارهم وأحكام عامة يغلب عليها المدح والمبالغة في

---

(١) الأخسيكتي أو الأخسيكثي لأن أخسيكث مدينة من فرغانة بالتاء والثاء .

(٢) الوفيات .

المدح ، ولا يُعنى - شأن الثعالبي - بترجمتهم من حيث الولادة وشؤون الحياة والوفاة . ويأسف « برون » لأنه « قصر عنايته على ذكر الشعراء الذين صاغوا شعرهم بالعربية وأغفل ذكر شعراء الفرس ، ولو انه تحدث عنهم لكان حديثه مصدراً لكثير من الأخبار الصادقة الصحيحة »[١] .

ألفه حوالي عام ٤٦٤[٢] فجمع ما أوعى في أسفاره ومذكراته ومطارحاته . وقال « أودعته من روائع الحكم نهزا لأولى الألباب ، وضمنته من بدائع الكلم نزها للأرباب ، وأخـــذت فيه ولمسك الشباب لطخة فى الوفرات ، وفرغت منه ولكافور المشيب لطمة على القسمات ... وخدمت به المجلس العالي النظامي القوامي الرضوي جالياً عليه حرة كريمة ، وجالبا إليه درة يتيمة .. وبعد فلو هب على هذه الخدمة من تلقاء الرأي العالي ... عاش العبد على رخاء البال ... وإن محيت محو الريح للسحب ... خاب العبد ... ولم يجد إلا لحم بنانه مأكلا ، ولم يرد إلا دمع أجفانه منهلا . »[٣]

قدم الباخرزي « دميته » الى نظام الملك بهذا الذل وعلى هذا الاستجداء . ولا ندري كم نفحه سيده ، ولكن ما كادت « تُطلع هذه الدمية رأسها من شرفة قصرها »[٤] « حتى انثال عليها فضلاء عصرها » يثنون ويبالغون في الثناء عليها وعلى مؤلفها[٥] ، وفي مدح نظام الملك والدعاء له والرجاء من ذلك الذي « يعتاض حمد الناس من ماله »[٦] ان يهب المؤلف الذهب والفضة ،

(١) برون في ترجمة الشواربي ص ٤٥١

(٢) الدمية ص ٥ . ويذكر Huart انه بلغ به حتى عام ٤٥٠ وهذا ما لا تؤيده أخبار الكتاب وترجماته .

(٣) الدمية ص ٣١١ (٤) الدمية ص ٣١١

(٥) الدمية ص ٣١١ _ ٣١٥

(٦) الدمية ص ٣١٤

فقال قائل : -

جلوت علينا دمية القصر غادة   فأضحت بألحاظ البرية مأخوذة
وقد نبذ الناس «اليتيمة» بعدها   ولا عجب ان اليتيمة منبوذة

وقال ثان : -

ما دمية القصر إلا روضة أنف   تحوي محاسن أهل البدو والحضر
من كل لفظ كنظم الدر مخترع   وكل معنى كنفث السحر مبتكر
أبقت أسامي من فيها مخلدة   منقوشة بين سمع الدهر والبصر
فليحسنن من نظام الملك موقعها   فانها عصرة من أعظم العصر
يشفي بها كاتب ماتت خواطره   وشاعر ملكته عقدة الحصر
وهي العرائس لا ترضى لبهجتها   أن تستباح بلا ألف من البدر

وقال ثالث : -

... فيا «دمية القصر» اسحبي ذيل عزة   وتيهي فقد وشّاك ماشاءه «علي»

في هذه الأبيات وأمثالها كثير من المبالغة . فليست الدمية - كما نراها اليوم - بالدرجة التي كانوا يتصورونها ، وقد نسيها الناس - أو كادوا ، ولم ينسوا «اليتيمة». وكان العصر - وما يزال - يستسيغ مثل تلك المبالغات و «المجاملات» الاخوانية ، ومن يدرينا فلعل هدفهم الأول في ذلك تحفيز الوزير الى العطاء ، ولربما كانت للباخرزي يد تحثهم .

يرى مار گوليوث أن مكتبه نظام الملك هي التي جهزت القسم الأكبر من مصادر الدمية ، ولم يقل الباخرزي ذلك ، ولو صح لملأ دميته مدحاً وفخراً به ، ولا ندري أين وجد مار گوليوث خبره، ولعله فسر به قول المؤلف يمدح نظام الملك بأنه « بنى لنفائس الكتب خزانة ، اختصر طريق المنبعثين الى تحصيلها وكفاهم كلف الاسفار فى طلب الاسفار بضم شتاتها »[1] - وهذا غير كاف.

---

(١) الدمية ص ٨

وضع أبو الحسن علي بن زيد البيهقي (المتوفى عام ٥٦٥) على « الدمية » كتابا سماه « وشاح الدمية » وهو كالذيل لها [١] ، ثم كتابا آخر هو « درة الوشاح » يعني تتمة وشاح الدمية [٢] . كما يمكن عد « زينة الدهر » ذيلاً على دمية القصر [٣] .

وقال العماد الكاتب : طالعت هذا الكتاب [أي الدمية] بأصفهان فى دار الكتب التي لتاج الملك بجامعها : وبعثني ذلك على تأليف كتابي هذا [أي خريدة القصر] [٤] . وهكذا فقد « حذا العماد حذوه » [٥] .

وللدمية شرح ذكره صاحب كشف الظنون في الكلام على طبقات الشعراء [٦] ، « ولم يذكر اسم مؤلفه ، ولا وقفت عليه » [٧] .

ونسخ الدمية المخطوطة كثيرة ـ كاملة وغير كاملة : فى بغداد (مكتبة المتحف) والموصل (جامع الباشا) والنجف (صادق كمونة) وحلب (فى الأحمدية والمارونية) والقاهرة (التيمورية والأزهرية) وطهران (مكتبة ملي) وڤيينا وباريس . ويذكر زيدان ـ فيما يذكر ـ برلين وغوطا

وفي معهد المخطوطات بالجامعة العربية جزء من وشاح الدمية بـ٢٥٣ ورقة ، حجم صغير ، ناقص من أوله وآخره ، كتب في القرن السابع ، وهو مصور عن مكتبة حسين چلبي [٨] .

---

(١) الوفيات ١ : ٥٨ . « هكذا سماه السمعاني في الذيل ، وقال العماد فى الخريدة هو شرف الدين أبو الحسن علي بن الحسن البيهقي والله أعلم » .

(٢) تتمة صوان الحكمة ص ١٧١

(٣) الوفيات ٢ : ٤٩٥ (محمد ... العماد)

(٤) الارشاد ، وتنظر مقدمة العماد لخريدته

(٥) المرآة . (٦) كشف الظنون ٢ : ٩٣ (٧) الطباخ في مقدمته للدمية (٨) فهرس معهد المخطوطات العربية ص ٥٤٥

طبع كتاب الدمية سنة ١٣٤٩/١٩٣٠ بالمطبعة العلمية بحلب بعناية محمد راغب الطباخ ، معتمدا نسخة الأحمدية ثم المارونية والموصلية . وقد قال - فيما قال - « لا أدعي أني أخرجته خالياً من الغلط ... » .

ولم يكن قوله هذا من باب التواضع ؛ فان القارىء لا يحس - مثلا - أثراً للمقابلة بين النسخ ، وانه يفتقد الفهارس ؛ ومن يقابل النسخة المطبوعة بالمخطوطات الأخرى يلحظ نقصها ، ويعتقد أنها - إن سدت حاجة موقتة فانها لا تغني عن مراجعة المخطوطات ، ولا تحول دون طبعة ثانية .

٣ - اشعار فارسية متفرقة[١]

٤ - قصيدة مطولة جعل عنوانها « طرب نامة » أو « رسالة الطرب » جعلها مكونة من رباعيات فارسية تتسلسل بحسب الترتيب الهجائي[٢]

خاتمة

ان الذي يهمنا من الباخرزي شعره العربي وقد كان هو مزهواً به ، وكان معاصروه يعجبون به ، ومنهم من عده « أوحد العصر » « وأشعر الناس »[٣] ، وقال العماد « كان واحد دهره في فنه ، وساحر زمانه في قريحته وذهنه ، صاحب الشعر البديع والمعنى الرفيع ... لقد رأيت أبناء العصر بأصفهان مشغوفين بشعره ، متيمين بسحره »[٤] . وزاد ابن خلكان انه « السابق الى حيازة القصب في نظمه ونثره »

---

(١) « العوفي في الجزء الأول من لباب الألباب ص ٧٠ وكذلك رضا قليخان في الجزء الأول من كتابه « معجم الفصحاء » ص ٣٤٣ ، وينظر الشواربي في ترجمته لكتاب برون ص ٤٥٢

(٢) العوفي ...

(٣) الدمية ص ٣١٥

(٤) العماد فى الخريدة ، نقله ياقوت فى الارشاد

وهذا هو شعره بين ايدينا ، و « كميته » - والحمد لله غير قليلة وهو يتقلب بين المديح والنسيب ، والشكوى والهجاء والسخف والغزل بالمذكر مع ألعاب ذهنية وزخارف بديعية متـكلفةومبالغات تصل الغلو وتتعداه الى الـكفر وفساد الذوق ؛ والركة فى كل ذلك غالبة و « النثرية » شائعة واذا سلمت له الأبيات المعدودة المحدودة فلا تقوى هذه الأبيات المعدودة المحدودة على أن ترتفع عن متوسط الشعر . ان « القدماء » في أحكامهم لم يبحثوا عن الشاعرية والموهبة ولا عن الأصالة والايقاع وكان كل موزون مقفى - لديهم - شعرا .

ولم تختلف احكام النقاد الفرس عن احكام العرب فقد قال عوفي مثلا : « لقد أصبح - الباخرزي - في اللغتين علما يرتفع فوق أرجاء العالم وتمـكن من أن يسلب فضلاء الزمان قصب السبق في هذين اللسانين . »[1]

أيكون - على هذا - شعر الباخرزي باللغة الفارسية مثل شعره باللغه العربية ؟ أرجو ألا يكون !

---

(١) الشواربي في ترجمته لبرون

(٣) ابن الشبل

مصادره :

لقد رأى الباخرزي ابن الشبل وسمع اشعاره ، ولا يغني كلامه في الدمية المطبوعة ص ٦ و٨٣ ـ ٨٤ عن المخطوطة (طهران أو بغداد) . وقرأ السمعاني شعره على تلاميذه فيما قرأ . وحدثنا السمعاني عن نسبه وعلمه وشعره ومسكنه من بغداد (الانساب و٣٢٩ أ) وروى كثيراً من أشعاره ، وقد حفظ ذلك العماد في الخريدة ج ١ و٩١ ب ـ ١٠١) ، (وتتكرر بعض مواد الترجمة عند ابن الجوزي ج ٨ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٩ ويزيد عليها خبر وفاته ورأيه في عقيدته .) واذا كانت الخريدة قد حفظت لنا ما كتبه إلى العماد أبو شهاب ابن محمود الشذباني عن السمعاني قراءة عليه فانها حفظت أيضاً أخباراً ذات بال ، ومجموعة من الشعر تستغرق أكثر من خمس عشرة صفحة مرتبة على حروف الهجاء ـ تجدها عند القفطي أيضاً . وكان الباخرزي من مصادر العماد . ويعيد القفطي في «المحمدون» ما جاء في الخريدة دون أن ينص عليها . والنقل الحرفي يفضحه ، وكذلك السند ، يقول القفطي مثلا : روى لنا عنه أبو القاسم بن السمرقندي وأبو الحسن بن عبدالسلام الكاتب وأبو السعادات بن العطار وأبو سعد الزوزني ببغداد ومحمد بن القاسم بن المظفر القاضي بالموصل » . وما حدثه هؤلاء ولا كتبوا اليه وانما كتبه الشذباني عن السمعاني بالجامع القديم من كتابه . ويمكن أن يشمل هذا القول ما ذكره عن الدمية وعن خط ابن المارستانية وكتابه .

ويروي ابن الأثير متفرداً ج ٩ ص ٤٤٧ سن ٤٥٠ خبر هربه من الغز ، (وينظر ج ١٠ ص ٧٦ سن ٤٧٣) . وقد فات هؤلاء المؤرخين أن ينبهوا على

مكانته فى النحو وعلى تاريخ ميلاده مما حفظه لنا الحسامي عن ابن النجار ، اما تعاطي الحكمة فقد تهيأ له مصدر جديد هو ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٢٤٧ في الباب العاشر الذي عقده على « طبقات الأطباء العراقيين » وقد روى له نماذج من الشعر .

فاتت ابن خلكان فرصة ترجمة ابن شبل - وهو يعلم شهرته (ج ١ ص ٥٧٣ - ٤ فى الكلام على المقلد بن المسيب وولده قرواش ومادحيه) - فاتته وفاتتنا وإن كنا وجدنا مفردات الترجمة التي يعني بها ابن خلكان متفرقة عند غيره . ثم إن ابن شاكر قد استدرك ذلك فى « فواته » ٢ : ٢٤٤ : ٢٤٧ - دون أن يضيف جديداً ، وكذلك الصفدي في وافيه ج ٢ ص ١٠٨ على أن فى الوافى إشارة الى حفيده . وكان ابن أبي أصيبعة من مراجع الصفدي .

ومن مصادره أيضاً : ابن الشجري - الحماسة ص ١٨٥ - ٨٦ ، ٢٧٤ ؛ لباب ابن الأثير ٢ : ١٠ هارتمان ج ٦ ص ٨١٦ ، مجلة الآداب البيروتية في العدد الثاني والثالث من السنة الأولى .

حياته :

أبو علي محمد بن الحسين بن عبدالله بن أحمد بن يوسف بن الشبل[1] بن

---

(١) ابن الشبل، في المنتظم والخريدة (السمعاني وابن المارستانية) والقفطي (عن السمعاني ...) والفوات والوافي ؛ ابن شبل عند الباخرزي وغيره مثل ابن الأثير في الكامل وابن أبي أصيبعة . وجاء فى لباب ابن الأثير الشبلي ، نسبة الى الجد ، وفي البداية والنهاية الشبلي وابن الشبلي .

وعلى ان الاجماع أنه : ابن الحسين فان ناشر حماسة ابن الشجري فضل « الحسن » على الحسين وكذلك فعلت الوفيات ٢ : ٢٤٤ . وجاء في الوافي : « وزعم بعضهم انه الحسن بن عبيدالله » . ولا قيمة لرواية مجلة الآداب من =

أسامة [١] ، الشيخ الشاعر ، الحكيم .

« من أهل شارع دار الرقيق » [٢] ببغداد ، ولد في مدينة السلام عام ٤٠١ [٣] وبها نشأ [٤] . وقد درس وتعلم كثيراً من نواحي المعرفة في عصره من أدب وشعر وما اليهما ، وعدّ من شعراء زمانه وكبار نحاته ، وسمع الحديث وحدّث [٥] .

= انه : أبو محمد بن الحسين .

(١) الخريدة ، المحمدون

(٢) ابن الجوزي ، وتنظر الخريدة والمحمدون

(٣) ابن النجار في المستفاد

(٤) ينظر ابن أبي أصيبعة

(٥) قال ابن الجوزي : « سمع من احمد بن علي البلدي » ووردت في الوافي « ... الباذي » وفي « المحمدون » : « سمع غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام عن احمد بن علي الباد » ويصحح ذلك الدكتور مصطفى جواد بـ « البادا » معتمداً تاريخ الخطيب البغدادي ومما جاء في كتاب الخطيب ٤ : ٣٢٢ « أحمد بن علي بن الحسن ... بن طهمان أبو الحسن المعروف بابن البادا ... كان ثقة فاضلا من أهل القرآن والأدب ... ومنزله في درب يعقوب آخر شارع دار الرقيق ، ومات ... سنة ٤٢٠ » .

وجاء في لباب ابن الأثير « سمع الحديث من أبي الحسن بن المقتدر بالله وغيره » وفي « المحمدون » : « روى عن الأمير ابي محمد الحسن بن عيسى ابن المقتدر بالله حكايات . »

وقال ابن الجوزي : « روى لنا عنه اشياخنا » ، وجاء في الخريدة و « المحمدون » : « روى لنا عنه ابو القاسم السمرقندي وابو الحسن =

قال الباخرزي : « قصدت ... ببغداد ابن شبلها ... الخادر في قصبائها » « سنة خمس وخمسين واربعمائة فوجدته قد شد على الأدب الجزل أزرار ثيابه ، وجمع أقسام الفضل ملء اهابه » - ولا غرو فقد كان ابن شبل آنذاك قد نيف على الخمسين .

ولم يقف ابن شبل عند العلوم اللسانيه أو الشرعية ، وإنما تعداها إلى المنقولة حتى أصبح « حكيما فيلسوفا ، ومتكلما فاضلا » ، « قوي الاطلاع في العلوم الحكمية والأسرار الالهية » - وعد في الأطباء العراقيين [1] .

ولم يكن ابن شبل فيلسوفا محترفا حسب ، انما كانت قضايا الوجود الكبرى تشغل فكره ونفسه فكان يسائل « الفلك المدار » عن الجبر والاختيار والقضاء والقدر ويتساءل عن الاسباب التي يؤخذ بها البريء بجريرة غيره وما يمت الى ذلك مما ينتاب الانسان من حياة وموت وخوف وأمل وقناعة وطمع وهو في ذلك بين حيرة تأخذ به نحو التشاؤم ، والسخط على الخليقة ، والسخرية من نظام الكون مما يجعله قبيح العقيدة برأي المتدينين كابن الجوزي - وأحاطت بابن شبل ظروف أذكت من هذه « الفلسفة » ، مثل نهب الغز إياه عام ٤٥٠ هـ ومثل موت أخيه - وهو عزيز عليه .

وكانت لابن شبل ميزة أخرى - ليست مما يكتسب في كتاب أو إرادة ... عرف بها وأصبحت من لوازم ألقابه ، فقد كان « ظريفاً » من « ظراف بغداد » ، ومن كان كذلك تسابقت إليه المجالس والكؤوس فوجدت

= عبدالسلام الكاتب وابو السعادات بن العطار وابو سعد بن الزوزني بالموصل ، ومحمد بن القاسم بن المظفر القاضي بالموصل . « وتنظر الأنساب » و٣٢٩ ولباب ابن الأثير ٢ : ١٠

(١) ينظر ابن أبي أصيبعة ثم الوافي والوفيات .

فيه « النديم المطبوع »[١] . ولعله كان يغطي بظرفه تشاؤمه وينسى بخمره حيرته .

« مات ابن الشبل في يوم السبت ، العشرين من المحرم سنة ثلاث وسبعين واربعمائة »[٢] « ودفن في يوم الأحد ثانيه » « بمقبرة حرب في غربي بغداد[٣] . وخلف ديوانا ظل مشهوراً - دون أن يصل إلينا .

نعرف من نسله : سبطة محمد بن أحمد بن علي بن عبدالغفار ، وقد روى عن جده شيئاً من شعره . ومحمد هذا هو ابو عبدالرحمن بن الاخوة[٤]

خاتمة

ان القليل الذي وصل إلينا من شعر ابن الشبل يدل على موهبة وأصالة ، ويبدو فيه قريباً من أبي العلاء المعري . ولو وصل ديوانه لكان له شأن آخر .

---

(١) وأضاف « الوافي » انه كان « نظيفاً »

(٢) وشذّ ابن أبي أصيبعة إذ جعل وفاته عام ٤٧٤ . ولعل مجلة الآداب قد اعتمدته في اعتمادها هذا التأريخ . وفي لباب ابن الأثير : « وكانت وفاته سنة نيف وسبعين واربعمائة »

(٣) في هامش ص ٢٧ من تكملة إكمال الاكمال : ان باب حرب تقع ... شمال الكاظمية الغربي وفي مقبرة باب حرب أحمد بن حنبل وبشر الحافي وأبو بكر الخطيب ... وينظر هامش ص ٥ .

(٤) ينظر الانباه ٢ : ١٦٧ وهو يشير الى تلخيص ابن مكتوم .

الفصل الخامس

شعراء من المئة الخامسة ـ السادسة

(١) الغزي

مصادره :

يروى ديوانه ـ وهو مخطوط ـ شيئاً عن صلته بغزة وحلب وشيئاً عن اسفاره وصلاته . وبلغنا « صدر صالح » مما كتبه أبو سعد السمعاني في المذيل لتاريخ مدينة السلام ، وكان قد أدركه و « عايشه » في بلدة واحدة أيام إقامته في مرو ـ ولم يثبت انه اتصل به . ونقل الينا عنه : العماد وابن عساكر وابن الانباري : مولده ٤٤١ ، مرو ، ثناء ، ناطح التسعين وفاته عام ٥٢٤ . وكان طبيعياً أن يفتتح ابن عساكر ج ٢ ص ٢٢٩ ـ ٢٣١ للغزي صدر كتابه فيتحدث عن ميلاده ودراسته في الشام وبغداد وأسفاره . وخص ابن الانباري ص ٤٦٢ ـ ٤٦٤ الغزي ـ دون سائر شعراء عصره ـ بعناية خاصة وروى لنا مكانته في عصره ، وربما أفاد ابن الجوزي ج ١٠ ص ١٥ ـ ١٦ من النزهة . بينما يخصص العماد في خريدة الشام حوالي عشرين صفحة ٥٦ ـ ٧٥ يتكلم فيها على مولده بغزة ، تنقلاته ، ثناء ، خطبة ديوانه ، أرباحه ، شعره ، نماذج كثيرة ، رسالة إلى الطغرائي ، نقول عن السمعاني ؛ وفي خريدة العراق يرد ذكره عند الكلام على صدقة ؛ وفي خريدة بلاد العجم عند الكلام على مكرم بن العلاء .

وذكر عروضي ديوانه ص ١٣ . وفي معجم البلدان تنظر « غزّة » (وفيها عبارة من ابن الأنباري وجدناها من قبل عند ابن الجوزي) ؛ « الحلة »

وهي مما ورد في خريدة العراق . ويشبه ابن الأثير (ج ١٠ ص ٤٦٩ عام ٥٢٤) ابن الجوزي ويذكر بيتين في الزهد . وبقيت من ابن النجار فقر عن نسبه وشاعريته نجدها عند ابن خلكان . وتعيد المرآة (ج ٨ ص ٨١-٨٢ سن ٥٢٤) ما جاء عند ابن الجوزي وابن عساكر والعماد . وينقل ابن خلكان ج ١ ص ٢٤ - ٢٧ من ابن النجار ومن ابن عساكر والعماد ايضاً ، ويتكلم عن غزة مطيلا . وفى الجزء نفسه (على الصفحة ٨٥) مقارنة شعرية ، وفي ج ٢ ص ٥٧٠ - ٥٧١ زيارته لمكرم .

ثم : ابن الوردي ج ٢ ص ٣٦ - إبن كثير ج ١١ ص ٢٠١ - اليافعي ج ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣٢ - الحنبــلي ج ص ٦٨ ؛ حاج خليفة ج ١ ص ٧٦٣ ؛ العباسي ص ١ ، الصفدي في شرح لامية العجم .

وبروكلمان ج ١ ص ٢٩٤ ؛ وتكملته ج ١ ص ٤٤٨ ؛ هيار ص ١١٠ - ١١١ ، زيدان ج ٣ ص ٦٨ ، الأثري في مجلة الزهراء م ٣ ص ٢٢٨ - ٢٤٢ ، عزام في « الرسالة » العدد ٨١٧ ، ممدوح حقي فى كتابه عن « الابيوردي » ، الحسيني : هل الأدباء بشر ؟ ص ٣٠ ، كحالة في معجم المؤلفين ج ١ ص ٥٧ ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، (ديوان الغزي المخطوط ، بقلم محمد راغب الطباخ) ، مختارات البارودي .

حياته :

أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن عباس بن محمد بن عمر بن عبدالله الأشهبي الكلبي الغزي[١] ، ولد في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة بغزة بفلسطين[٢]

---

(١) النسب الكامل عن ابن خلكان عن ابن النجار . ويظهر أن عدداً من المؤرخين كان يختصر فى سلسلة النسب . وتفرد ابن خلكان بأن جعله « ابراهيم بن يحى ... » . ووردت الأشهبي عند ابن النجار وابن خلكان وبلدان ياقوت . (٢) باجماع الرواة .

من الشام[١] ، وبها نشأ ثم أقام بحلب مدة[٢] ثم « دخل الشام » سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وسمع الحديث فيها[٣] .

ثم « رحل إلى بغداد » و « أقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة » « ومدح ورثى غير واحد من المدرسين بها وغيرهم »، ومن هؤلاء أبو الحسن علي بن محمد... المعروف بالكيا الهراسي، وكان الغزي في خدمته، فلما توفي سنة ٥٠٤ رثاه ارتجالا:

... من فاز منه بتعليق فقد علقت يمينه بشهاب ليس ينكدر[٤]

وفي غضون إقامة الغزي في بغداد دخل الحلة فلم يحمدها[٥] ، وفرح كثيراً حين بلغه خبر مقتل صدقه[٦] .

ثم ترك بغداد :

ولو سمحت أرض العراق بمُسكة ترفهت عن «جي» وأكل قديدها[٧]

و « رحل إلى خراسان[٨] » « فدخلها[٩] » . وامتدح بها جماعة من رؤسائها ، وانتشر شعره هناك[١٠] ؛ وقد « جاب البلاد وتغرب وأكثر النقل والحركة وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان ولقي الناس ومدح ناصر الدين

---

(١) العماد وابن الأثير .

(٢) ديوانه .

(٣) ابن عساكر . وعنه ابن خلكان « سمعه على الفقيه نصر المقدسي » .

(٤) ابن عساكر وينظر ابن خلكان .

(٥) العماد ، معجم البلدان ، ديوانه .

(٦) ابن خلكان ، وينظر ابن عساكر. ديوانه . ديوان الأبيوردي .

(٧) خريدة الشام ص ٢٦ .

(٨) العماد ، ابن خلكان .

(٩) ابن عساكر .

(١٠) ابن عساكر وعنه ابن خلكان .

مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية التي يقول فيها - ولقد أبدع فيه :

حملنا من الأيام ما لا نطيقه كما حمل العظم الكسير العصائبا ... [١]

وأقام مدة في أصفهان « في دار الشاب أبي المحاسن بن فضلويه »[٢] « وزار فارس وخوزستان »[٣] .

وأقام مدة في كنف الوزير الأجل بهاء الدين رشيد الدولة كريم الملك تاج الحضرتين ، يمدحه ويستجيب له في جمع « فقر شعره »[٤] .

لقد « سافر - الغزي - الدنيا »[٥] وسئمها وسئم الشعر فقد « ترك قول الشعر وغسل كثيراً منه »[٦] لأنه لم يجد الباعث ولم يتحقق الربح ، سئم « وقد كبر وضعف » :

طول حياة ما لها طائل نغص عندي كل ما يشتهى

أصبحت مثل الطفل فى ضعفه تناسب المبدأ والمنتهى

فلا تلم سمعي إذا خانني « إن الثمانين وبُلغتها »[٦]

لقد امسى « شيخاً كبيراً مسناً . »[٧] وحين خرج من مرو إلى بلخ أدركته المنية[٨] . « ونقل عنه انه كان يقول لما حضرته الوفاة : أرجو أن يغفر الله لي

---

(١) ابن خلكان عن العماد .

(٢) العماد ، خريدة الشام ص ٧٤ . وقد تكون «الشاب» تحريفاً للشهاب .

(٣) « « « ص ٣ .

(٤) مقدمة ديوان الغزي .

(٥) معجم البلدان .

(٦) ينظر ابن الوردي وخريدة الشام ص ٣٥ .

(٧) العماد عن مذيل السمعاني ، ص ٣٢ .

(٨) السمعاني وعنه ابن الانباري وينظر ابن الجوزي .

لثلاثة أشياء : لأني من بلد الامام الشافعي ولاني شيخ كبير ولاني غريب »[١] لقد جاوز الثمانين ومات « في ذلك الطريق » عام ٥٢٤ هـ و « حمـل إلى بلخ ودفن فيها » .

ديوانه :

قال الغزي: « ...قد كنت في عنفوان الصبا ألم بـ [الشعر] الماع الصبا بخزام الربى ،وانظمه في غرض أستدعيه لأذن تعيه » .فلما دفعت إلى مضايق الغربة جعلته وسيلة تستحلب اخلاف الشيم »[٢] . ولم يصل الينا شعره الأول ، وفقدمن الثاني كثير وقد أحرق هو نفسه منه مقداراً . ولم يحفظ منه إلا ما أجاب بهملتمس مخدومه رشيد الدولة الى جمع فقر من شعره ليروض نفسه بحفظها وتأمل معانيها ولفظها[١] . ومخطوطات هذا المجموع موفورة ، منها نسخة في دار الـكتب المصرية وأخري في باريس[٣] وهي تقع في ٥٠٠٠ بيت (وليس ١٠٠٠ كما جاء في وفيات ابن خلـكان) . ومر معنا كيف ان ناشري ديوان الأبيوردي حشروا مقداراً كبيراً من شعر هذا المجموع على انه للأبيوردي .

ويروي السمعاني ان الغزي « كان ضنيناً بشعره ، ما كان يملي منه إلا القليل » ويروي أنه : « ورد علينا « مرو » وكان نازلا في المدرسة النظامية ، إلى أن

---

(١) ابن خلـكان . ووردت عند غير ابن خلـكان على اختلاف يسير ، ينظر العماد وابن الجوزي وابن الانباري وابن عساكر. وأهم ما في الاختلاف، التاريخ كأن يذكر جاوزت السبعين أو الثمانين أو التسعين والمعقول أن يكون الثمانين لأننا نعرف تاريخ ميلاد الشاعر وتاريخ وفاته باجماع المؤرخين . وترد الشافعي : المطلبي ، وهو محمد بن إدريس وبلده غزة .

(٢) مقدمة مخطوطة ديوانه

(٣) ينظر « هل الأدباء بشر »

والجزء الاول من خريدة العراق المطبوعة .

اتفق له الخروج من مرو إلى بلخ ، فباع قريباً من عشرة ارطال من مسوّدات شعره بخطه من بعض القلانسيين ليفسدها، فحضر بعض اصدقائي وزاد على ما اشتراه شيئاً وحملها في الحال إليّ » ، فطالعتها فرأيت شعراً دهشت من حسنه وجودة صفته ، فبيضت من شعره أكثر من خمسة آلاف بيت ، وبقي منه شيء كثير . وبقية شعره الذي كان معه اشتراه بعض اليمنيين واحترق ببلخ مع كتيبات له . »[١] .

وروى العماد في خريدة الشام كثيراً من شعر الغزي (ص ٣ ـ ٧٥) وقال : « سمعت أكثر أشعاره من جماعة الفضلاء كابن كاهويه وابن فضلون وسيدنا عبدالرحمن ابن الاخوة وغيرهم[٢] .

خاتمة

كان طبيعياً أن يثني على الغزي ابن عساكر والعماد وغيرهما .

ولم يبالغ كثيراً من قال إنه « شاعر محسن »[٣] وانه « من... المجيدين »[٤] وكان « له خاطر مستحسن وشعر مليح »[٥] . أما انه « مشهور »[٦] فذلك ثابت في عصره وبعد عصره ، ولأمر ما أحب النقاد قصيدته التي يصف بها الأتراك :

في فتية من جيوش الترك ما تركت　　للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا

فهذا ذوق العصور منذ بداية انحطاطها . والجناس فن الغزي البارز ، وربما ميزه عن كبار شعراء عصره فهو أكثر استعمالا له من الأبيوردي مثلا ، هذا صحيح، اما ان الغزي « كان يضرب به المثل في صناعة الشعر » وان ابا الفتح محمد بن ابراهيم الطبري

---

(١) برواية العماد ـ خريدة الشام ص ٣٢

(٢) خريدة الشام ص ٧

(٣) ابن عساكر　　(٤) ابن الأثير

(٥) ابن الجوزي　　(٦) ابن خلكان

الأديب كان يقول غير مرة فى المذاكرة ، اذا استحسن شيئاً من شعر نفسه ، هذا يشبه شعر الغزي » فللطبري ولسواه أن يضربوا بالغزي الأمثال ولكنهم لا يستطيعون أن يقنعونا بأنه « شيء » يذكر الى جوار الكبار من سابقية أو أنه مما يمكن أن يضرب به المثل في عصرنا الحاضر - وقد أرتقت الأذواق -

كان زمام اطراء الغزي يفلت من يد « النقاد » حتى قال العماد ، « انه » أتى بكل معنى مخترع ونظم مبتدع ، وحكمة محكمة الفسج ، وفقرة واضحة النهج ، وكلام أحلى من منطق الحسناء ، وأعلى من منطق الجوزاء فكم له من قصائد كالفرائد ، وقلائد كعقود الخرائد ، وغرر حسان ودرر وجمان » ، والعماد معذور - على كل حال ولا سيما اذا علمنا ان الدكتور عبدالوهاب عزام يعد الغزي « من كبار شعراء العرب » .

انك مهما ترفع الغزي لا تكاد تبلغ به الدرجة الثانية وانه هو نفسه لعالم بأنه بعيد عن أن يلحق بالوليد وأبي تمام وأبي الطيب ، بل إنه لا يستطيع أن يبلغ مبلغ الطغرائي والأبيوردي من أبناء عصره - وان قرنه السمعاني بهما .

ثم إن « عزاما » يرى أن الغزي « وقور في شعره حكيم يصوغ الحكم والمواعظ ويضرب أمثالا من تجاربه وما لقى من غير الزمان وهو في هذا الفن يبلغ درجة عالية يمتاز فيها ، وهو مهما يفتن في ضروب الشعر لا يستطع إخفاء نزعة الزهد ... » وتلك أشياء إن وجدت فهي أضعف ما في ديوان الغزي .

ان الغزي في حياته وفى شعره مثل المستجدي الوضيع ، يتنقل من ممدوح لممدوح يعرض بصناعته بأرخص الأثمان ، وربما كان عصره المسؤول الأول عن ذلك ، وليكن ، ولكن أين الوقار والحكمة ، وأين الافتنان العالي الممتاز ؟ وأخيراً أنى له الزهد ؟ وأين ؟ نعم لقد شكا ببيت أو بيتين أو ثلاثة ، والشكوى غير الزهد ، ولعلها دليل الطمع أحياناً ، لقد تكلم عزام وكأنه يتكلم على شاعر اكبر من الغزي بكثير وربما كان المسؤول في ذلك حرصه على الدعوة إلى العناية بالغزي والاقبال على ذكره .

(٢) البارع

مصادره :

كان ابن الجوزي من تلاميذ البارع في الحديث ، وقد نص على ذلك في المنتظم وتكلم ١٠ : ١٦ - ١٨ على : نسبه ، أخيه ، علومه ، الولادة ، العمر ، الوفاة ؛ وذكر انموذجين من غزله التقليدي - وينظر كذلك ٨ : ٣٠١ . وتعنى الخريدة بالبارع ج ١ مخ . باريس و٣٤ ب - ٣٦ أ وتذكر نسبه وبيته ومكانته من النحو ، وديوانه وأخريات أيامه (ولم ترد له ترجمة في مخطوطة ليدن) . وفى الارشاد ٦ : ٢٢٨ أخبار مهمة ، وكأن ابن خلكان اقتبس منه ، أو انه وياقوتا نهلا من منبع واحد ، فقد تحدثا عن سخفه وصلته بابن الهبارية . ولعل ابن الاثير ١٠ : ٤٦٩ سن ٥٧٤ قد ألم بابن الجوزي . ولا يستغنى عن الوفيات ١ : ٢٨٢ - ٢٨٤ ففيه نسبه الكامل وصلة بيته بالوزارة ، وحجه ، وينظر ٢ : ٣٨٨ (محمد ... بن الهبارية)

ثم : المستفاد ، المرآة ج ٨ سن ٥٢٤ ؛ ابن جماعة و٧٦ ب - ٧٧ أ ، القفطي في الانباه ١ : ٣٢٨ - ٣٩٠ ، وينظر عن أخيه لأمه ٣ : ٧٢٥٦ ؛ ويلخص السيوطي في البغية الارشاد دون أن يشير إليه ، ويذكر من مصادره ابن النجار والصفدي ، وينقل روضات الجنات ص ٢٤٨ عن بحار الأنوار دون أن يضيف جديدا .

حياته :

أبو عبدالله الحسين بن محمد بن عبدالوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيدالله بن القاسم بن عبدالله بن سليمان بن وهب الحارثي بن كعب بن عمرو البكري ، يعرف بالبارع والبدري والدباس والبغدادي ، وبيته بيت

« السؤدد وكرم المحتد » غني بالوزراء ، لأن عبيدالله كان وزير المعتضد ، والقاسم وزير المعتضد والمكتفى ، وسليمان بن وهب وزير المهتدي والمعتمد .

كانت ولادة « الحسين » فى العاشر من صفر سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ببغداد ، ومن هنا جاء لقب البغدادي ، أما البدري فنسبة إلى البدرية ، وهي احدى المحال الشرقية مما يلي دار الخلافة والشط[١] ، كان يسكنها ، ولعلها كانت مسكن أبيه أيضاً ، اما عن الدباس فيقول ابن خلكان انها تقال لمن يعمل الدبس أو يبيعه ، ولم يشر الى صلة هذا بالشاعر .

درس الحسين علوم العربية ، وقرأ القرآن بالقراءات علي أبي بكر الخياط وأبي علي بن البناء ، وسمع من القاضي أبي يعلي بن الفراء الموصلي وابن المسلمة وأبي بكر الخياط وغيرهم ، وصنف له ابو محمد المقريء - أحد شيوخ ابن الجوزي - كتابا يتضمن الخلاف .

وللحسين مصنفات حسان فى القراءات ، وأقرأ خلقا كثيراً منهم أبو جعفر عبدالله بن أحمد بن جعفر الواسطي المقريء الضرير . وحدث ، وسمع منه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي (وكتب له إجازة) ، كما سمع الحافظ أبو القاسم بن عساكر وأبو عبدالله الحسيني بن علي بن مهجل الضرير الباقدرائي[٢] . هذا الى أنه كان لغويا نحويا معدودا فى زمانه ، فاضلا ، عارفاً بصنوف الآداب ، حتى قال عنه العماد إنه : « عديم النظر في أوانه » وقال القفطي : « أفاد عالماً »[٣]

---

(١) الانباه . ويقول الدكتور مصطفى جواد : انها تقع في جنوبي المدرسة المرجانية . (٢) أكثر من عني بخبر تعلم البارع وتعليمه ابن الجوزي وياقوت . (٣) والبارع هو أخ أبي الكرم - المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب النحوي - لأمه . وقد ولد المبارك عام ٤٣١ (؟) وتوفي عام ٥٠٠ ، ينظر عنه المنتظم والانباه والارشاد وبغية الوعاة .

و « كانت بين البارع وبين الشريف أبي يعلى بن الهبارية الأديب الشاعر مداعبات لطيفة ، فانهما كانا رفيقين ومتحدين في الصحبة منذ نشآ . » وقد رأينا شيئاً من ذلك ورأينا العتاب المتبادل بينهما بعد عودة البارع من الحج [١] .

ويكاد يكون هذا كل ما نعرفه من شؤون حياته . ولا نعرف بعدها إلا أنه أسن وعاش زهاء ثمانين عاما ، وأضر آخر عمره ، وتوفي صبيحة يوم الثلاثاء سابع عشر جمادي الآخرة ـ وقيل الأولى ـ من سنة ٥٢٤ هـ ودفن بباب حرب [٢] في غربي بغداد ، شمالي الكاظمية [٣] .

خاتمة :

في الأخبار أن شعر البارع كثير وأن له ديوانا ، وقد حكم له ابن الجوزي وابن الاثير بالملاحة ، وياقوت وابن خلكان بالجودة ، ولا يبعد أن يكون ذلك صحيحا ، وليس لنا حق المناقشة لأن الشعر الذي وصل إلينا نزر ، على أننا نحس المبالغة عندما نقرأ السيوطي ينقل عن ابن النجار بأن للبارع شعراً في الغاية .

ومن يعلم مكانة البارع من القراءة والحديث لا يمكن أن ينتظر له مكاناً في السخف ، ولكن الذي حدث انه بلغ منه منزلة « سامية » . والسخف اذا صدر من « متدين » بدا أقوى وأوقع .

---

(١) عند دراستنا لابن الهبارية في الفصل الثالث من هذا الباب ، ص ١٢٨ .

(٢) وقد دفن في هذه المقبرة ابن شبل ـ كما رأينا ـ والحظيري ـ كما سنرى .

(٣) هامش ص ٢٧ من تكملة إكمال الاكمال . وينظر هامش ص ٥ .

(٣) ابن أفلح

مصادره :

يفيدنا « الأنساب » بكلامه على « عبس » ، بينما يثني ابن الجوزي (عام ٥٣٥ ج ١٠ ص ٨٠-٨٤) على الشاعر ولكنه لم يرتض جرأته على الهجو. ويفصل حديث الدور التي أعطاها إياه المسترشد وأضاعها عليه تجسسه لدبيس - وقد رأى ابن الجوزي انقاضها. ثم يذكر ابن الجوزي نماذج من شعره مع رسالة من نثره. وينظر عام ٥١٧ ج ٩ ص ٢٤٣ . اما العماد فيستشهد « في النصرة » بهجائه و ٩٥ أ ، ٩٧ أ ؛ وبمديحه و ١١١ أ ، ١١٢ ب ويذكر في « الخريدة » مخ . ليدن ١٥٨ - ١٥٩ صلته بالحلة وبغداد ويثنى على شعره ويورد نماذج منه - كان العماد في الخامسة عشرة حين رأى ابن أفلح عام ٥٣٤ ، وكان الشاعر قد عرف أباه ومدح عمه . أما مخ . باريس فمختصر ، ويقرأ فيه « أبو الفرج ابن التلميذ » .

يوجز ابن الأثير ج ١٠ ص ٥٣٥ سن ٥١٧ خبر هدم الدار مع شبه بحديث ابن الجوزي، أما عن وفاته فينظر ج ١١ ص ٥٣ سن ٥٣٥ . وينتقد ضياء الدين ابن الأثير المتوفى ٦٣٧ في « مثله السائر » (ص ٢٠٩ من طبعة بولاق سنة ١٢٨٢) كتاب ابن أفلح في الفصاحة . ويروى ابن الدبيثي ص ١١٨ عن المؤرخ المحدث عمر القرشي أن الحظيري كان صديقه . ويعيد سبط ابن الجوزي ج ٨ ما قاله جده ويزيد عليه صداقة الحظيري . ويحدد المستفاد تأريخ ميلاده ، وفي ابن خلكان ج ٢ ص ٥٩ - ٥٣ ترجمة مهمة فيها ... ديوانه ، وفاته ، تحديد عمره وفى ج ١ ص ٤١٠ كتابته لدبيس الأول (؟) ؛ وفي ص ١٦٦ إنكاره على الحريري مقاماته .

وينظر : القفطي ، « المحمدون » ص ٣٤٣ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٧ - ؛ البارزي و ٦٨ ب .

بروكلمان ج ١ ص ٤٤ ؛ ديخويه وهوتسما في فهرس مكتبة ليدن ط ٢ سن ١٨٨٨ ص ٤٧٦ - ٤٨٠ ؛ هارتمان ج ٦ ص ٨٧٠ ؛ مصطفى جواد ، مجلة الغري سن ٧ ، العدد ١ ، ٢ .

حياته :

جمال الملك أبو القاسم علي بن أفلح العبسي الشاعر الكاتب البغدادي - « من أهل بغداد [١] » انتقل اليها من الحلة [٢] . ولد في العشرة السابعة أو الثامنة من المائة الخامسة [٣] . وبما أن الحلة السيفية تأسست عام ٤٩٥ فلا يمكن أن يؤخذ قول العماد ان « أصله من الحلة السيفية » على خصوص اللفظ - إذا كان لابد من أخذه [٤] . والذي لاشك فيه ان ابن أفلح كان على اتصال ببني مزيد منذ « شبيبته » [٥] وكان يشتغل لهم في الكتابة [٦] .

قصد بغداد ، و « تقدم عند المسترشد » [٧] ولقبه جمال الملك « وأكرمه

---

(١) الخريدة . (٢) الخريدة .

(٣) جاء في المستفاد أنه ولد عام ٤٦٣ ، ولكن البارزي في مختصر « وفيات الأعيان » يجعل عمره ٦٤ سنة ووفاته عام ٥٣٨ وعلى هذا يكون ميلاده عام ٤٧٤ .

(٤) لعل المقصود به ، النسبه إلى الجامعين أي الحلة قبل أن تصبح حلة ، أو النسبة إلى احدى حلل النيل وقراها انتقل منها إلى الحلة بعد تمصيرها .

(٥) ابن خلكان ح ١ ص ٤١٠ (ترجمة صدقه) .

(٦) يفهم من كلام ابن خلكان ١٠ ص ٤١٠ أنه كان كاتباً بين يدي دبيس [الأول] ، وهذا ما لا يمكن أن يصح ، - وابن خلكان - يعلم أن دبيساً هذا قد توفي سنة ثلاث وقيل أربع وسبعين وأربعمائة .

(٧) المرآة - وما بعده عن المنتظم .

وخلع عليه » وأعطاه أربعة آدر في درب الشاكرية وكان هو قد اشترى دوراً الى جانبها فهدم الكل وأنشأ داراً كبيرة ، وأعطاه الخليفة خمسمائة دينار وأطلق له مائة جذع ومائة ألف آجرة وأجرى له ادراراً في كل سنة » . وكان طولها ستين ذراعاً في أربعين وقد اجريت بالذهب وعملت فيها الصور وفيها الحمام العجيب فيه بيت مستراح فيه بيشون إن فركه الانسان يميناً خرج الماء حاراً ، وإن فركه شمالاً خرج بارداً . وكان على أبواب الدار مكتوباً :

إن عجب الزوار من ظاهري … فباطني - لو علموا - أعجب[1]
شيدني من كفه مزنة … يحمل منها العارض الصيب
ودبجت روضة أخلاقه … في رياضاً نورها مذهب
صدر كسا صدري من نوره … شمسا على الأيام لا تغرب

وكان على الطرز مكتوبا[2] :

ومن المروءة للفتى … ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها … وأعمل لدار الآخره
هاتيك وافية بما … وعدت وهذى ساحره

وكان على الحيري مكتوبا :

وناد كأن جنان الخلود … أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما … ن ان لا تلم به موثقا
فأضحى يتيه على كل ما … بنى مغربا كان أو مشرقا
تظل الوفود به عكفاً … وتمسي الضيوف له طرقاً
بقيت له يا جمال الملو … ك والفضل مهما أردت البقا
وسالمة فيك ريب الزما … ن ووقيت منه الذي يتقى

---

(١) جاءت « الزوار » في المرآة على : « الرّاؤون » ..

(٢) الطرز ، هكذا وردت في المنتظم ويقول الدكتور مصطفى جواد « لعله الطزر بتقديم الزاي » .

ثم ظهر أنه عين لدبيس . وسبب ظهور ذلك عليه ، أنه كان في المسجد الذي يحاذي دار السماك رجل يقال له مكي يصلي بالناس ويقرىء القرآن ، فكان إذا جاء رسول دبيس أقام عند ذلك الامام بزي الفقراء فأطلع على ذلك بواب ابن أفلح . وأتفق أن ابن أفلح غضب على بوابه فضربه فاستشفع بالناس عليه فلم يرده ، فمضى وأطلع صاحب الشرطة على ذلك فكبس المسجد وأخذ الجاسوس وهرب ابن أفلح وإمام المسجد ، وأمر المسترشد بنقض داره وكان قد غرم عليها ألف دينار . »[١]

نقضت ، وكان ذلك في محرم سنة ٥١٧ [٢] - وهو الشهر الذي انتصر المسترشد في حرب مع دبيس - « ثم ظهر أن ابن افلح مضى الى تكريت » « فاستجار ببهرز الخادم » « وأقام عنده » ثم آل الأمر أن شفع فيه ، فعفا الخليفة عنه [٣] .

عاش ابن افلح بعد ذلك زهاء عشرين عاماً ، فقد توفي ببغداد ، يوم الخميس ثاني شعبان سنة خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وثلاثين وخمسمائة ، ودفن في الجانب الغربي بمقابر قريش [٤] ، والراجح في تاريخ وفاته : هو ثاني شعبان سنة ٥٣٥ . وورد أن عمره أربع وستون سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً [٥] .

---

(١) المنتظم ، وتنظر المرآة

(٢) المنتظم وينظر ابن الأثير عام ٥١٧ (٣) المنتظم والمرآة

(٤) يقول الدكتور مصطفى جواد في هامش (ص ٥) من تكملة إكمال الاكمال : ان مقابر قريش هي بلدة الكاظمية الحالية ، وينقل عن ياقوت ان « ... مقابر قريش ببغداد وهي مقابر باب التبن التي فيها قبر موسى الكاظم .. » « وعليها سور بين الحربية ومقبرة احمد بن حنبل والحريم الطاهري ... »

(٥) « الوفيات » خاصة

آثاره :

(١) - ابن افلح « كاتب ومترسل بليغ »[١] . ووصلت إلينا من رسائله رسالة كتبها إلى ابي الحسن ابن التلميذ : « اطال الله بقاء سيدنا . . . وبعد فاني اذكر عهد التزاور ذكر الهائم الولوع ، وأحن إلى عصر التجاور حنين الهائم الى الشروع :

إني وحقك منذ ارتحلت نهاري حنين وليلي أنين . . .[٢]

(٢) - وجاء في كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين أبي الفتح نصر الله ابن محمد . . ابن الأثير المتوفي عام ٦٣٧

« وقفت على كتاب يقال له مقدمة ابن افلح البغدادي ، وقد قصرها على تفصيل أقسام الفصاحة والبلاغة ، وللعراقيين بها عناية وهم واصفون لها ومكبون عليها . ولما تأملتها وجدتها قشوراً لا لب لها . »

وهذا كل ما نعرف .

(٣) - قال ابن خلكان : رأيت ديوانه فى مجلد وسط . . . قد جمعه بنفسه وعمل له خطبة وقفاه وذكر عدد ما فى كل قافية من بيت واعتنى بأمره وهذبه » . ولم يزد حاج خليفة على أن أعاد قول ابن خلكان موهما بأنه رآه .

وفي مكتبة جامعة ليدن بهولنده مخطوطة كتب عليها « ديوان ابن افلح هو أبو القاسم العبسي » وقد رأيته ، ولا يمكن أن يكون ديوان علي بن افلح ولا من عصره . . . وقد برهن فهرس المكتبة على ذلك ، ومن أبسط براهينه أنه لا يتفق مع وصف ابن خلكان ثم الاسلوب والروح السائد . . . هذا إلى ان فيه من الشعر ما يرجع الى القرن العاشر للهجرة .

---

(١) المستفاد .

(٢) ابن الجوزي .

خاتمة :

يروي المؤرخون أن ابن أفلح كان مشهوراً [١] ، حسن المديح ، مدح الخلفاء ومن دونهم من أرباب المراتب وجاب البلاد ولقي رؤساءها وأكابرها .

ومن النماذج التي وصلت إلينا نرى له نسيباً سليم اللغة ينهج فيه نهج الشريف ومهيار ويدّعي العلم بالهوى ؛ ونرى له غزلا غلامياً ساقه في « غلام ناقص الجمال » وآخر أعرج ، ولعل مرد ذلك أو مرد بعضه إلى الظرافة التي هي من أخلاق الشاعر ؛ ونرى له هجاءاً « في بعض الرؤساء » من عمداء ووزراء . ويظهر أن الهجاء أبرز ما فيه ، فقد كان شديده ، كثيره ، وكان « متجرئا مرهوب الشبا حديد السنان ... بذيء اللسان قل من أحسن إليه إلا جازاه بالقبيح وجازاه بالذم الصريح [٢] » . ولكن هجاءه هذا لم ينجه من لسان الآخرين فمن شاتم « وجهه المشوه الأسود الذي قد من رحى » ومن شاتم بأشياء أخرى [٣] .

---

(١) ابن خلكان وابن الأثير .   (٢) الخريدة .

(٣) تنظر الخريدة . - وينظر عن ابن أفلح ما كتبه الدكتور مصطفى جواد في السنة السابعة والثامنة من مجلة الغري .

(٤) الأرجاني

مصادره :

في ديوانه نصوص عن أصله وبلده وشيء عن حالته المالية وظروفه المختلفة وأسفاره، تنظر مثلاً ص: ٦٤، ١٦٠، ٢٠٨، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٥٨، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٨١، ٣٠٨، ٣٢٤، ٣٨٣، ٣٩٩ . والسمعاني ممن أدركه بل تلمذ له، وهو الذي ضبط النسبة بفتح الألف وسكون الراء ثم أورد - في الأنساب و ٢٤ أ - أخباراً موجزة عن حياته ونسبه لأمه ودراسته . وتفرد بجعل تاريخ الوفاة عام ٥٤٠ وذلك عجيب ولا يمكن أن نقره ازاء إجماع الآخرين على الـ ٥٤٤. ويمدح ابن الجوزي الأرجاني فى المنتظم ١٠ : ١٣٩ - ١٤٠ سن ٥٤٤ ويختار له ويذكره على انه قاض .. ورد بغداد أيام المستظهر. ويذكره العماد أكثر من مرة وهو يتكلم على شخصيات « النصرة و ٢٠٧ أ، ٢٠٨، ٢١٤ أ، ٢١٥، ٢٢٠ ولم يغفل البنداري هذه الاشارات . اما فى الخريدة (مجلد بلاد العجم) فمكانه واسع جداً، ومكان المختارات واسع أيضاً ثم إن العماد يؤرخ أوائل أشعاره ونجد أكثر هذا في مخطوطة أكسفورد وليدن المتتامتين - دون أن تستوعبانه . وربما كان فى الموجود من الخريدة في مكتبة القرويين ما يكملها . كما يرد ذكره عند الكلام على الغزي في خريدة الشام . - وقد رأى العماد ولد الشاعر .

ولم ترد له ترجمة فى المطبوع من مرآة الزمان . ولا يستغنى عن ترجمة ابن خلكان ١ : ٨٣ - ٨٥ لأنه ينقل فى كتابه عن الخريدة من الأخبار ما لم تصل الينا . ويضيف البارزي في مختصر الوفيات أن العماد كان تلميذ الارجاني وهذا ما لم يدعه العماد نفسه .

وينظر : معجم البلدان فى أرجان (يعين تاريخ ميلاده) ؛ ابن الأثير ١١ : ٩٦ - ٩٧ سن ٥٤٤ ؛ السبكي ٤ ؛ ابن الطقطقى ٣٥٤ ؛ أبو الفدا ٣ : ٢٣ ؛

ابن الوردي ٢ : ٤٩ ؛ العبر ٢ و ٧٠ ب ؛ ابن كثير ١١ : ٢٢٦ - ٧ ؛ اليافعي ٣ ؛ حاج خليفة ٢ : ٧٧٠ ؛ الحنبلي ٤ : ١٣٧ - ٨ ، ابن تغري بردي ٥ : ٢٨٥ (... القاضي ... الأديب العلامة ...)

بروكلمان ١ : ٢٩٤ ؛ تكملته ١ : ٤٤٨ ؛ هيار ١١١ ؛ زيدان ٣ : ٢٩ ، مخطوطات الموصل ١٥١ ، كحالة ٢ : ٩٢ (ومن مصادره المخطوطة : الأسنوي : طبقات الشافعية . ومن المطبوعة يذكر : خيري النشواتي : الوصف عند الأرجاني) .

حياته :

« القاضي الامام »(١) أبو بكر ناصح الدين أحمد بن محمد بن الحسين . « من العرب محتده ، وسلفه القديم من الأنصار ... أوسي الأس خزرجيه ... » « مولده في العجم » ، « سنة ستين وأربعمائة » أو « حدودها(٢) » . « ومنبت شجرته أرجان (٣) » وهي « بلد صغير » من أعمال تستر ومن « كور الأهواز

---

(١) الخريدة مخ . أكسفورد وكذا كل خبر يأتي في الترجمة بين قوسين من غير نص .

(٢) معجم البلدان .

(٣) قال السمعاني في الأنساب و ٢٤ « بفتح الألف وسكون الراء وفتح الجيم » وقال ابن خلكان : « بفتح الهمزة وتشديد الراء المهملة وفتح الجيم ... وأكثر الناس يقولون إنها بالراء المخففة ، واستعملها المتنبي في شعره مخففة :

أرجان أيتها الجياد فانه عزمي الذي يذر الوشيج مكسرا

وحكاها الجوهري في الصحاح والحازمي في كتابه الذي سماه « ما اتفق لفظه وافترق مسماه » بتشديد الراء . وروى ياقوت الوجهين . اما اليافعي - وهو ليس حجة فى الموضوع - فبفتح الهمزة وكسر الراء مع خلاف فى تشديدها وتخفيفها .

من بلاد خُوزستان - الأقليم المتسع بين البصرة وفارس ، و« موطن أسرته تستر وعسكر مكرم من خوزستان » أيضاً . كان « جده من قبل أمه - أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن ماسك الأرجاني أحد المشايخ المشهورين بالزهد والورع ودقائق الحقائق ... توفي عام ٤٠٠ أو في حدودها » .

كان « أحمد » في « عنفوان عمره بالمدرسة النظامية بأصفهان متفقها » و « سمع الحديث بأصفهان من أبي بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن ماجه الأبهري[١] ، « وبكرمان من الشريف أبي يعلى ابن الهبارية[٢] » . وكتب إلى السمعاني « الاجازة بجميع مسموعاته ومقولاته[٣] » .

ثم « غلب عليه الشعر » ، « وشعره من آخر عهد نظام الملك وهو عام ٤٨٦ » وكان يجيد الفارسية ويقرأ بها الأشعار وربما ترجم منها عدداً من الرباعيات[٣] . ولم تمنعه غلبة الأدب من مزاولة القضاء مدة حياته . فقد « كان ينوب في القضاء ببلاد خوزستان : تارة بستر وتارة بعسكر مكرم ؛ مرة عن قاضيها ناصر الدين أبي محمد عبدالقاهر بن محمد ، ومن بعده عن عماد الدين أبي العلاء رجاء ..[٤] » ولم يكن في هذه النيابة - التي لم يرضها - بمنجى من المنازعين[٥] أو الكاشحين الذين يفلحون في دسائسهم - أحياناً ، ولكنه كان يستعين عليهم بأولي السلطان[٦] فيهرع يمدح من بيدهم مصائره « كأقضى القضاة

(١) الأنساب ، ابن الجوزي ، الحنبلي .

(٢) السبكي .

(٣) الأنساب .

(٣) تنظر الخريدة مخ . ليدن حرف العين .

(٤) ابن خلكان ... « ومن ديوانه نقلت » .

(٥) ديوانه ص ٥٣ .

(٦) الديوان ص ٢١٢ - ٢١٣ .

ناصر الدين » إذ أعلن تستره بظله عن ريب الزمان واستعطفه :

لعل لعاً إن قلت يرجع ناهضاً ... باقبالك الجـد الذي هو عاثر
وإن معاشي في بقية عيشتي ... عليك فلا تشغلك عني المعاذر

* * *

وإلا فطياً للفيافي تجوز بي ... غذافرة أجوازها وعـذافر
ولا عيب أني عن جنابك راحل ... إلى جانب لي فيه تُرعى الاواصر (١)

يجد الأرجاني هذا الجانب الثاني عند الوزراء والخلفاء والعلماء ومن اليهم : يبعث اليهم بمدائحه أو يرحل بنفسه ، في بغداد كانوا أم في سواها : يستعطفهم ويستجديهم أو يوطد بعونهم « شغله » أو يستعيده . ولكنه - لم يستطع - على كثرة ممدوحيه أن يرتفع معهم قليلاً عن مستوى الضعيف المستعطف المدّاح ، ولم يستطع أن يرتفع بهم عن نيابة القضاء . وهو في ذلك دائم الشكوى ، ولم يف ما يكسبه في القضاء بسد ديونه :

... لو كنت ترمي فى القضاء بنظرة ... لعجبت من شبع القضاء وجوعي
أرشو ولا أرشى وتلك غبينة ... تمسي لها الأكباد ذات صدوع
وأخاف من تشنيعهم لو جرت في ... حُكمي وليس يخاف من تشنيعي (٢)

« ولم يزل نائب القاضي بعسكر مكرم » حتى توفي في شهر ربيع الأول عام ٥٤٤ بتستر « وقيل بعسكر مكرم (٣) » .

---

(١) كذا في جميع المصادر ، وإذا ورد على انه « قاضي تستر » كما في المنتظم مثلاً - فالمرجح في ذلك السهو أو التجوز في الاستعمال .

(٢) الديوان ص ٢٥٨ — ٩ يخاطب أبو شروان .

(٣) ابن خلكان .

ديوانه :

قال العماد : « شعره كثير والذي جمع منه لا يكون عشره - وهو ديوان كبير . وأحببت جمع شعره ، حتى وافيت عسكر مكرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة فلقيت بها ولده الأرجاني محمد المنعوت رئيس الدين فسألته أن يعيرني مسودات والده في مدائح عمي فأعارني إضبارة كبيرة فيه » . وقد ضمن العماد خريدته مجموعة كبيرة من هذا الشعر مرتبة على حروف الهجاء للقوافي . ويظهر أن زيدان وهيار اعتمدا العماد - أو بمعنى أدق انهما اعتمدا ابن خلكان الذي نقل عنه - حين قالا إن الذي جمع ديوان الأرجاني هو ابنه .

وعلى كل حال ، ان مخطوطات هذا الديوان موفورة ، رأيت منها نسخاً في مكتبات القاهرة ولندن وطهران (ملك التجار) والمتحف العراقي ، فكان الخلاف بينها غير ذي بال ، ولعلها كانت في الأصل « العشر » الذي تحدث عنه العماد .

وطبع « ما وجد من ديوان ... الأرجاني » في بيروت سنة ١٣٠٧ بـ ٤٥٣ ص . ويظهر أن الناشر اعتمد نسخة واحدة ... لا تختلف كثيراً عن سواها من المخطوطات .

خاتمة

يقوم الديوان على المدح أولاً وأخيراً ، أما غير المدح من غزل وشكوى فأمور عارضة . وقد لقي هذا الشعر تقديراً كبيرا - على مر العصور ، فقد قال السمعاني : « كان - الأرجاني - مليح الشعر رقيق الطبع ، سار ديوان شعره في الآفاق[١] » وقال ابن الجوزي « وله الشعر المستحسن يتضمن المعاني الدقيقة » وجعل العماد الارجاني مع الطغرائي والأبيوردي والغزي « أركان

---

(١) الانساب

الفضل » الذين « لم يسمع الزمان لهم بالمثل ولا يجتمع في قرن واحد أمثالهم »[١] وان « شعر الأرجاني كالرحيق الأرجواني[١] » فهو « في نهاية الحسن »[٢] وصاحبه « حامل لواء الشعر بالمشرق[٣] وديوانه مشهور يتسابق الناس اليه : يزينون به مختاراتهم ومحفوظاتهم[٤] .

كل تلك الاحكام ، نراها اليوم - ونحن نقسر انفسنا على قراءة الديوان - أقوالاً جزافا وأعمالا عجافا ، طالما عودنا نقادنا - سامحهم الله - أمثالها كلما شاموا تصنيفا ما أو حكمة ما أو فكرة ما ... ولا بأس - بعد ذلك - بالركاكة والابتذال ، انهم بذلك يعكسون طرفاً من أذواقهم وأذواق عصورهم . ويدلون على ركود أذهانهم عند التقليد والمتابعة ؛ إنهم يرون أن الأرجاني شاعر كبير ، أما نحن فلا نستسيغه ولا نجد في حياته أو فى ديوانه ما يستحق الوقوف . ولا نجد في شعره ما يروعنا لا في الأغراض التي هي مديح واستجداء رخيص ، ولا في التراكب التي هي رصف نثري لا يشير إلى موهبه ولا يدل على ابداع .

لقد كان ابن الأثير أقرب النقاد القدامى الى الاعتدال حيث قال « له شعر حسن » . و « حسن » هذه ليست بذات بال في أحكامهم . وكان على السمعاني أن يكتفي بالقول بأنه من أفاضل عصره » - وليست « فاضل » بذات خطر . اما « الشاعر » نفسه فقد أدعى كثيراً ، حتى خال نفسه مبتكراً منفرداً - معاذ الله . اننا لا نقبل من أقواله إلا : -

انا اشعر الفقهاء غير مدافع   في العصر أو أنا افقه الشعراء

---

(١) خريدة الشام ص ٢٨

(٢) ابن خلكان

(٣) الحنبلي في الشذرات وكأنه ينقل عن العبر

(٤) اختار للارجاني ، ابن الشجري في حماسته .

وبالمعنى الذي نفهمه نحن عن « شعر الفقهاء » . إن بامكان كثير من المتعلمين أن ينظموا مثل ديوان « الأمام ناصح الدين » وبمدة تقل عن الـ (٥٣) سنة .

رحم الله العماد ، لم يكفه ما قال حتى زاد عليه : انه « قيسي النطق أياديه ، فارسي القلم وفارس ميدانه ... جمع بين العذوبة فى الري والريا . » وتتصفح الديوان واذا « العذوبة فى الري والريا » أول ما تفتقد . ولم يكفه ذلك حتى قال (فى النصرة ـ هذه المرة ـ و٩٨) إنه « فريد عصره وقريع دهره ونسيج وحده في نظمه ونثره ـ له أن يقول ، ولنا أن نستغفر له الله .

الفصل السادس

شعراء من المئة السادسة

(١) ابن الفضل « ابن القطان »

مصادره :

بلغنا من كتاب الذيل للسمعاني ما نقله ابن خلكان عن شعره و« حديثه» ومولده ـ وكان السمعاني سمعه ينشد وحفظ له ؛ وكذلك نقل لنا ابن خلكان خبراً عن مولد أب الشاعر ووفاته ؛ وابن الانباري يذكر عمره ؛ وابن الجوزي يذكر (١٠ : ٢٠٧) ، نسبه ، أباه ، علمه ، شعره ، وفاته ، وللعماد تنظر النصرة و٢٠٢ ـ ٢٠٣ حيث يسخر الشاعر من المسترشد (بنداري ١٧٦ ـ ١٧٧) ؛ والخريدة مخ . ليدن ٢٢٤ ـ ٢٢٩ رآه شيخاً وسمعه منشدا ونقل من خطه ، أمثلة من هجائه ثم ذكر تاريخ وفاته . اما ابن خلكان فمصدر لا يمكن أن يغفل ٣ : ١١٦ ـ ١٢١ ، ١ : ٣٦٠ ، ٢ : ١١٦ ، انه ينقل عن السمعاني والسلفي والعماد ويروي مساجلات الشاعر وحكاياته مع حيص بيص.

ثم : ابن الأثير ١١ : ١٩٦ سن ٥٥٨ ؛ إبن أبي أصيبعة ١ : ٢٧٤ ، ٢٨٥ ـ ٢٨٨ (مولده . طبيب . شعر) ؛ ابن الطقطق ؛ ابن شاكر ٢ : ٢٩٣ ـ ٢٩٥ ؛ ابن كثير ١١ : ٤٤٧ ؛ اليافعي ٢ : ٣١٥ ، حاج خليفة ١ : ٧٦٧ ، الحنبلي ٤ : ٢٤٧ ؛ العباسي ٢ : ٥ .

حياته :

أبو القاسم هبة الله بن الفضل ابن القطان عبدالعزيز بن محمد بن الحسين بن علي ابن أحمد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم المعروف بابن القطان . ولد عام ٤٧٧ « وقال السمعاني سألته عن مولده فقال ولدت ضحى نهار الجمعة

السابع من ذي الحجة سنة ثمان وسبعين » ببغداد

سمع الحديث من جماعة من المشايخ : من أبيه[1] ومن أبي الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون ومن أبي طاهر محمد بن الحسن الباقلاوي وأبي عبدالله الحسين ابن أحمد بن محمد بن طلحة بن محمد عثمان الكرخي وغيرهم ؛ سمع ، وسمع عليه ، وقال السمعاني في الذيل « كتبت عنه حديثين لا غير »

كان أبو القاسم طبيبا وكحالا ،وكان بين من صحب المسترشد من أطباء فى حملته على السلطان مسعود . وكانت له فى الطب مؤلفات لم تصل إلينا هي شروح وأسئلة وأجوبة . ولكن الشعر بما فيه من هجاء ومجون هو الذي غلب عليه . وله مع حيص بيص ماجريات منها قصة الكلبة ومنها قصة القطاة[2] .

توفي ببغداد يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان وقيل يوم عيد الفطر من شهور عام ٤٥٨ ودفن بمقبرة معروف الكرخي بالجانب الغربي - حيث قبر أبيه .

خاتمة :

قال ابن الجوزي : « كان شاعراً مطبوعاً » . وقال العماد « وله شعر كثير لم يدون » ولكن ابن خلكان ينقل عن العماد انه قال : « له ديوان شعر » . ويقول العماد « أكثره جد ، وعبث فيه بجماعة من الأعيان وثلبهم ولم يسلم منهم أحد لا الخليفة ولا غيره » فقد « كان غاية في الخلاعة والمجون ، كثير المزاح والمداعبات ، مغرى بالولوع بالمتعجرفين والهجاء لهم . وله في ذلك نوادر ووقائع وحكايات طريفة » .

ان الهجاء أو السخف ، بمعنى أدق ، جزء من خلق ابن القطان وحياته . والقليل الذي وصل إلينا من شعره يدل على أهمية ومكانة فى العصر ، ولو وصل إلينا ديوانه لجلا كثيراً من جوانب مجتمعه وجوانب أدبه .

---

(١) كان أبوه محدثاً ولد عام ٤١٨ وتوفى عام ٤٩٨

(٢) سيأتي الكلام عليها .

(٢) الحظيرى

مصادره :

سطران في المنتظم ١٠ : ٢٤١ سن ٥٦٨ ؛ صفحات ومختـارات في الخريده مخ . باريس رقم ٣٣٢٦ و ٥٠ أ ـ ٨٥ ب : نسبه ، الحظيرة ، كتبي ، اسفار ، مؤلفات ، وفاة ـ كان العماد يحضر دكانه . والارشاد ٤ : ٢٣٢ ـ متأثر بالخريدة . وينظر ابن الأثير ١١ : ٥٩٦ ، ويشبه ابن الدبيثي مخ . باريس رقم ٥٩٢٢ ص ١١٨ ـ ١١٩ الخريدة والارشاد ويزيد : « ذكره القاضي أبو المحاسن عمر بن علي القرشي فيما رسمه من التاريخ ، ومن خطه نقلت » ، وكان القرشي ممن رأى الحظيري « وكتب عنه شيئاً من شعره ومن شعر غيره » . وبهذا وبما ينقله من الأخبار تزداد أهمية ابن الدبيثي ، ويعيد السبط فى المرآة ٨ : ١٨٦ ـ ١٨٧ ما قاله الجد ثم ينقل أخباراً عن القرشي ، هي الأخبار التي نقلها ابن الدبيثي ، ولـكنه لم يشر الى ابن الدبيثي ، كما انه ينقل من الخريدة .

وينص ابن خلـكان (١ : ٣٦٢ـ٣٦٣) على الخريدة فيما يروي من أخبار ، ويعلق على مؤلفات الحظيري ويحقق في وفاته ، وينقل الصفدي في الوافي (٨ مخ . باريس رقم ٢٠٦٤ و١٢٤ أ ـ ١٢٦ ب سن ٥٧٨ (؟)) عن ياقوت ويزيد أموراً تتعلق بمؤلفاته . وربما كانت « حنفية » الحظيري من أسباب أهمال الحنبلي إياه . ومن المصادر ذات الاخبار المهمة ، تعليقة ابن جماعة و١١٤ أ ـ ١١٤ ب

ثم ينظر : ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٧٧ ـ ٨ ؛ ابن الصابوني ص ٢٢ (مع حاشية للدكتور مصطفى جواد) ، ٢٤٣ ؛ حاج خليفة ١ : ٧٨٨ ، طاشكبري زاده فى مفتاح السعادة ١ : ٢٢٤

بروكلمان ١ : ٢٨٨ ، تـكملته ١ : ٤٤١ ؛ هيار ص ٩٩ ؛ زيدان

٣ : ٢٣ كحالة (في معجم المؤلفين) ٤ : ٢١٢ (ومن مصادره المخطوطة : الذهبي : سير النبلاء ١٢ : ٢٨٣)

حياته :

الشيخ الامام أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي الحظيري ثم البغدادي المعروف بالكتبي أو بدلال الكتب أو الوراق دلال الكتب . والحظيري ، هذه النسبة إلى الحظيرة وهي قرية بدجيل مجاورة عكبرا فوق بغداد وينسب اليها كثير من العلماء . كان « سعد » فيها ، ثم ترحل عنها :

ترحلت عن أرض الحظيرة هاربا من العشق حتى كادت النفس تزهق

العشق ؟ أم الافلاس ؟ أم السعي وراء الشهرة وما يلحقها من علم ومال ؟! وحل بغداد ، « وكان وجيهاً عند أهلها »[1]

اما نسبة الكتبي وما اليها فالى مهنته ، فقد كان « يبيع الكتب على يده متعيشا » فهو « دلال بغداد فيها » « يعرف الكتب وما فيها والمصنفات ومصنفيها والمؤلفات ومؤلفيها » « مطلعاً على أشعار الناس وأحوالهم » وكان من الذكاء على غاية[2] « ولم يزل دكانه مجمع الفضلاء ، يبيع فيه الكتب ويجتمع فيه عنده العلماء والفضلاء » . قال العماد « وكنت أحضر عنده » و« اذا حاورته لا تسمع غير النكت والنخب » . ولا بد من أن يكون علي بن أفلح من هؤلاء الفضلاء ، فقد ذكر ابن الدبيثي عن القرشي أن الحظيري « صحب أبا القاسم علي بن أفلح الشاعر مدة »

لم يكن الحظيري كتبياً حسب ، فقد « تفقه على مذهب أبي حنيفة »[3]

---

(١) الوافي

(٢) المنتظم

(٣) ابن الدبيثي عن القرشي

و« كان فاضلا » له معرفة بالشعر وفنونه » و« اشتغل بالأدب حتى برع فيه » و « قال الشعر » « المستجاد » فـكان « له كل معنى مليح » .

وتتصفح اليوم ما بقي من هذا الشعر فتعجب لهذا المتفقه كيف يطرق هذه الموضوعات الغلمانية ـ وغلمانه كثر ، فهذا «معذّر » وهذا « تحت شفته شامة صغيرة » وهذا « أعرج » وهذا مجدور وهذا مغنٍ . . . وهو في كل ذلك يتصرف في المعاني ويتفنن في التعليلات مما لا يمكنك أن تقبله على أنه لهو لسان وظرف مزاج ، وقد صدق سبط ابن الجوزي حين قال : « إن ما رواه الأصبهاني ـ للحظيري ـ من كلام فاحش يدل علي أنه كان خليعاً » . وكان العصر يستسيغ مثل هذه الخلاعة ـ كما يبدو .

وتمر بالانسان أحوال تغير مجرى حياته ، كما فعلت مع الحظيري إذ « غلبت عليه الفـكرة وأحب الخلوة والانقطاع ، فخرج على التجريد سائحاً ورأى عجائب وحصل على أشياء جيدة . وخرج إلى الشام وجال في أقطارها . وحج . وعاد إلى بغداد واشتهر بين الناس . . . بالدين والتفقه والامانة والفضل . (١) « وبنى له بظاهر البلد صومعة وأقام بها مدة(٢) » . « واعترضه مرض » فمات ببغداد يوم الاثنين الخامس والعشرين (وقيل الخامس عشر) من صفر عام ٥٦٨ ودفن بمقبرة حرب أو « باب حرب(٣) » بالجانب الغربي .

مؤلفاته :

« للحظيري التصانيف الحسنة » التي منها :

(١) زينة الدهر ـ وقدمر معنا خبرها ورأينا أهميتها(٤) ، إلا أنها لم تصل الينا.

---

(١) ابن الدبيثي وسبط ابن الجوزي . (٢) الوافي .

(٣) حرب : وردت في المنتظم المطبوع . وقدمر خبرها عند الكلام على وفاة ابن شبل .

(٤) أعلاه ص ٢٢ .

(٢) « لمح الملح في التجنيس » ، « ذكر فيه البلاغة وأقسامها وأورد فيه جملاً من كلام البلغاء وأشعارهم » « مما وقع لغيره من الجناس نظماً ونثراً » « وعمله على حروف المعجم » و « هو يدل على كثرة اطلاعــه » . ومنه نسخة في الاسكوريال .

وقد هذبه الصفدي وسماه « حرم المدح في تهذيب ملح المنح » .

(٣) « كتاب الاعجاز في الأحاجي والألغاز » وأورد في آخره التصحيف » . رأيت من « الاعجاز » نسخة - غير تامة - في مكتبة مشهد الرضا بخراسان . وفي القاهرة نسخة منه .

(٤) « صفوة الصفوة » وهو « نظم كله في الحكمة » .

(٥) ديوان شعر « صغير الحجم إلا أن أكثره مصنوع مجدول تقرأ القصيدة منه على عدة وجوه » . لم يصل الينا . ولكن العماد الذي يقول : « لقد أعارني ما جمعه ... من أشعاره ورسائله » ، يذكر له مختارات كثيرة .

خاتمة

هذه المختارات بعيدة عن أن تكون « رفيعة » وهي لا تدل على فطرة شاعرة ولا تخرج عن الألعاب في الألفاظ والمعاني مع ميل بين للتجنيس والمطابقة والأحاجي والالغاز ، وتراكيب لا يغير من حقيقة نثريتها من مدحها « بجودة السبك » .

وقد يفسر هذا الاعتدال النسبي الذي لحظناه على أحكام القدماء بصدد شعره فلم يتعدوا كثيراً حدود « الجيد » - وفي « الجيد » شيء من الغلو أيضاً . وعجيب أن يكون الحظيري شاعراً ، ولكن هي العصور لها مقاييسها الخاصة ، ومن يدرينا ، لعل بين النقاد الأموات من قال انه كان « وحيداً في صياغة النظم ، فريداً في صناعة النثر » : ليقولوا - والزمن خير ناقد .

(٣) حيص بيص

مصادره :

تحفظ مخطوطة المجموعة التي تسمى « ديوان حيص بيص » فى مكتبة رامپور ، أطرافا من صلاته بساسة عصره من خلفاء وسلاطين ووزراء وسواهم ما بين بغداد وخراسان والموصل . وإن عدداً من قصائد « الديوان » مؤرخ وفي ذلك ما يعين على تفهم حياته .

أقدم من كتب عن حيص بيص السمعاني في المذيل وقد وصل إلينا من كلامه نبذ عن طريق ابن الدبيثي في شاعريته وتفقهه ، وفي « الارشاد » و « الوفيات » ما ينص على تلمذة السمعاني لحيص بيص وقراءة ديوانه عليه... أن فقد هذا المصدر الأول أضاع علينا كثيراً من الفوائد .

وفي ابن الجوزي (١٠ : ٢٨٨ سن ٤٧٤) : الحديث ، وفاته ؛ وفي « النصرة » (٢١٢ ب ، ٢١٣ أ ، ٢٢٠ أ ، ٢٢٣ ...) ساسة العصر . وقد احتفظ البنداري بجزء منها . والخريدة مصدر مهم جداً . وفى مخطوط ليدن ١٣٨ ـ ١٧٧ : الثناء عليه ، تفسير لقبه وجوانب من حياته ، عام ٥٢٠ ، صلاته ، مع مختارات كثيرة من الشعر والنثر ـ والعماد ممن قرأ ديوان الشاعر عليه . اما مخطوطة باريس فغير كاملة (١٠ أ ـ ٢١ أ) . ودخل حيص بيص فى المطبوع من القسم العراقي ص ٢٠٢ ـ ٣٦٦ .

والارشاد ٤ : ٢٣٣ـ٢٣٦ مهم ؛ وفى « البلدان » تنظر : إيغار ، ايغاران ، بعقوبة ، بعيقيبة ، الزاب . ويفيدنا ابن الأثير ١١ : ٩١ سن ٥٤٤ عن سفرته إلى الموصل ، وص ١٠٦ سن ٥٤٧ عن حبس المسترشد إياه ، وص ٣٠٠ سن ٤٧٤ عن موته . ويذكر ابن دحية في النبراس ص ١٤٦ ـ ١٥٠ غضب المسترشد على الشاعر (وهوى المؤلف في ذلك مع الخليفة) ، ويذكر ابن

الدبيثي مخ . باريس ، رقم ٥٩٢١ و٦٠ أ ، ٦١ أ زيادة على الأخبار ، أبياتاً يرويها عمن سمع الشاعر نفسه - وكان ابن الدبيثي من معاصري حيص بيص ولكنه لم يستطع مصاحبته . وابن النجار مهم حتى فى « المستفاد » لانه يحدثنا عن جد الشاعر وشبابه ودراسته ومكانته ولقبه ملك الشعراء .

ويظل ابن خلكان - كعادته - أسياسياً سواء في الترجمة التي عقدها عليه ١ : ٣٦٠ - ٣٦٢ فأبان جهل الشاعر بعلاده وطرفاً من غرابة أطواره ، وسبب لقبه حيص - بيص . وهو ينقل عن السمعاني ويشبه الارشاد وابن الدبيثي ، و في الصفحات الاخرى ١ : ٢١٦ (بعقوبة) ، ٢ : ٤٩٤ (في الموصل ، ص ٥١٩ - ٥٢٠ (السلطان محمود) ، ٣ : ٣٦ - ٣٧ هجاء الجواليقي نقلاً عن مختصر الخريدة ، ص ١١٦ — ١٢١ (مع ابن الفضل) ، ص ١٦٠ بيتان لم يرهما ابن خلكان في ديوان الشاعر ، ص ٢٣٢ - ٢٣٤ (مع ابن هبيرة) ، ص ٤٣٤ يوسف ابن شداد ينشد ما سمعه من الشاعر نفسه .

وينقل ابن جماعة في التعليقة ١١٤ ب - ١١٦ ب عن ابن النجار ثم يقدم معلومات ذات بال عن مولده ولقبه حيص بيص وملك الشعراء وأخيه وأخته .. مما لا نكاد نجده في مصدر آخر .

ثم : المرآة ٨ : ٢٢٤ - ابن الصابوني ص ٣٧١ (مع حاشية مهمة للدكتور مصطفى جواد) ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٨٥ - ٢٨٤ - ٢٨٥ (ويذكر المستضيء والصحيح : المسترشد) - ابن الطقطقى ص ٣٥٥ ، ٣٣٥ (الزينبي ، انو شروان) - ابن الأثير في المثل السائر - ابن كثير ١١ : ٣٠١ - ٢ - العبر ٢ : ٢٢٨ - ابن الوردي ٢ : ٨٨ - حاج خليفة : ٧٨٦ - السيوطي في البغية ص ١٨ - الحنبلي ٤ : ٢٤٧ - (وينقل عن ابن شهبة المتوفي ٨٥١) ، لسان الميزان ٣ : ١٩ - ٢٠ ابن تغري بردي ٦ : ٨٣ - ٨٤ ومن مصادر حواشيه : عقد الجمان ، اليافعي ٣ : ٣٩٩ السبكي : ٤ : ٢٢١ الخوانساري ٣٠٨ - ٣٠٩

بروكلمان ، تكملته ١ : ٤٤١ ـ دائرة المعارف الاسلامية ٢ : ٢٣٥ ـ ٦ ـ اهلوار فى « مخطوطات برلين » رقم ٨٦٢٨ ص ٣٩ ـ الزركلى ٢ : ٢٠ العاملي ٣٤ : ١٩٩ ـ ٢١٢ ـ كحالة : ٤ (ومن مصادره المخطوطة : الذهبي : سير النبلاء ١٣ : ١٥ ، الصفدي ، الوافي ١٣ : ١٤٢ — ١٤٦) ، ويدرس الدكتور مصطفى جواد « حيص بيص » في السنة السابعة والثامنة من مجلة الغري (حزيران ١٩٤٥ ـ) .

حياته :

الأمير شهاب الدين أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي ، المعروف بحيص بيص[1] . نقل ابن جماعة عن ابن النجار أن جد حيص بيص لأبيه سعداً فارق بني تميم قومه ، ونزل كرخ بغداد وولد به ابنه محمد وابن ابنه سعد ، وكان محمد طوابيقيا[2] . وروى ابن الجوزي والعماد نسبه الصيفي من غير شك أو ما يدعو إلى الشك ، وكان الشاعر كثير الفخر بتميميته ، ولكننا نجد بين معاصريه من الشعراء من كذّبه ونبزه وقال ان ليس فيه شعرة من تميم ، ونجد من المؤرخين من يقول : « كان يزعم أنه من ولد أكثم ابن صيفي التميمي حكيم العرب »[3] ... « وذكر الحيص بيص فى شعره أنه من بني تميم فبلغ ذلك هبة الله بن الفضل الشاعر فمضى الى أبيه ... فحكي له قول ولده فقـــال : والله ما عرفت أني من بني تميم حتى أخبرني بذلك ولدي ... »[4] .

---

(١) يلقبه ابن دحية الاستاذ ؛ والسبكي الشيخ ...

(٢) التعليقة مخ . باريس . (٣) ابن خلكان ، التعليقة .

(٤) التعليقة . وجاءت الرواية فى لسان الميزان ـ وهو كثير التصحيف ـ على شكل آخر هو « ذكر ابن السمعاني عن إبراهيم بن سعد التاجر قال سمعت =

و « كان [حيص بيص] يقول - إذا سئل عن عمره ... انا أعيش في الدنيا مجازفة . لأنه كان لا يحفظ مولده »[1] وعلى الرغم من هذا ، وعلى الرغم من سكوت المؤلفين عن هـذه الناحية ، نرى ابن جماعة يذكر عام ٤٩٢ بلهجة المتأكد[2] . وليس هذا العام بالمستبعد ، وقد نص العماد على أنه كان سنة ٥٢٠ « في ريعان عمره » .

تعلم سعد مبكراً ، فقد طلب العلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وسافر الى الري وقرأ المذهب والخلاف هناك . وألم بكل شيء حتى قال : « قد علم عصري وبنوه ، وزماني وأهلوه ؛ أني ابتدرت شعفات الفضل غلاما يفعة ، هاجراً اليه كل خفض ودعة ... فانغمست في كبّات العلوم جـرّيا ، وعمت في جمّتها ملّيا ... ثم جاشت بالشعر مراجـلي ، واستمرت اليه أعناق رواحلي ... »

لقد « كان عالماً له معرفة حسنة باللغة وأشعار العرب » بل كان « لغويا » « متضلعا باللغة » و « من أعلم الناس بأخبار العرب ولغاتهم وأشعارهم » . كما انه سمع « شيئاً من الحديث » ببغداد من الشريف أبي طالب محمد الزينبي ، وبواسط من أبي المجد محمد بن محمد بن جهور . وقد « حدث بشيء من مسموعاته » ، وممن أخذ عنه الحافظ أبو سعد السمعاني ،وقال ابن الدبيثي[3] :

= أن والد الحيص بيص كان يقول ما عرفت أني من بني تميم حتى أخبرتني أمي بذلك في سفره » ولعل الصحيح « حتى اخبرني أبني . . في شعره . »

(١) ابن خلـكان. وقد ترد في المصادر الاخرى كالتعليقة جزافا ؛ وجاءت هذه في لسان الميزان مصحفة على « حراما » .

(٢) التعليقة ، وتؤكد هذا رواية عمره في لسان الميزان .

(٣) ينظر عن معارفه ابن الدبيثي ، ابن الجوزي ، ياقوت ... السبكي والحنبلي . ويذكر السبكي انه كان « ينصر مذهب الجمهور » ، والواضح =

« أدركته ولم يقدر لي به اجتماع ، فكتبت عن جماعة سمعوا منه » . كما تفقه على مذهب الامام الشافعي ودرس على القاضي محمد بن عبدالكريم الوزان بالري، وتكلم في الخلاف وصار بصيراً بالمناظرة محجاجا .

و « أخذ الناس عنه أدباً وفضلاً كثيراً » وقال بعضهم انه كان صدراً في كل علم[١] ، ولكن الادب والشعر هما اللذان غلبا عليه .

وقد أكثر في شعره من المديح ، وكوّن له ذلك صلات بالخلفاء(المسترشد ، المقتفي ، المستضيء) ووزرائهم (علي بن طراد الزينبي ، أنو شروان ، ابن صدقة ، ابن هبيرة) والامراء (دبيس بن صدقة وحماد بن أبي الجبر) والسلاطين (محمود ، مسعود ، سنجر) ووزرائهم وأمرائهم (محمود بن أبي توبة ، علي بن الحسن البيهقي ، غازي بن زنكي ...) .

= من سياق الأخبار أنه شافعي وانه ألمّ بهذا المذهب أو ذاك . ومع هذا ، ان من الكتب مثل « لسان الميزان » ما يروى انه : « ذكر عبدالباقي بن رزين .. وكان من رؤوس الامامية أن المذكور [أي حيص بيص] كان مقدماً في عدة علوم ، وكان لزم الحلة ومدح آل مرثد [أي بني مزيد] ثم دخل بغداد ومدح الخليفة وكان إمامي المذهب » .

وذهب الخوانساري أكثر من هذا إذ قال : « إن حيص بيص الشاعر من شعراء الشيعة الامامية الحقة ، ومذكور في بعض التراجم المعتبرة وغيرها أيضاً بهذه الصفة . ولعل في مدفنه الشريف وأبياته السابقة [ملكنا فكان العفو منا سجية ... وستأتي] إيماء الى ذلك فليتأمل وليلاحظ . »

وبهذه الروح ترجم له السيد محسن العاملي في « أعيان الشيعة » .

والأدلة في كل ذلك ليست من القوة بحيث تقنع ، وكل ما في الأمر انها وما سواها من الاخبار وفي صلته ببني مزيد تدل على انه لم يكن شافعياً عصبيا .

(١) السبكي في طبقات الشافعية .

وتقتضيه مثل هذه العلاقات - فيما تقتضيه - الأسفار الى الحلة والبطائح وهمذان (عام ٥٢١) وسرخس (٥٢٢) ومرو ونيسابور ... والموصل (٥٤٤) . ولم تكن صلاته كلها صلات مادح بممدوح ، لأنه يختلف عن الأرجاني ومن إليه ، فلقد « تقدم عندهم » وكثيراً ما تشفع لديهم ثم إنه شاعر معتد بنفسه وبمواهبه اعتداداً يخرج به عن طور أسوياء الناس ، ويدفعه إلى الدالة على الممدوحين ، فهو يطلب من المسترشد بعقوبة كلها ، ومن أنو شروان أن يجلس عند الانشاد على كرسي من ذهب أو فضة ، ثم هو صاحب ضيعة أو ضياع يستعين عليها بالشعر ، وهو بعد ذلك — وقبله — نديم يسبغ على المجالس والمنتديات روح المرح الذي يذهب ضحيته ، والفكاهة التي يصبح مدارها ، ولا يعدم أن يجد بين زملائه كابن القطان من يتربص به الفرص . وخلقة الشاعر تتحمل ذلك وتستدعيه ، فقد كان غريب الأطوار ، « يلبس زي العرب - أو أمراء العرب - ويتقلد سيفاً - أو سيفين - ويحمل خلفه الرمح ويأخذ نفسه بمأخذ الأمراء » ويطول طرطوره :

« خرج ليلة من دار الوزير شرف الدين أبي الحسن علي بن طراد الزينبي فنبح عليه جرو كلب ، وكان متقلدا سيفاً فوكزه بعقب السيف فمات فبلغ ذلك ابن الفضل [ابن القطان] فنظم أبياتاً وضمنها بيتين لبعض العرب قتل أخوه ابناً له فقدم اليه ليقتاد منه فألقى السيف من يده وأنشدها ... ثم ان ابن الفضل[1] ... عمل الأبيات في ورقة وعلقها في عنق كلبة لها أجرؤ ورتب معها من يطردها وأولادها الى دار الوزير كالمستغيثة ، فأخذت الورقة من عنقها وعرضت على الوزير فاذا فيها :-

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى ... بفعلة أكسبته الخزي فى البلد
هو الجبان الذي أبدى تشاجعه ... على جري ضعيف البطش والجلد

---

(١) ينظر الوافي والسبكي والوفيات (فى ترجمة هبة الله بن الفضل) .

وليس في يده مال يديه بــه ولم يكن ببواء عنه في القود
فأنشدت جمدة من بعدما احتسبت دم الابيلق عند الواحد الصمد :
« أقول للنفس تأساءا تعزية إحدى يدى أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي »[1]

« وحضر ليلة حيص بيص وابن الفضل ... على السماط عنـــد الوزير في شهر رمضان فأخذ ابن الفضل قطاة مشوية وقدمها الى حيص بيص فقال حيص بيص للوزير : يا مولانا هذا الرجل يؤذيني ، فقال الوزير : كيف ذلك ؟ قال لأنه يشير الى قول الشاعر :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت[2]

وكان حيص بيص « يتبادى في لغته ويعقد القاف »[3] ولا « يخاطب أحداً إلا بكلام عربي معرب » . وهذا هو الذي جر عليه اللقب حيص بيص أو « الحيص بيص » ذلك « انه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة وأمر شديد فقال : ما للناس في حيص بيص ، فنقلت عنه وسارت ولقب بذلك . ومعنى هاتين الكلمتين الشدة والاختلاط[4] » .

---

(١) الوفيات (في ترجمة هبة الله) ـ والبيتان في حماسة أبي تمام .

(٢) الوفيات (« « «) ، وينظر لسان الميزان .

(٣) السبكي .

(٤) ينظر ابن الدبيثي ، ياقوت ، ابن أصيبعة ابن خلكان ، سبط ابن الجوزي ، ابن جماعة ، السبكي . . ـ وجاء فى الوفيات أيضاً : « ويقول العرب وقع الناس في حيص بيص أي في شدة واختلاط . » وفي لسان الميزان « الحيص بيص وهو مهملات ومعناه الداهية » (!) . وتحدث الدكتور مصطفى جواد في العدد ١٤ من السنة السابعة من مجلة الغري فقال : « والاقوال مختلفة في سبب تلقيبه بحيص بيص . قال أحدهم انه قال لبعض أصدقائه في =

« وقال الحسن بن عمرو بن النحوي ... دخلت بغداد فقصدت الأخذ عن حيص بيص ، فلم أصادفه في منزله ، فبينا أنا في درب إذ بفارس متقلد سيفاً ، وفرسه يلعب تحته ، وخلفه غلام راكب ومعه علم . وهناك رأيت صبياً يمشي ، فخشي الحيص بيص أن تطأه الفرس ، فقال : يا غلام اتق بهذا النشنز ، لئلا يطأك الجواد بسنابكه . فلم يفهم الصبي كلامه ، فلولا أن بعض العامة أدرك الصبي فحوله عن طريقه ، أصيب الصبي . فقلت من هذا البدوي ؟ قال : هذا الحيص بيص »[1]

والأمثلة على تقعر الحيص بيص والغلو في الاغراب غير قليلة . و « له رسائل ومكاتبات معدول بها عن الفن المعتاد والأسلوب المعروف ، وهي كثيرة »[2] ، ونهجه فيها أن يتخير حوشي الألفاظ ووحشيها ، وأن يتصيد

= أصبهان » وقعت منك في حيص بيص فلقب به ... وقال ثالث : سبب هذا اللقب أن عسكر بغداد كان قد هم بالخروج الى السلطان السلجوقي في أيام أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله وكان الناس من ذلك في حديث كثير وحركة زائدة فقال : مالى أرى الناس في حيص بيص فلقب بذلك . ولا شك فى ان لمنافسة ومهاجية هبة الله بن الفضل الشاعر أثرا في انتشار هذا اللقب . وورد في شعره حيث قال :

لئن أصبحت بينكم مضاعا ... أبيع الفضل مجانا رخيصا
وعاقني الزمان عن المعالي ... فصرت إلى حبائله قنيصا
فاني سوف أوقعكم بيأسي ... وإن طال المدعى في حيص بيصا

(عن ابن جماعة في تذكرة الشعراء والمنشدين) .

(١) لسان الميزان ٣ : ١٩ ـ ٢٠

(٢) الخريدة ١ : ٣٦٣ ، وتنظر أمثلة أخرى في الخريدة ص ٣٦٣ ـ ٣٦٦ ، والارشاد والوفيات

الغريب ويلوي التعابير بحيث يصعب فهم ما يريد . ويعكس ذلك جانباً من غرابة أطوارة وشذوذ افكاره ، وعجبه بنفسه وخيلائه بعلمه . ومن هذه الرسائل ما كان بينه وبين المسترشد[1] ، ومنها رسائل في العتاب واقتضاء الحاجات والشفاعات . ومن امثلة رسائله قوله :

« بلغني أن أنيسيانا يذود صغر شأنه عن تسميته، شتيم الرّواء والسّحناء ، مشؤوم المرافقة والصحبة ، يغتاب حتى ثديَ امه ، أوسع شفعائي إليك لوما على صغره في ناديك ، وذُله أن يصدقك عن عوارفك وأياديك . ولقد استوعر الخلف[2] ما استسهل ، وأوجف إلى حتف نفسه فعجل . فان كان مستنداً منك إلى جذم عناية ، فأُذن بهجر ، فاني مجازيه ولو كان دونه خرط القتاد . وإن لم يكن كذلك ، فبمن أقدم ؟ وعلى من تقحم ؟ حذار أن تعتمد غير كتبه بارسال الثمن الأوفى والقيمة العليا . فالقوافي ما سمعت ، والقائل والباذل من علمت ، والسلام »[3]

وقوله :

« وايم الله ، لقد اخلولقت في الاندية الحاشدة من طول جدال كاتبكم ، وهو موجفٌ إلى الفتنة ، يأبى إلا المنع . وإني لقائلها شنعاء ولو جرت حتفاً . حذار ، حذار من اشتياط أفوه ، إذ اجنى الخامل[4] عاتب الشهير . ولئن جنّ الليل دون بعث العساجد المستقرة ، لتبعثن كتائب القول مشمعلة لا تخص مقالا[5] ولا تستثني حمى ، ولغيرهم مثل السوء ، والسلام[6] .

---

(١) ينظر النبراس ص ١٤٦ ـ ١٥٠ ، الخريدة ١ : ٣٦٣

(٢) يقول ناشر الخريدة « لعلها الجلف »

(٣) الخريدة ١ : ٣٥٣ ـ ٤

(٤) في المخطوطة الخابل ، والخامل من تصحيحات الناشر

(٥) وفى نسخة طهران : مقاما .

(٦) الخريدة ١ : ٣٥٤ ـ ٣٥٥

« ومن تقعر الحيص بيص في كتابته : ما حدث به بعض أصحابه أنه نقه من مرض فوصف له صاحبه هبة الله البغدادي الطبيب أكل الدُّراج فمضى غلامه واشترى درّاجا واجتاز على باب أمير وغلمانه يلعبون ، فخطف أحدهم الدُّراج فأتى الغلام الحيص بيص وأخبره الخبر فقال له : ائتني بدواة وقرطاس فأتاه بها فكتب الى ذلك الأمير : لو كان مبتز دراجة فتخاء كاسر وقف بها السغب بين التدويم والتمطر ، فهي تعفى وتسف وكان بحيث تنقب اخفاف الابل لوجب الاغذاذ الى نصرته ، فكيف وهو ببحبوحة كرمك والسلام . ثم قال لغلامه : امض بها وأحسن السفارة بايصالها للأمير ، فمضى بها ودفعها للحاجب فدعا الأمير بكاتبه وناوله الرقعة فقرأها ثم فكّر ليعبر له عن المعنى فقال له الأمير : ما هو : فقال مضمون الكلام أن غلاماً من غلمان الامير أخذ دراجا من غلامه . فقال : اشتر له قفصاً مملوءاً دراجا واحمله اليه ففعل [١] .

« وكتب إلى أمين الدولة ابن التلميذ يطلب منه شياف أبّار : أزكنك أيها الطب اللب ، الآسي النطاسي ، النفيس النقريس ، أرجنت عندك أم خنوّر ، وسكعت عنك أم هوبر ، إني مستأخذ أشعر في حنادري رطبا ليس كلبشبوه ولا كنخز المنصحة ولا كنكز الحضب بل كسفع الزخيخ ، فأنا من التباشير الى الغباشير لا أعرف أبن سمير من ابن جمير ، ولا أحس صفوان من همام ، بل آونة أرجحن شاصبا وغينة احنبطي مقلوليا ، وتارة أعرنزم ، وطوراً اسلنقي ، كل ذلك مع أح أح [٢] ، وتهم قرونتي أن أرفع عقيرتي بعاط عاط

---

(١) في هامش الارشاد ، فتخاء : الفتخ عرض الكتف والقدم ، كاسر من كسر الطير جناحه : ضمها يريد الوقوع ؛ التدويم والتمطر ، تدويم الطائر : تحليقه في الهواء أو طيرانه بدون أن يحرك جناحيه ، والتمطر : اسراعه في هويه . تعفى : تحوم حول الشيء وترتفع . وتسف : تمر على وجه الارض ...

(٢) في مطبوع دار المأمون أخ وأخ ويصلحها الدكتور مصطفى جواد بـ أح وأح

إلى هياط ومياط ، وهالي أول وأهون وجبار ودبار ومؤنس وعروبة وشيار ولا أحيص ولا أليص ، ولا أغرندي ولا أسرندي ،فبادرني بشياف الآبار ، النافع لعلتي ، الناقع لغلتي .

فلما قرأ أمين الذولة رقعته نهض لوقته وأخذ حفنة شياف أبار ، وقال لبعض أصحابه : أوصلها اليه عاجلا ولا تتكلف قراءة ورقة ثانية (١)

---

(١) في هامش ارشاد دار المأمون ، شياف الابار : دواء للعين . ازكنك : اعلمك . الطب : الحاذق في عمله . اللب : الملازم لعمله المقيم عليه ، النقريس الطبيب المدقق . أرجنت : أقامت . أم خنور : الدنيا. أم هوبر : الهوبر الفهد أوجروه . حنادري : جمع حندوره وهي سواد العين . رطبا : دمعا كلب شبوه : وشبوه علم على العقرب . المنصحة : الابرة . كنكز الحضب : أي لسع الحية . سفع الزخيخ : الاصطلاء بالجمرة . الغباشير : ما بين السحر والمساء ، وما بين الغروب والعشاء من الضوء. ابنا سمير : الأجدان . وابنا جمير : الليل والنهار، يقول لا أعرف الليل من النهار ، ويقال ابن سمير وابن جمير بهذا المعنى . ويوم صفوان : بارد ، وهمام : يوم البرد الثالث . ارجحن : أهتز . شاصيا : شاقا . أحنبطي : أمتلىء غيظاً . مقلوليا : قلقاً متجافياً عن محلي . أعرنزم : أتجمع وأنقبض . أسلنقي : انبسط على ظهري فأنام عليه . القرونة : النفس . عاط عاط : زجر للذئب وللخيل ، وينذر بها الرقيب اهله إذا رأى جيشا . هياط ومياط : اضطراب ومجيء وذهاب وشر وجلبه . جبار ودبار : جبار يوم الثلاثاء ودبار الاربعاء (من أيام الأسبوع وهي : أوهد : الأحد . أهون : الاثنين ... مونس : الخميس . عروبة : الجمعة . وشيار : السبت.) لا أحيص : لا أعدولا أحيد . ولا أليص : لا اجبن ولا اضعف . ولا اغرندي : لا أعلو بالشتم والضرب والغلبة . ولا اسرندي بمعناها فهي اتباع .

واكثر رسائل حيص بيص من هذا النوع . واكثر حاجاته من هذا الضرب . وكما يطلب الدراج وشياف الأبار ، يطلب المسواك والحصان والقصيل .

وليس غريباً - بعد هذا - أن يكون حيص بيص طامحاً يحدث نفسه بالولاية ، ويأنف ان يقف عند الشعر !

وظل على ذلك حتى توفي ببغداد في شهر شعبان من سنة ٥٧٤[١] عن اثنتين وثمانين سنة[٢] ، ودفن من الغداة - يوم الأربعاء ، بالجانب الغربي في مقابر قريش[٣] .

ومع ان المؤرخين الثقات - مثل ابن الدبيثي (الذي أدرك الشاعر) وابن خلكان - قد قالوا : « لم يترك عقبا » أو « لا عقب له » فانه لم يعدم من ينسب له من الخلف من يحفظ له صيغة حيص بيص فكان ان « سموا ابنه هرج مرج ، وابنته دخل خرج »[٤] .

---

(١) ذكر ابن الجوزي أن ذلك ليلة الاربعاء السادس عشر منه ، وذكر ابن الدبيثي وياقوت وابن خلكان انه ليلة الأربعاء في السادس منه ؛ ولا قيمة لما جاء فى السبكي المطبوع من ان الوفاة كانت عام ٥٥٤ ، ولا لما جاء في لسان الميزان من أنها كانت في شعبان اربع وخمسين وسبعمائة ، فلا بد من ان يكون مرد ذلك التصحيف . ويذكر الذهبي - كما في رواية ابن تغري بردى - انه توفي في شوال .

(٢) جاء في لسان الميزان : « وأرخ ابن الحضري وغيره وفاته ... وله اثنتين وثمانون سنة » .

(٣) هي بلدة الكاظمية الحالية ، ينظر فهرس الأمكنة من تكملة إكمال الاكمال .

(٤) الحنبلي عن ابن شهبة في تاريخ الاسلام ، وفى التعليقة : « وكان =

آثاره :

(١) لم يصل إلينا ديوان رسائله ، ولكن الخريدة حفظت مثلاً منها ، كما ان نصوصاً اخرى وردت في ارشاد الاريب ووفيات الأعيان - وقد اقتبسنا منها نماذج تمثل اسلوبه وتعرب عن نفسيته وغرابة اطواره .

(٢) ديوان شعره ، وقد جمعه بنفسه وكان السمعاني بعض من قرأه عليه[1] ، وظل مشهوراً معروفا ، ولكنه لم يصل إلينا ، لأن النسخة الخطية التي تحتويها مكتبة رامپور باسم « ديوان حيص بيص » ليست في حقيقتها ديوانا وإنما هي أشبه بمختارات واسعة لا تخضع فى تواليها الى نظام ، وتقع فى ٢٥٥ ورقة على الرغم مما فقدت من أولها وآخرها . ويخمن تاريخ نسخها بالقرن التاسع أو العاشر ، وكأن الناسخ - أو المختصر - اعتمد نسخة للمؤلف (تنظر و ٥٤ ب ، ٨٢ ب) . وقد صور معهد إحياء المخطوطات بالجامعة العربية هذا « الديوان » . وفي المجمع العلمي العراقي صورة لنسخة المعهد .

ومما يذكر أن حيص بيص فضل - في خطبة ديوانه الشعر على النثر وقال : « وحسب الشعر فخراً ، أن الانسان يسمع المعنى نثراً فلا يهز له عطفاً ، ولا يهيج له طربا . فاذا حول نظما فرّح الحزين وحرّك الرزين ... »

خاتمة :

جعل العماد حيص بيص في « باب محاسن الشعراء » فى العراق وابتدأ به وقال « هو أفضلهم » - وما بالغ العماد ، لأنه أفضل بكثير ممن ذكره الى جواره

= له أخ بلقب بهرج مرج ، ولهما أخت لقبها مجان بغداد بدخل خرج » - وينظر هامش ص ٣٧٢ من تكملة إكمال الاكمال .

(١) وجاء في « لسان الميزان » : « ومن شعره ما أنشده ابن النجار عن قيصر بن مظفر عنه ... » .

من شعراء الخريدة ، بل اننا نرى النقاد معتدلين في ثنائهم عليه اعتدالاً لم نتعوده. قال ابن الدبيثي : « ذكره ... ابن السمعاني في تاريخه وقال : كان حسن الشعر ، وله ديوان شعر أحسن القول فيه وأجاد[1] » . وهذا حكم معقول مقبول ، وما كنا لنقول أكثر منه ، وليست « أحسن وأجاد » بالقليلة إنما الذي يضعفها ، اضافتها الى أحكام النقاد القدامى ومبالغاتهم في إطراء الشعراء الآخرين الذين ينزلون عن حيص بيص درجات كثيرة .

ونص العماد على أهم مميزات الشاعر حين قال : « ذو الجزالة ... والاصالة[2] » . وقد تقول انه غريب الأطوار ! وليكن ؛ لأن هذه الغرابة التي شغلت المترجمين - والتي لا يمكن أن تسلم من التزيد - لا تحول دون الاجادة ؛ وليس عجيباً أن تبدو أصالته على أوضحها في غرض الفخر الذي يجلو فيه مطامحه كما يتخيل أنه بالغها - في الأقل . وهو في هذه المطامح قريب للأبيوردي[3] . وكثيراً ما امتزجت الشكوى بالفخر .

---

(١) وجاء في « المرآة » : كان الحيص بيص شاعراً فاضلاً .

(٢) وقال : « أطاعه واعسر الكلام وسهله ... وكل شعره متناسب مختار ، متناسق مشتار ممتار . »

(٣) ... وليس بعيداً جداً من المتنبي .

الفصل السابع

شعراء آخرون

عج العصر بعدد عديد من الشعراء ، وقد ترجمنا - في فصولنا السابقة - لمن تجدر ترجمته ، وبقي - مع ذلك - كثيرون غيرهم ، لا تمكن الاطالة في الكلام عليهم لندرة ما بأيدينا من أخبارهم أو أشعارهم ، ولا يمكن الاستغناء عن التعريف بهم لأنهم بين مشهور في زمانه وبين مقل تدل نماذجه التي وصلت الينا على أصالة ما ، هذا الى انه سيجرى ذكر لهؤلاء وأولئك في فصولنا اللاحقة ، لهذا ، وتسهيلاً للمراجعة ، وحفظاً لهم من الضياع بين حواشي الكتاب ، رأينا أن نكرس لهم فصلاً خاصاً ينهج في ترتيبهم - قدر الامكان - على التأريخ الزمني لوفياتهم . ومن هؤلاء :

١ — أبو الجوائز

الحسن بن علي بن محمد بن باري بن حمزة ، أبو الجوائز الكاتب الواسطي . قال الخطيب البغدادي : « سمعت أبا الجوائز يقول : ولدت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة [١] » ، وقال انه « سكن بغداد دهراً طويلا » . وعده البيهقي والعماد في شعراء الدولة القائمية . وذكر الباخرزي أنه رآه « بين يدي عميد الملك

---

(١) وهو التاريخ الذي تثبته المصادر الموثوق بها مثل الخطيب وابن خلكان ، ولا قيمة لما جاء في المنتظم والنجوم الزاهرة من أنه ولد سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، ولابد من أن يكون مرد ذلك الى التصحيف .

بمدينة السلام ينشده قصيدة جيمية في نهاية الحسن ... وهو يؤمئذ شيخ كبير أكل الدهر عليه وشرب » .

لقد كان أبو الجوائز أديباً ، شاعراً ، ماهراً ، حسن القول ، حسن الشعر في المديح والأوصاف والغزل وغير ذلك . روى الباخرزي - والعهدة عليه - ان « الجماد لو غنى بشعره لطرب » ونص العماد على انه « كان شاعر زمانه وفارس ميدانه ، وناظم درة جمانه[١] » .

وقال الباخرزي انه « قد تجشم لتحرير جزء لي بخط يمينه ... مشتمل على فوائد من مقوله ومنقوله ، ففجعني به الزمان واقتطعني عنه الحدثان ، وصرف الرزايا بالذخائر مولع » وزاد ابن خلكان : « لأبي الجوائز تواليف حسان وخط جيد ، وأشعار رائقة ، وقفت له على مقاطيع كثيرة . ولم أر له ديواناً ، ولا أعلم هل دون شعره أم لا » .

ومن هذه المقاطيع ما نجده في الدمية ووشاحها والخريدة - وهي لا تدل على شاعرية أو أصالة .

ولم يكن أبو الجوائز شاعراً حسب ، فقد علق عنه الخطيب أخباراً وحكايات وأناشيد وأمالي . ولكن الخطيب نفسه يستدرك فيقول « ولم يكن ثقة فانه ذكر لي أنه سمع من ابن سكره ، وكان يصغر عن ذلك »[٢]

قال الخطيب : غاب عني خبره سنة ٤٦٠ ، وقال العماد في النصرة انه توفى سنة ٤٦٠ ، وقال ابن خلكان : « قد صح أن وفاته كانت سنة ٤٦٠ »[٣] ، اما ابن الجوزي فيجعلها سنة ٤٦٢ .

من مصادر دراسته : الخطيب البغدادي ٧ : ٣٩٣ - ٤ (وأكثر المصادر الأخرى عيال عليه) ، الدمية ص ٨١ - ٨٢ ، من المطبوع وص ٥٨ - ٥٩

---

(١) ولعل الأصح أن تكون « درر جمانه . »

(٢) توفى ابن سكره عام ٣٨٥

(٣) وكذلك جعلها صاحب الفوات

من مخطوط المتحف العراقي رقم ١١٦٦ ، ابن الجوزي ٨ : ٢٥٨ ، النصرة و٢٨ أ ، ١١ أ (وينظر البنداري ص ٣٤) ، الخريدة مج ١ و١٢٥ ب ، ابن الأثير عام ٤٦٢ ، الوفيات ١ : ٢٤٨ (والفوات ١ : ١٦٥) ، النجوم الزاهرة ٥ : ٨٥

٢ — البياضي :

الشريف ابو جعفر مسعود ... العباسي الهاشمي (١) ...« وانما قيل له البياضي ، لأن أحد أجداده كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العباسيين ، وكانوا قد لبسوا سواداً ما عداه فانه لبس بياضاً فقال الخليفة : من ذلك البياضي . فثبت ذلك الاسم عليه واشتهر به ..» (٢)

كان البياضي (أو ابن البياضي) من الشعراء المجيدين المطبوعين ، وقد توفي في السادس عشر من شهر ذي القعدة من سنة ٤٦٨ . وخلف ديواناً قال عنه ابن خلكان انه صغير ... وليس فيه من المدائح إلا اليسير . »

---

(١) وقد اختلف في سلسلة نسبه . فبينما يقول ابن خلكان : « مسعود بن عبدالعزيز بن المحسن بن الحسن بن عبدالرزاق ... هكذا وجدته بخط بعض الحفاظ المتقنين » اذ يقول « ورأيت فى أول ديوانه انه . . مسعود بن المحسن بن عبد الوهاب بن عبدالعزيز بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي » . وفي الكامل انه مسعود بن المحسن بن لحسن بن عبدالرزاق » وعند أبي الفداء أنه : مسعود بن عبدالعزيز »

(٢) ابن خلكان . ويقول : البياضي نسبة الى ... « جماعة نسبوا إلى لبس الثياب البيض ببغداد واشتهر بذلك أبو علي محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن عيسى بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي . » . وينظر الأنساب في رواية نقلها السمعاني عن الخطيب عن أبي القاسم التنوخي .

من مصادره : دمية القصر ، ـ الأنساب و٩٧ ب (اللباب ١ : ١٥٩) ، ابن الجوزي ٨ : ٣٠٠ ، ابن الأثير ٩ : ٧٠ (= ٨ : ١٢٣ من ط . الاستقامة) ، ابن خلكان ٢ : ٥٢٩ ـ ٥٣١ ، ابو الفداء ٣ : ١٩٢ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١٠٣ ، الحنبلي ٣ : ٣٣١ ـ ٢ ، وينظر أعلاه ص ١٤٨ .

٣ — العاصمي :

أبو الحسين عاصم بن الحسن بن محمد بن علي بن عاصم بن مهران . ولد سنة ٣٩٧ . وهو من أهل الكرخ كان يسكن باب الشعير . سمع أبا عمر عبدالواحد بن مهدي وأبا الحسين أحمد بن محمد بن حماد بن المتيم الواعظ وأبا الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران [1] وغيرهم. وحدث فكان ثقة متقنا ، صدوقا ، عفيفاً ، كيساً ، مكثرا من الحديث ونقل عنه الاشياخ كثيراً . [2]

وكان الى ذلك من ملاح [3] بغداد وظرفائهم ، مطبوع البادرة ، مليح المحاورة ، وكان من أهل الفضل والأدب والفصاحة والشعر ، قال السمعاني له شعر رقيق ، مليح في الغزل ووصف الخمر ، في غاية الحسن ـ وما عرف [4] له صبوة ولا اشتغال قط بمعاناة ذلك . » قال العماد انه « قريب المأخذ بعيد عن التكلف » وقال ابن الجوزي « له الاشعار الرائقة النادرة المستحسنة » . واشتهرت مقطوعته :

---

(١) ابن بشران المحدث توفي عام ٤١٥ . وهو غير ابن بشران (ابي غالب محمد بن أحمد بن سهل) النحوي الشاعر (٣٨٠ هـ ـ ٣٦٢ هـ . ينظر عنه الارشاد، المنتظم ...). وسئل النحوي في نسبه إلى ابن بشران فقال : « هو جدي لأمي وهو ابن عم ابن بشران المحدث »

(٢) جاء في الانساب : « روى عنه أبو بكر الخطيب ومات قبله بعشرين سنة » ولكن هذه العبارة جاءت في المنتظم المطبوع : « وحدث عن أبي بكر الخطيب ».

(٣) كذا وردت في المنتظم ـ مثلا . وجاءت في الانساب على « مداح » ولا وجه لذلك مع السياق ، وقد صححها أحد الفضلاء على الهامش بـ « مزاح » .

(٤) وترد : « ولم يكن له .. »

ماذا على متلون الأخـلاق لو زارني فابثـه أشواقي

قال ابن الجوزي : « سمعت شيخنا عبدالوهاب بن المبارك الأنماطي يقول : قال عاصم مرضت ، فغسلت شعري »

توفي عاصم في جمادي الآخرة من سنة ٤٨٣[1] ودفن في مقبرة جامع المدينة.

إن القليل الذي بلغنا من شعر العاصمي يدل على نفس شاعر .

من مصادره : الانساب و ٣٧٨ أ - (واللباب ٢ : ١٠٥ ، ٢٤٥) ، الخريدة ، مج ١ و ٤٢ أ - ٤٣ أ (من مخطوط باريس) ، ابن الجوزي ٩ : ٥١ - ٥٢ ، المستفاد و ٣٩ ب ، ابن الاثير سن ٤٨٢ ، ابو الفدا ٣ : ١١٩ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١٢٨ سن ٤٨٢ ، اليافعي ٣ : ١١٧ ، ١٣٤ ، الحنبلي ٣ : ٣٦٨ .

٤ — ابن ناقيا :

أبو القاسم عبدالله - وقيل عبدالباقي - بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقيا ، الأديب الشاعر اللغوي المترسل . من أهل الحريم الطاهري ببغداد . ولد عام ٤١٠ هـ ودرس الأدب وسمع الحديث . ولـكن ابن الجوزي يقول : « حدث عنه أشياخنا ورموه بأنه كان يرى برأي الأوائل ويطعن على الشريعة ، وقال شيخنا عبدالوهاب الأنماطي : ماكان يصلي ، وكان يقول في السماء نهر من خمر ونهر من لبن ونهر من عسل ما سقط منه شيء قط ... »

ومن آثاره انه اختصر « الاغاني » فى مجلد واحد ، وله ديوان شعر وديوان رسائل، ولم تصل الينا هذه المؤلفات ، كما أن له كتاب مقامات مطبوع.

توفي ابن ناقيا فى محرم عام ٤٨٥ ودفن بباب الشام ببغداد .

ومن مصادره : ابن الجوزي ٩ : ٦٨ ، الخريدة ج ١ و ٥٦ ب (شاعر مجيد

---

(١) جعل ابن الجوزي وفاته عام ٤٨٢ ، وذكره ابن الأثير فى حوادث عام ٤٨٢ ثم عقب بأن الصحيح انه توفى سنة ثلاث وثمانين .

من شعراء الدولة القائمية .) ابن الأثير ١٠ : ١٤٨ (= ٨ : ١٦٦ من ط . الاستقامة) ، ابن خلكان ١ : ٤٧٥ ـ ٦ ، كشف الظنون ص ٢٥٢ من ط . فلوجل .

٥ — ابن أبي الصقر :

أبو الحسن محمد بن علي بن الحسن بن عمر ، المعروف بابن أبي الصقر الواسطي ، من شهود واسط وأعيانها . ولد في ذي الحجة[1] من سنة ٤٠٩[2] . تفقه في بغداد على أبي إسحاق الشيرازي وعلق عنه تعليقات ، وسمع منه ومن أبي بكر الخطيب وأبي سعد المتولي . وروى عنه أبو غالب الذُهلي والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر الدين وأبو منصور موهوب الجواليقي وغيرهم ، وجوّد الخط فبلغ فيه الغاية ، وكان كاملاً في البلاغة والفضل ، وغلب عليه الأدب والشعر فبرع فيهما .

كان من شعراء الدولة القائمية والمقتدية والمستظهرية ، وظهر تعصبه الشديد لمذهب الامام الشافعي في قصائده المعروفة بالشافعية . وجمع ديوانه في مجلد .

عاش طويلاً . وقال ـ وقد طعن في السن وعجز عن المشي :

كلُّ امرئ إذا تفكرت فيه أو تأملته رأيت طريفا
كنت أمشي على اثنتين قويا صرت أمشي على ثلاث ضعيفا

وحضر عزاء طفل وهو يرتعش من الكبر ، فتغامز عليه الحاضرون ، يشيرون الى موت الطفل ، وطول حياته مع هذه السن ، ففطن لهم وقال :

إذا دخل الشيخ بين الشباب عزاءا وقد مات طفل صغير

---

(١) كذا في وشاح الدمية ، وجعله ياقوت في ذي القعدة ، وابن خلكان في ليلة الاثنين ثالث عشر ذي القعدة .

(٢) يقول أبو الفدا : « كانت ولادته في نحو سنة سبع وأربعمائة » .

رأيت اعتراضـــا على الله إذ   توفى الصغير وعاش الـكبير
فقل لابن شهر وقل لابن دهر   وما بين ذلك : هـــذا المصير

وله في كبره أبيات أخرى ، منها :

عـــلة سميت ثمانين عاما   منعتني للأصدقاء القيـــاما
فاذا عمّروا تمهـــد عذري   عندهم بالذي ذكرت وقاما

ومنها :

ولما الى عشر تسعين صرت   ومالي اليها أبٌ قبـــل صارا
تيقنـــت أني مستبـــدل   بداري داراً وبالجبـــار جارا
فتبت الى الله مما مضـــي   ولن يُدخل الله من تاب نارا

توفي بواسط عام ٤٩٨ [١] ، يوم الخميس رابع عشر [٢] جمادي الاولى [٣] .

ولم يصل الينا ديوانه ، وآخر أخبارنا عنه ما رواه ابن خلـكان من أنه رآه بدمشق في الخزانة الاشرفية . ولا تدل الأبيات التي قرأناها له على « البراعة » التي سكبها على شعره النقاد القدامى .

ومن مصادره : وشاح الدمية (ومن مصادرها ذيل ابن الهمذاني) ابن الجوزي ٩ : ١٤٥ . الخريدة ج ١ (باب ذكر محاسن أهل واسط) ص ١٣٥ ؛ الارشاد ٧ : ٤٣ ـ ٤٥ (= ١٨ : ٢٥٧ ـ ٢٦٠ من ط . المأمون) ؛ السبكي في طبقات الشافعية ٣ : ٨ ، ابن خلـكان ٢ : ٣٨٤ ؛ ابن الأثير سن ٤٩٨ (= ٨ : ٢٢٩ من ط . الاستقامة) ؛ أبو الفداء ٣ : ٢٢٠ ؛ المرآة ٨ : ١٤ ـ ١٥ ؛ النجوم الزاهرة ٥ : ١٩٤ .

---

(١) وجاء في معجم الأدباء ط . دار المأمون انه توفي سنة ٤٦٨ وهو خطأ مرده التصحيف وقلة التحقيق .

(٢) وفي كامل ط . الاستقامة : في رابع جمادي الأولى .

(٣) وشاح الدمية والارشاد . وجاء في الوشاح انه « عاش تسعين سنة إلا شهورا » .

٦ — شبل الدولة :

الأمير أبو الهيجاء مقاتل بن عطية ... البكري الحجازي من أولاد أمراء العرب ومن نسل أبي بكر الصديق . وقعت بينه وبين أخوته خشونة ففارقهم ووصل الى بغداد ثم خراسان وغزنة ، واختص بنظام الملك وصاهره ثم عاد الى بغداد وأقام بها مدة وقصد كرمان ونال عطاء مكرم بن العلاء وعبر جيحون « ودخل تركستان ومدح خانها » وعاد الى خراسان ونزل الى مدينة هراة واعتلق بها حبل امرأة ثم عاد الى مرو وسكن بها .

مرض آخر عمره وتسودن وحمل الى مارستان مرو وتوفي به في عام ٥٠٥ على روايه ابن خلكان . وخلف « كل مقطوع لطيف » .

ومن مصادره : الخريدة ج ١ و ٨٠ ب ـ ٨٢ (وجاء أنه توفي في حدود عام ٥٥٠ ، وفي ذلك تحريف) ؛ ابن خلكان ٢ : ٥٦٩ـ٥٧٠ الصفدي في الوافي ١٢ : و٢٧٠ ب ـ ٢٧٢ب ؛ اليافعي ٣ : ١٩٢ ـ ١٩٣ ؛ محمد بن إبراهيم ص ١٩ ـ ٢٠ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٢٠٤ سن ٥٠٥ ؛ ابن كثير (وينقل عن ابن خلكان) ؛ هارتمان ٤ : ٨٢٣ (ويذكر أنه توفي عام ٤٨٥ !)

٧ — السنبسي :

القائد أبو عبدالله محمد بن خليفة النميري العراقي الانباري ، أصله من هيت ، أقام بالحلة عند سيف الدولة صدقة بن مزيد فكان من أنخم شعرائه . « ولما قتل سيف الدولة مدح دبيسا فلم يحسن اليه فوافى بغداد في الأيام المسترشدية ومدح الوزير ابن جلال الدين علي بن صدقة فأحسن اليه وأجزل له العطاء » .

أكثر السنبسي من الاسفار حتى انه عبر جيحون ورأى يوزكند . ومات ببغداد سنة ٥١٥ .

« كان خبيراً بأخبار العرب وأشعارها ، جيد الشعر مشهوراً بين أهل

الفضل والقريض » - واتهم - مع ذلك - بسرقة الشاعر المعروف بالبريغيث الشامي .

من مصادره : الخريدة ج ١ (باب الحلة) و ١١٤ أ - ١١٨ أ من مخ . باريس ، ٦٢ أ من مخ . ليدن في حديثه عن مقدار المطاميري ، معجم البلدان ٤ : ٨٦١ (النيل) ٢ : ٥٦٢ (مطامير) ، ص ٢٤ (ساوة) ٤ : ١٠٤٣ (يوزكند) ؛ ابن شاكر الكتبي في الفوات ٢ : ٢٥٠ - ٢٥١ ، وفي عيون الانباء ج ١٢ سن ٥١٥ و ٤٤ ب : هارتمان ج ٤ (ويذكر انه مات عام ٥١٩ !) ، دائرة معارف البستاني ١ : ٥٢٩ . وينظر المخطوط الرقم ٢١٣١ من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس ، الورقة ٣٥ (علي ابن محمد السنبسي شاعر مدح الامام المستظهر بالله ...)

جاء في الانساب و٣١٢ « سنبس قبيلة معروفة من طي » ، وفي الوافي : « اسم أمه سنبسة » .

ومن مراجعه ما نشره الدكتور مصطفى جواد في السنة الثامنة من مجلة الغري ، وقد استند عليه الشيخ محمد علي اليعقوبي في الجزء الاول من كتابه « البابليات » المطبوع في النجف عام ١٩٥١ .

٨ — المطاميري :

مقدار بن بختيار ابن المطاميري ، شاعر دولتي المستظهر والمسترشد وأحد شعراء صدقة المزيدي . تنظر عنه الخريدة مخ . باريس مج ١ و٢٩ أ - ٣٠ أ ، مخ . ليدن ٢٠٢ - ٢١١ ، معجم البلدان (مطامير) - ومطامير قرية بحلوان العراق .

٩ — مرجا :

الصارم مُرجا بن بتاه (؟) البطائحي ، خال مهذب الدولة ابن أبي الجبر .

كان « شاعرا هجاءا ، على الثلب هجاما » ، هجا - فيمن هجا - ولده وامرأته وخاله وابن اخته . ومن حوادث حياته زيارته لصدقة في الحلة ومنها هجاؤه الذين تصرفوا بالحلة بعد مقتل صدقة . ومنها أنه استعان بالمسترشد فأكرمه .

هجا مرجا ابن حماد فأمر بقتله ، وكان في إحدى القرى فجاء بعض الاجلاف فطعنه فأرداه .

وفى القليل الذي بلغنا من شعره ما يدل على أصالته . وقد عده العماد (وهو مصدره الوحيد في خريدته ونصرته) من « فحول الشعراء وأعيان الفضلاء » . ولعل هذا الحكم يشير إلى نواح أخرى من حياته في غير السخف والهجاء .

١٠ — ابن الخازن :

أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل بن عبدالخالق . ولد حوالي عام ٤٧٠ ببغداد ، وأصل آبائه من الدينور قال العماد انه : « كان ظريفاً لبيبا أديبا . . . كاتبا[١] ، حاسبا ، وكان ثوب الزمان بعلمه معلما وبفضله مطرزاً وبأدبه قشيبا ، وعين العصر بانسانه ناظرة ورياض الأماثل بأزهاره ناضرة » . وقال : « كتب لي ديوان شعره بخط ولده أبي الفتح نصرالله[٢] ببغداد ، من جمعه ، وذكر في خطبته : ولما درج الوالد يرحمه الله - . . . ، رأيت استهتار الصدور بلفظه المنظوم والمنثور ، شرعت فى جمع الموجود من شعره ، وتأليف نتائج فكره ، على قله لا كثره ، لأنه لم يكن من ذوي الاطماع والانتجاع . وجميع المدائح نظمها عند كونه يكتب عن أربابها وانقطاعه الى اصحابها » .

استخرج العماد لخريدته من الديوان « ماهو منتخب بيانـــه وطراز

---

(١) كان أوحد وقته فى الخط

(٢) تنظر عن أبي الفتح : الخريدة ، مخ . پاريس و٤٨ ب . وينظر ابن خلكان في ترجمة ابيه (أحمد)

زمانه ، على حروف المعجم » .

ذكر أبو الفتح أن والده توفى في صفر سنة ٥١٨ وله سبع وأربعون سنة » وقد نقل هذا التاريخ العماد ، وعن العماد ابن خلكان . ومع هذا ، جعل ابن الجوزي الوفاة عام ٥١٢ (وكذلك فعل سبطه) .

من مصادره : الخريدة مج ١ و٥٩ ب - ٧٢ ؛ ابن الجوزي ٩ : ٢٤ سن ٥١٢ ؛ ابن الأثير ١٠ : ٣٨٣ ؛ ابن الدبيثي ج ٢ مخ . باريس . رقم ٣١٢٢ ص ٩١ - ٩٢ ؛ ابن خلكان ١ : ٨١ - ٨٣ ؛ الحنبلي ٤ : ٥٧ ؛ المرآة ، مج ٨ ق ١ سن ٥١٢ .

١١ — ابن حكينا :

أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن حكينا الشيخ الأديب الشاعر البغدادي من أهل الحريم الطاهري . كان من ظرفاء الشعراء الخلعاء ، مكثر مجيد ، وأكثر اشعاره مقطعات . « أجمع أهل بغداد على أنه لم يرزق أحد من الشعراء لطافة طبعه ، وله نوادر من حقها أن تكتب بماء الذهب » . « لم يجد الزمان بمثله في رقة لفظه وسلاسته ، وهو ممن سار شعره وحفظ نظمه واستجيد قوله » . « وقد أكثر في المدح والهجاء والغزل والجد والهزل » .

توفي ابن حكينا عام ٥١٨ . (وجاء في شذرات الذهب أنه توفي سنة ٥٢٩ أو ٥٢٨ . وكان يلقب بالبرغوث) . يرد اسمه على ابن جكينا كما فى مخطوطة ابن الدبيثي والحسامي . وقد يكون مرجع ذلك الى التصحيف .

من مصادره : الخريدة مج ١ مخ . ليدن ص ٢١٤ - ٢١٩ ، مخ . باريس و٣٠ ب ؛ ابن الدبيثي مج ٢ مخ . باريس رقم ٢١٣٣ ص ٣٠١ ، ورقم ٥٩٢٢ الورقة الأولى ؛ المستفاد و٣٠ ب ؛ فوات الوفيات ١ : ١٤٨ - ١٤٩ ؛ الحنبلي ٤ : ٨٨ - ٨٩ .

١٢ — النعماني :

أبو محمد طلحة بن محمد بن طلحة . والنعماني نسبة إلى بلدة على شط الدجلة يقال لها النعمانية بين بغداد وواسط . كان فاضلا ، عارفاً باللغة والأدب والشعر . ورد بغداد وخراسان ، وورد البصرة أيام الحريري صاحب المقامات، وقصد اليمن وله فيها قصائد منها واحدة مؤرخة بعام ٥٠٤ وثانية ٥٠٥ .

وكان كثير الحفظ ، جيد الشعر ، سريع البديهة .

توفي النعماني سنة ٥٢٠

ومن مصادره : الخريدة مخ . ليدن مج ١ ، مخ . باريس مج ١ و٢٠ ب — ٢٤ ب ؛ الارشاد (طلحه) تنظر ص ٢٦ من ج ١٢ من ط ٢ وتقابل بالطبعة الأولى . وينظر إنباه الرواة .

١٣ — ابن الاخوة :

أبو علي الفرج ... ابن الاخوة المؤدب البغدادي الشيباني . مات سنة ٥٤٦ وأهم مصادره الخريدة مج ١ مخ . ليدن . ولم يفس العماد أن يقول فيه انه « أوحد عصره في نظمه ونثره . سلس اللفظ ، رائق المعنى ، سهل الأسلوب »

أخوه أبو الفضل جمال الدين عبدالرحيم بن أحمد ابن الاخوة ... ولد بمدينة السلام ونشأ فيها ، ودرس الأدب والنحو والتفسير والحديث ، وسافر إلى خراسان والري وطبرستان ... وأقام بأصفهان أربعين سنة حتى كاد يعد من أهلها : قال العماد انه : « جامع للعلوم ، ومنفرد بانشاء المنثور والمنظوم ... يكاد شعره من اللطافة يذيب القلب القاسي ، معانيه أدق من السحر الحلال ، وألفاظه أرق من الماء الزلال ... »

مات ابو الفضل بشيراز عام ٥٤٨ هـ .

ومن مصادره : الخريدة مج ١ و٣٧ ب ؛ وينظر من ديوان الراوندي ،

حواشيه ص ٢٦٢ - ؛ الفوات ١ : ٣٤١ ؛ ديوان الراوندي في المقدمة وص ١٨٩ ؛ مصطفى جواد فى السنة السابعة من مجلة الغري (العدد الثالث والرابع والخامس) (ومن مصادره : الذهبي في الميزان وأعاده العسقلاني في لسان الميزان ، ومنها المجلسي في بحار الأنوار ٢٥ : ٢٧ - ٢٨ ، روضات الجنّات) والدكتور مصطفى جواد معجب بأبي الفضل بدليل قوله : « ونفسه نفس شاعر مقتدر ... ولقد كان واثقاً بجلالة شعره وقوة قريحته.. لقصائده الغر وأناشيده العذبة ... » .

١٤ — ابن أبي الفتوح :

الأمير نجم الدين أبو العباس أحمد بن أبي الفتوح المختار بن محمد بن عبيد بن جبر بن سليمان الليثي - ابن اخي مهذب الدولة - وكان هو وأبوه من أمراء البطيحة .

قدم بغداد ومدح الامامين المستظهر والمسترشد ، ومدح المقتفى لأمر الله . ولم يمدح أحداً يستجديه ، واقتصر على مدح أهله وذويه . وكانت له مراسلات مع الحريري .

مات له ابن فبكى عليه إلى أن ذهبت عينه ثم تلتها العين الأخرى . فقال يشكو الزمان :

كأنما آلى على نفسه   أن لا يرى شملا لاثنين

لم يكفه ما نال من مهجتي   حتى أصاب العين بالعين

توفي بالغراف سنة ٥٤٧ (وقيل ٥٤٨) . ولم يصل إلينا من « شعره الكثير » إلا فقر روتها الخريدة ونكت الهميان (وينظر المستطرف ٢ : ٤٠١ في الباب الثاني والثمانين)

١٥ — الأسطرلابي :

أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف (وقيل أحمد) ، عرف بالبديع

الأسطرلابي[١] . كان حكيما عارفاً بالطب والرياضة والهيئة والنجوم والرصد والزيج متقناً علم الآلات الفلكية والاسطرلاب فنسب إليه وحصل له مال جزيل من عمله (في خلافة المسترشد) ، ولم يخلفه في صناعته مثله .

وكان – إلى ذلك – أديباً فاضلا قال الشعر الرائق الكثير . وقد جمع ديوانه بنفسه وكان كثير الخلاعة يستعمل المجون في أشعاره حتى يفضي به إلى الفحش في اللفظ . وعمل مختارات في ديوانه ابن الحجاج رتبها على مائة وواحد وأربعين بابا وجعل كل باب في فن من فنون شعره ، وقفاه وسماه درة التاج من شعر ابن الحجاج[٢] .

توفي البديع الاسطرلابي سنة ٥٣٤ بعلة الفالج ودفن بمقبرة الوردية بالجانب الشرقي من بغداد[٣]

ومن مصادره : الخريدة مج ١ مخ . باريس ص ١٠٩ – ١١٠ ، القفطي ص ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٨٠ – ٢٨٣ ؛ الارشاد ٧ : ٢٤١ – ٢٤٢ ، ابن خلكان ٣ : ١١٤ – ١١٦ ، الصفدي في الوافي ٩ : و١٨٤ – ١٨٥ من مخطوطة المتحف البريطاني ، رقم ٢٣٣٥٧ ، المستفاد و٧٥ ب ، النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٥ سن ٥٢٩ (كذا) (وتجعل اسم ابيه الحسن وهو تصحيف) .

---

(١) هذه النسبة الى الأسطرلاب . والاسطرلاب كلمة يونانية معناها ميزان الشمس .

(٢) وهذا الوصف يقع على المخطوطة الوحيدة التي تضمها المكتبة الوطنية ، وقد حققها مؤلف هذا الكتاب معتمداً ما تيسر له من اجزاء ديوان ابن الحجاج . وتبلغ المخطوطة زهاء ٤٠٠ صفحة .

(٣) في هامش ص ٤٥ من تكملة إكمال الاكمال يذكر الدكتور مصطفى جواد ان الوردية هي مقبرة الشيخ عمر السهروردي الحالية . وينظر هامش ص ٧٥ .

١٦ — الراوندى :

السيد ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن علي بن عبدالله الحسني الراوندي من أهل قاشان ، وقاشان بلدة عندقم على ثلاثين فرسخاً من أصبهان ، وراوند قرية من قراها . قال فيه العماد انه « الشريف النسب ، المنيف الأدب ... العالم العامل ... ذو ... البديهة والارتجال ، الرائق اللفظ ، الرائع الوعظ ... له تصانيف كثيرة ... حصلنا ابّان النكبة بقاشان .. سنة ثلاث وثلاثين [وخمسمائة] .. وكنت أرى هذا السيد أعني أبا الرضا وهو يعظ فى المدرسة والناس يقصدونه ويردون اليه ويستفيدون منه .. » وقال السمعاني: « أدركت [بقاشان] ... أبا الرضا ... وكتبت عنه أحاديث وأقطاعا من شعره . ولما وصلت الى باب داره قرعت الحلقة وقعدت على الدكة انتظر خروجه فنظرت الى الباب فرأيت مكتوباً فوقه بالجص : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . »

وللسيد الراوندي « مشيخة عظيمة تزيد على عشرين رجلاً كابراً من الشيعة الامامية ... » وروى « عنه أيضاً جماعة أجلاء » وعد « استاذ أئمة عصره » . وكانت بينه وبين جمال الدين ابن الاخوة مراسلات ودية أدبية تعكس ما يكنه الواحد للآخر من احترام وتقدير .

وعلى كثرة من أطرى السيد الراوندي واثنى على عمله وفضله ، لم نر من حدد تاريخ وفاته ، ولعل أهم ما نعرفه فى هذا الباب ما ذكره العماد وقد تحدث فى الخريدة عن السيد كمال الدين أحمد بن فضل الله فقال : « وسافرت في آخر سنة تسع وأربعين الى بغداد وهو ووالده بقاشان في بهرة القبول وعرض الجاه والطول ... فسمعت بعد سنين[1] أن بدر الكمال نقص ثم استسر ، وأن عيش والده من بعده مرّ ... فهدت قوة متن الشيخ ... وخرجت من بغداد سنة

---

(١) يشبه أن يكون : « بسنتين » .

اثنتين وستين [وخمسمائة] وأشأمت وما أنست لبيانه بها رقة ولا شمت ، وأنا بالشام الآن لا أدري أهو فى الأحياء أم لحق بالسعداء ... » .

اما مدفنه فهو في قاسان قرب المسجد الجامع القديم .

وقد رأى العماد ديوان السيد الراوندي مع ولده كمال الدين ، ويظهر أن النسخة الكاملة فقدت ، ولم تبق إلا نسخة يمكن أن تكون مختصرة من الديوان المفصل . وعلى هذه النسخة التي تحتفظ بها « كتابخانهٔ ملي » بطهران بنى السيد جلال الدين الأرموي المشتهر بالمحدث طبعه (مطبعة المجلس بطهران عام ١٣٧٤ هـ . ق = ١٣٣٤ هـ . ش). ومن مقدمة السيد المحدث اقتبسنا أكثر أخبار الترجمة ، فلقد اعتمد - غير الخريدة[1] والانساب - المناقب لابن شهر اشوب وعمدة الطالب لابن عنبة والدرّجات الرفيعة للسيد علي خان والذريعة لآغا بزرك ... الخ .

وتقع نسخة الديوان المختصرة بـ ١٩٨ صفحة أكثرها مديح وأكثر المديح في مجد الدين عبيدالله بن الفضل القاشي . وفي مطالع القصائد نسيب يخيل لقارئه أن الشاعر من أبناء البادية وما هو بذلك ولكنه التمكن من اللغة والتأثر بالنصوص عامة وبالشريف الرضي خاصة .

١٧ — شيطان العراق :

أنوشروان (او نوشران) البغدادي الضرير . سافر الى بلاد الجزيرة وما والاها . ومدح الملوك والاكابر . وهجا أربل ثم اعتذر من هجائه ومدح الرئيس مجد الدين داود بن محمد . وعاد الى بغداد سنة ٥٧٥ ومدح المستضيء . غلبت على شعر شيطان الطاق الخلاعة والمجون والفحش ، وسلك فيه طريق

---

(١) مجلد بلاد العجم مخ . ليدن ، فصل قاشان وساوة ... » وقد وردت « أبو الرضا » على « أبو الرضى » .

الهزل وركب سنن الفكاهة مورداً ألفاظ البغداديين والأكراد .

خاتمة

هؤلاء أهم أعلام « الفترة » . وإذا قابلنا بين الأبيات التي وصلت الينا من أشعارهم وأقوال النقاد ، اتضحت المبالغة في أحكامهم إذ يمدحون بغير مقياس ويطرون من غير مكيال .

هذا ، وبقى بين هؤلاء وبين العهد المغولي أعلام آخرون أشهرهم الأبله وابن التعاويذي وابن المعلم .

تعقيب وتصويب

١ — زاد الرفاق (تنظر ، أعلاه ، ص ١١٨)

بدار الكتب المصرية بالقاهرة مخطوطة حسنة الخط والورق رقمها ٥٨٢ وتقع في ٣١٥ ورقة ونسخت سنة ١٢٨٨ ، كتب على غلافها « زاد الرفاق في المحاضرات لصدر الدين الأبيوردي » .

نعرف منها انه كان للمؤلف صديق صافاه الود طويلا ثم مال هذا الصديق عنه مشغولا بخمره ، وتكبر عليه معتداً بمعرفة العلوم المنقولة من رياضيات وفلك وما اليها . ثم إن هذا الصديق احتاج إلى العلم بالأنواء عند العرب فرأى أن يستعين بالأبيوردي ، ولأجابته عن سؤاله كان الكتاب .

وقد بدأه المؤلف بعتاب مر على المقاطعة مع كلام فى « فلسفة » الصداقة والصديق ثم دعوة الى التواضع العلمي مع سخرية لاذعة . ولم يكن بمستطاع من يحمل مثل روح الأبيوردي أن ينسى النسب والفخر ببني أمية ، أو أن ينسى إظهار علمه فى مختلف الفنون من لغة وأمثال وعروض[١] وأدب وفلسفة ، بلهجة تعكس صوراً من نفسيته[٢] .

والحقيقة أن الكتاب ثروة حضارية ودليل على سعة علم مؤلفه . ومن المفيد ان ننقل في أدناه اسطراً مختارة منه ... :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين .

---

(١) للمؤلف كتاب في العروض بدليل قوله : « ولقد أودعت كتابي الموسوم ببغية الشادي من علل العروض .. (٢) هذه اللهجة يمكن أن تكون دليلاً على صحة نسبة الكتاب الى الابيوردي .

أحقا عباد الله أن لست لاقيا   بثينة أو تلقى الثريا رقيبها

علام أيها الأخ وقاك الله المحذور ، ولقاك في مقاصدك السرور ، تضاهي النجم ورقيبه في المقاطعة ، ولا تباهي الثريا والعيوق بالمطالعة ، فمالك على الهجر مصرا ، وبمطية الغدر مستمراً[1] ... فان نزحت دارك، تراخت أخبارك، أو قرب مزارك لم يؤمن صدك وازورارك ، وكم زرتني مبكرا ، وعمتني معقبا ومهجرا ... فأدبر غريرك وأقبل هريرك ، وأذقتني مرارة البين ، وملت الي ارتشاف الأعذبين ، وألهتك قهقهة الابريق ، وأضربت صفحاً عن رعاية الصديق ...

وأنا أربأ بك عن خلق جبل عليه الأغبياء ، وترفع عن الالتباس به الألباء ، وقد هذّبتك الحكم اليونانية وادبتك الكلم العدنانية ... ولولا بطلان التناسخ وتخرص من يدعيه وتعجب اولي الألباب من تهافت افلاطون فيه لادعيت انك بطليموس تنجميا . . وجالينوس الفاضل فى طبه ، وارسطوطاليس فى لبه ، وأوميرس[2] فى نظمه ... فقد أحطت علماً بمواقع النجوم وأربيت فهما على حكماء الفرس والروم ... ولولا ما أجنه من الشغف بعلوم العرب واعتمده من نشر مناقبهم محافظة على النسب لجاذبتك أهداب هذه الفنون ، وبثثك ما استودعته من سرها المكنون ، ولكني بغيرها موسوم ، وما منا إلا له مقام معلوم :

إذا هبطت حوران من رمل عالج   فقولا لها ليس الطريق كذلك

وهذا العلم سامية رتبه ، غير متدانية شعبه ، ولا يقتعد الرئاسة فيه إلا من وفر العناية عليه ، وتابع الدروب في الوصول إليه :

وإن جسيمات الأمور مشوبة   بمستودعات فى بطون الأساود

---

(١) مستمرا : في المخطوطة ، مستقرا .

(٢) جاء في هامش المخطوطة : قوله وأوميرس : قيل انه أول من وضع الشعر من أهل اليونان .

... وبيننا نسبة العلم والغربة ، وهي توفي على وشائج القربى فى الرتبة ، فلم تؤثر البعداء بطولك ، وتغذوهم بالحكم فى فعلك وقولك ، وتجفو الأدنين من جيرتك ، وترميهم بما ينافي المألوف من سيرتك .. وإلام اناديك ولا تجيب ، وحتام يحضرني خيالك ، وتغيب والمسافة دانية ، والقدرة على فراقك وانية ... :

هل تعلمن وراء الحب منزلة   تدني إليك فان الحب أقصاني

وهذه الأسجاع ، تسترقص بهـا الأسماع ، ولا أروم السجع تعسفا ، فأسوم الطبع تكلفا ، وهو فى محاورات الاخوان يستحسن ، وفي غيرهـا إن كرهت القريحة عليه يستهجن ، فاني لا أمارس الألفاظ حتى يصحب أبيّها ، ويسمح فى مقادته عصيّها فتريغ هواديها إلي مجالا ، وتزدحم شواردها عليّ ارسالا ... فلم لبيت داعية الفراق ، وهلا أتيت ما يضاهي دماثة تلك الاخلاق ، فواصلت خـلا شعره الشعرى ، ونثره النثرى ، وهو في النحو فارس حلبه ، وفي النسب فارع هضبه ، وفي اللغة أبو زيد ، وفى الغريب أبوعبيد بن دريد ... وفي التصريف .. وفي العروض ... وفي الحديث .. وفي علوم القرآن .. وفي التفسير .. وفي الفقه .. القراءة .. الحساب ... الحفظ .. الانتقاد .. المغازي .. الطب .. الذكاء .. البلاغة .. تاريخ الأيام .. الفصاحة عبارة الرؤيا .. الفلسفة .. الرواية .. السمر والقصص .. التنجيم .. الـكلام .. الغناء .. الدعابة ... الشطرنج ...

نعم وهو من أكرم أرومة ، وأشرف جرثومة ، قد عرفت فيه ملوك العرب ، وله من سروات العجم ذروة النسب ، اتاه المجد من هنا وهنا ، وكان له بمجتمع السيول ، وكان آباؤه غياث[1] الناس ، ومظان الجود والباس ، وإياهم عنى بقوله أبو العباس :

ليت شعري أفاح رائحة المسك   وما إن أخال بالخيف أنسي

---

(١) وردت في المخطوطة على شكل [عمال]

حين غابت بنو أميــة عنه   والبهاليل من بني عبد شمس ...

و ... معاوية الاصغر .. هو جد آل معاوية بكوفن - وهي من ثغور خراسان بين أبيورد ونسا ، تدلع لسانها الى البر ، وترمي بطرفها الى الجبل الوعر ، ونقله اليها حبان بن حكيم الغامدي ومن بني عمه دنية زهير بن محمد صاحب الزهيرية بمدينــة السلام وزهير آباد بكوفن وزوجه بنته [...][1] وأمهـا الغراء[2] بنت أبي الفتيان حميد بن الأسود بن عبيدالله اليربوعي - وهو أول من اختط كُـوفن[3] من العرب . وجد أبيه من قبل أمه موسى بن كعب التميمي - ولا عقب له من ابنته الغراء . وأول من نصب بها المنبر عبدالله بن الحسين بن معاوية ، وكتب اسمه عليه ، وغرم في ذلك ما لا له قدر . وكان ابنه محمد ابن عبدالله من أماثل أهل ذلك الصقع ، ولا حاجة بنا الى الاشادة بذكره ، فاشتهاره يغني عن الاطالة ، وتكرير المقالة ، والثناء من البعيد أحسن ؛ ووصفه أبو سهل أحمد بن الحسين الحمدوني الأبيوردي وأبو أحمد السعيد الـكوفني ليمين الدولة محمود بن سبكتكين ، ثم أدخل عليه فلما بصر به أعجبته هيئته ، فالتفت اليهما وتـكلم بشيء هذا معناه : ما كنا نظن أن نرى مثله - وأبو أحمد هذا جد" والدي لأمه ومن بني عمه دنية أبو العباس السعيدي ، وهو الذي ولي القضاء بمدينة السلام فولدت [...][1] بنت حبان أبا مرفوعة منصورا وعبدالله ابني معاوية الأصغر . ولأبي النصر الهذيمي كتاب ذكر فيه أخبار من نزل أبيورد ونسا والقرى المنسوبة اليهما من العرب فقال: ومنهم الغامدية أبو مرفوعة منصور بن معاوية الأموي وهو الذي دخل على الرشيد بخراسان ...[4]

---

(١) وردت على مبيحة ولعلها تصحيف صبيحة أو قبيحة .

(٢) وردت وكأنها الفرّاء ولعلها الغراء أو الفرعاء .

(٣) كذا وردت بضم الـكاف .

(٤) وبعد أكثر من (٣٠٠) ورقة .

... وهلاّ اقتديت بالصالحين الأخيار ، والتزمت ما تقتضيه الحكمة - فبها اتسامك ، وانتهجت سنن سقراط في زهده - فهو إمامك .

والأليق بي أن أتوقى الاطناب والاطالة ، وأختم بايضاح ما سألتني عنه الرسالة ، وهو تلخيص ما اشتبه عليك في كتب الأنواء من أقوال العلماء والشعراء . وها أنا اجتهد في الابانة والتحقيق ، وهما يهيبان بك الى القبول والتصديق . فاعلم أن مذاهب العرب في النجوم غير مشاكلة لمذاهب أصحاب القياس والرصد من الفرس والروم ...

٢ - ديوان الباخرزي (تنظر أعلاه ص ١٦٦) .

كانت نسخة المتحف العراقي بقلم عبدالرزاق الملا محمد الحاج فليح (من أهل محلة باب الشيخ) وقد كتبها سنة ١٣٤٨ عن نسخة قديمة ، كتبت سنة ٤٧٢ أي بعد وفاة الباخرزي بحوالي خمس سنوات . وذكر الكرملي في مقدمة نسخة المتحف انه : لا وجود لهذا الديوان - ديوان الباخرزي - في خزائن كتب العالم .

ولكن معهد المخطوطات بالجامعة العربية فى القاهرة حصل على ميكروفلم للمخطوطة من مكتبة الجمعية الآسيوية بكلكتا ، وتقع هذه المخطوطة في ٢٢٨ ورقة وهي ديوان للباخرزي ناقص من أوله ومن آخره . وتبتديء بقصيدة بائية آخرها :

وعاش تحت ظلال الأمن فى شرف   عال يطنب فوق السبعة الشهب

واول القصيدة في نسخه مكتبة المتحف العراقي ص ٣٦ :

الروض في حلة من خلعة السحب   وابن الغمام محيّاً بابنة العنب

وتنتهي بقصيدة يرثي بها السلطان ألب أرسلان ومطلعها :

لي حب قلب ، رحى المنايا   تدور فى طحنه وجرشه

٣ - الأحسن (تنظر أعلاه ص ١٦٧) .

كما أن معهد المخطوطات في الجامعة العربية يضم نسخة من « الأحسن »

الذي عمله أبو الوفاء محمد بن محمد الاخسيكتي امتثالاً لأمر ضياء الملك في اختيار البكر الثّيب من شعر علي بن الحسن بن أبي الطيّب - ورقم الميكروفلم في المعهد ٦٩٩ .

٤ - وشاح الدمية (ينظر أعلاه ص ١٧٠) .

وهي - كما ذكرنا - غير كاملة ، والموجود منها في معهد المخطوطات ميكروفلم بـ ٢٥٣ ورقة يمكن أن نجد فيها « قسم محاسن أهل واسط والبصرة » كاملا . كما انه مصدر ذو بال للنساء الشواعر . ولكن أكثر أعلام الوشاح هم أعلام الخريدة - فيما بعد - ويبدو أن العماد أفاد من الوشاح .

٥ - اذا تعددت طبعات كتاب ومخطوطاته ، فان الباحث يتخذ احداها (أصحها عادة) أساساً يذكره من دون نص على تفصيلاته في الطبع وتاريخ الطبع ...

وهذا معنى ما ورد في قائمة المصادر : « من غير نص » . فاذا اضطر الباحث لأن يستشير غير هذه الطبعة أو هذه المخطوطة نص على التفصيلات .

وهكذا كل « ابن الأثير » في الهامش يعني الكامل ، طبعة ليدن ... فاذا ذكر سواه ، نص على الطبعة ومكانها الى جانب الاسم .

٦ - ص ٦٦ : ان الذي ذكر طبع الشام لديوان الطغرائي هو محمد عبدالغني حسن ، ص ١٥٣ من كتابه معرض الأدب والتأريخ الاسلامي (القاهرة ، مكتبة الآداب ، ١٩٤٧)

٧ - المقصود (ص ٧) بتاريخ أبي الفداء (أو أبي الفدا) كتاب المختصر من أخبار البشر .

٨ - ص ١٦٧ الملتقطات تصحح بـ « الملتقط »

٩ - ص ٥٦ : فلما عزله المقتدي عام ٤٥٤ ، صحيحها عام ٤٨٤ . ومما يذكر ان الخريدة المطبوعة ج ١ ص ٧٨ جعلت الخليفة ، المقتفي ، وهو غير صحيح .

١٠ - هامش رقم (١) من ص ٥٠ يصحح بـ سن ٤٦٤

١١ ـ ص ٥٥ : بنت ملكشاه = بنت ألب أرسلان . ويصحح هامش هذا الخبر بـ : ابن الأثير سن ٤٦٤ ، وينظر عن زواجه بنت ملكشاه « سيدات ... »

١٢ ـ ص ٣٤ درس الفقه تصلح بسمع الحديث

١٣ ـ يلاحظ الدكتور مصطفى جواد ان كلمة « الطاهر » الواردة ص ٦٩ ليست علماً لشخص بعينه ، انما هي لقب لمن يتولى نقابة العلويين .

ومن يقرأ هذا الكتاب يرى فضل الدكتور مصطفى جواد فى السبق والتنبيه والاجابة . ولا غرو فسيادته خير من يعرف تاريخ بغداد وتراجم اعلامها .

حفظ الله استاذنا ونفعنا بعلمه .

١٤ ـ اصدر الدكتور ذبيح الله صفا الاستاذ في جامعة طهران الجزء الثاني من كتابه « تاريخ الأدب فى ايران » ـ طهران ، مطبعة الجامعة ١٣٣٦ هـ . ش . وفيه مقدمة مسهبة عن أحوال إيران السياسية والاجتماعية والدينية والعقلية والأدبية في عهد السلاجقة .

وبعد دراسته المفصلة لتأريخ الأدب الفارسي في هذه الفترة أشار موجزاً (ص ١٠٣٧ ـ ١٠٤٠) إلى من كتب باللغة العربية من الفرس ، وعرف بالباخرزي والتبريزي والطغرائي وأنو شروان والأبيوردي .

وقد ذكر الاستاذ المؤلف :

أ ـ ان لأنو شروان كتاباً في تاريخ السلاجقة مطبوعا . (تنظر فى أعلاه ، ص ٢١ ، ٢٤)

ب ـ ان تاريخ دولة آل سلجوق للعماد الاصفهاني هو اختصار لتأريخ البنداري . (تنظر ـ أعلاه ـ ص ٢٥)

ج ـ ان الباخرزي قتل بيد تركي .

د ـ ان التبريزي شرح المعلقات السبع (تنظر ص ٦٨)

هـ ـ ان الأبيوردي توفي سنة ٥٥٧ (تنظر ص ١١٧)

١٥ - ومما أفادناه الاستاذ أحمد ناجي القيسي ان تكين (تنظر ص٣٩ ، ٤٠) تكتب بالكاف العربية ، انظر الكلمة في المعجم الفارسي برهان قاطع لمحمد حسين بن خلف التبريزي ١ : ٥٠٦ طبعة الدكتور محمد معين سنة ١٣٣٠ ش .

جاء في التعليق على الكلمة أنها كلمة تركية معناها : الحسن التركيب ، الجميل الشكل ، وقد وردت فى تركيب أسماء الأعلام مثل البتكين .

وتكتب بالكاف الفارسية : اقابزرگ ص ٦٧ ، الأتابگة ص ٧٦ ، گزيده ص ٩ ، ص ٦٢ ، گوهرائين ص ٥٨ ..

وتصلح مجلس سوراي ملي ص ٧ ، ٨ ، ١٠٣ ، ١٢٠ بـ مجلس شواري ملي. وسياسة نامه ص ١٥ بـ سياست نامه .

١٦ - ووقعت اخطاء في الحروف المتقاربة الشكل في الكلمة . وصحيح هذه الكلمات : رساتيقها ص ٨١ ، الغاوون ص ١٣٣ ، الخبرات ص ١٤٥ ، اسلنقي ص ٢١٦ .

ومن الكلمات ما سقط منها حرف مثل الأبيوردي ص ٩ ، الميمنية ص ٢٢ ...

ومنها ما وقع فى حروفه تقديم وتأخير مثل الميناوي ص ١٥ ، ٩٢ ، ايبك ص ٣٥

١٧ - وقد وقعت أخطاء أخرى لا تخفى فى جملتها على القاريء العربي . فقد وردت تاءات مربوطة من غير نقط مثل الجيدة ص ٥ ، اليقظة ص ١٩ ، موهبة ص ١٩٩ ... وهاءات (ضمير الغائب) بنقط ، مثل طبعه ص ٢٥ ، سابقيه ص ١٨٤ ... ووردت ياءات من غير نقط مثل علي ص ٢٦ ، لقي ص ٨٣ ، توفي ص ٢٩ ، ... وألفات بنقط مثل مصطفى ... يُعنى ... وهمزات بنقط مثل تبتديء ... امريء

١٨ - وأخطاء أخرى صحيحها : النّظامين ص ٤ ، ملحة الاعراب ص ٩ ، الثلاثون ص ١٦ ، عباسا ص ٢٧ ، لابن الدبيثي ص ٣٢ ، مكايد ص ٤٣ ،

هندوشاه ص ٥٣ ، ابن أبي الجبر ص ٥٤ ، يشاءون ص ٥٥ ، رءوس ص ٥٧ ، معدم ص ٥٩ ، مصعب بن الزبير ص ٦١ ، استاذا ص ٦٩ ؛ لدى العطل ص ٨٦ ، الآساس ص ٨٨ ، نال بهاص ١٠٩ ، الاسفهسالار ص ١١٥ ، إباءها ص ١٢٢ ، فانما ظهرتا على ص ١٢٢ ، بن ص ٦٦ (س ١) ، زاولوا ص ٧ ، محمودا ص ٩٠ ، جوابه عن ص ١٠٠ ، ١٠٢ ، محمد محيي الدين عبدالحميد ص ١٠٨ ، أيتها المطي ص ١١٣ ، لا غرو ١٢٣ ، إكمال الاكمال ص ١٢٣ ، المرء ص ١٣١ ، متبخر ص ١٣٥ ، صغيراً ص ١٥١ ، الأخسيكتي ص ١٦٧ ، أن تستوعباه ص ١٩٤ ، أبي الشاعر ص ٢٠١ ، يحى ١٢ ...

كان من الممكن تجنب كثير من هذه الاخطاء ، لو صلحت « التجربة » اكثر من مرتين ؛ وقد وقع ما وقع ؛ فعفوا .

الفهرست

الصفحة

الصفحة

